

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجْلَدٌ دَوْرِيٌّ تَصَدَّرَ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ فِي الْعَامِ

السَّنَةُ

العَدَدُ

٦٠

شَوَّال - ذُو الْقَعْدَةِ - ذُو الْحِجَّةِ ١٤٠٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

رئيس التحرير

الأعضاء

د. محمد بن عطية الغامدي

د. جمعة بن علي الطولي

د. صالح بن عبد الله العنوي

مدير التحرير

د. علي سلطان الشامي

د. محمد بن يحيى الدجواني

د. مزور بن هسان الزهراني

المراسلون: ترسل باهم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

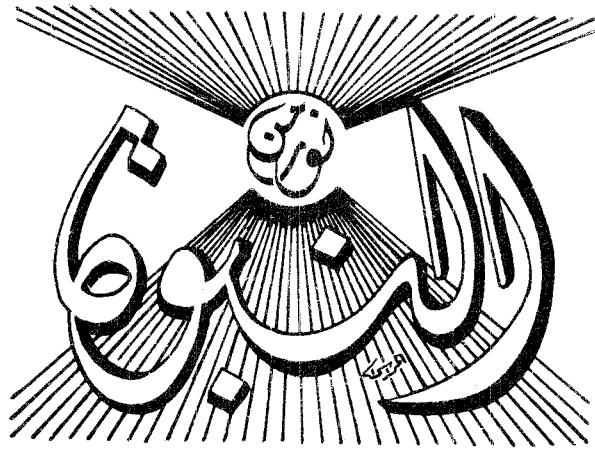
وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ سورة الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ سورة الحج



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيْمَانُ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قِيلَ ثُمَّ
مَاذَا ؟ قَالَ : حَجُّ مَبْرُورٌ .

« متفق عليه »

حكمة العبد

الْقَلْبُ السَّامِ الَّذِي يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ،
هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي قَدْ سَامَ لِعِبُودِيَةِ رَبِّهِ حَيَاءً
وَخَوْفًا وَطَمَعًا وَرَجَاءً ، فَفِنِيَ بِحُبِّهِ عَنْ حُبِّ
مَا سِوَاهُ ، وَبِخَوْفِهِ عَنْ خَوْفِ مَا سِوَاهُ ، وَبِرَجَائِهِ
عَنْ رَجَاءِ مَا سِوَاهُ ، وَسَامَ لِأَمْرِهِ وَلِرَسُولِهِ
تَصَدِيقًا وَطَاعَةً وَاسْتِسَامَ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ
فَأَمَّ يَنْهَمُهُ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ ، وَلَمْ يَتَسَخَّطْ لِأَقْدَارِهِ
فَأَسَامَ لِرَبِّهِ انْقِيَادًا وَخُضُوعًا وَذُلًّا وَعِبُودِيَّةً
وَسَامَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَذْوَابِهِ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا لِمَشَاكَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

«ابن القيم في مفاتيح دار السعادة»

كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ

اسْتَمْتَعُوا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ

لِلذِّكْرِ نَوْرَ جَمْعِهِ عَلَى الرَّحْمَلِيِّ

أشار القرآن الكريم إلى مكانة البيت الحرام في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ دَخَلِهِ كَانَ آمِنًا﴾ .

فهو أول بيت أسس على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وهو أول بيت وضع للناس للعبادة وإقامة ذكر الله منذ أمر الله إبراهيم أن يرفع قواعده وأن يخصصه للطائفتين والعاكفين والركع السجود .

وبكة من أسماء مكة « قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابة . فكم من جبار قصد البيت بسوء فأهلكه الله . . . وقيل لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون . . . عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول : قال المسجد الحرام قلت ثم أى : قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما ، قال : أربعون سنة ، قلت ثم أى : قال : ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد» .

هذا البيت جعله الله مباركا وجعله هدى للعالمين . وجعله مثابة للناس أى محلا تشتاق إليه النفوس وتحن . . . ولا ينصرف عنه منصرف وهو يحس أنه قد قضى منه وطره ولو تردد عليه كل عام . ولعل ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم فى قوله ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا﴾ .

كما جعل الله هذا البيت آمنا ، فهو مثابة الأمن لكل خائف ، وليس هذا المكان آخر فى الأرض . . . كان الرجل يلقي فيه قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له بسوء . . . ولذلك قال سبحانه يمن على العرب به ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ وعن ابن

عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمته الله إلى يوم القيامة . وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمته الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده . ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها» .

ولقد كان النبى ﷺ يحب هذا البيت ، ولقد قال وهو يودع مكة فى طريقه إلى المدينة وقت الهجرة «والله إنك لخير أرض الله وأحب البلاد إلى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت» .

هذا البيت جعل الله الحج إليه فريضة على المسلم المستطيع مرة واحدة فى العمر فقال سبحانه ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لوقلت نعم لوجبت ولما استطعتم» .

ولقد جاءت النصوص بالتعجيل بهذه الفريضة فإن الانسان لا يدرى ما يعرض له . والحج عبادة جامعة لشتى العبادات ففيه من الصلاة الدعاء والتوجه إلى الله ، وفيه من الزكاة الأنفاق وبذل المال ، وفيه من الصوم التحمل والجهاد والصبر . وهو فوق ذلك عبادة العمر بحيث إذا أدت كما رسم الشرع خرج صاحبها منها كيوم ولدته أمه . .

وقد روى الطبرانى والحاكم عن ابن عمر توجيه النبى ﷺ أمته إلى اغتنام فضل الكعبة المشرفة التى جعلها الله بركة وهدى ورحمة وذلك فى قوله ﷺ «استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة» .

وقد هدمت الكعبة قبل البعثة ثم بنيت ، ثم هدمها السيل وبنتها قريش والنبى ﷺ معهم وسنه خمس وثلاثون سنة فى قصة الرداء المشهورة ، ولعل الاشارة فى الحديث لهاتين المرتين لأهميتهما وما عداهما كان ترميماً للبيت واستكمالاً لأسباب متانتة ، أو أن العدد فى الحديث يفيد التكرار لا الحصر، ويوشك أن يهمل الناس أمر الحج فيرفع الله بيته ويستأثر به وينزع البركة السابغة من أهل الأرض الذين أغفلوا نداء ربهم وأهملوا فريضة حجهم ، ومن ذلك نعلم تأكد فريضة الحج وعظم ثواب من وفأها ، وشدة العقوبة لمن تركها وتكاسل عنها دون عذر مشروع ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ .

التفسير



أصوله

الأمرُ بإعدادِ القُوَّةِ لمواجرةِ الأعداءِ

للسَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ الْخَزْرَجِيِّ
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ، لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ . (الآية : ٥٩ : من سورة الأنفال) .
مناسبة الآية لما قبلها :

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال من كفر من اليهود ممن تكررت منهم الخيانة ونقض العهود، ونهى رسوله ﷺ والمؤمنين أن يظنوا أن الكافرين يُعجزون الله تعالى بأن يُفَلِّتُوا من نعمته ويخلصوا من عذابه بأن لا يسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيقتلوهم ويأمروهم . ولما كان مضمون هذا النهى قد يشيع روح التواكل والقعود عن القتال في نفوس المؤمنين أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة والإنفاق في سبيل ذلك وواعد عليه بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ . (الآية) .
وبذلك ظهرت المناسبة قوية بين الآيات السابقة واللاحقة .
الغرض الذي سيقته له الآية الكريمة :

إن الغرض الرئيسي الذي سيقته له هذه الآية الكريمة ، هو الأمر بطرح التواكل ، وإعداد القوة الكافية لقتال الكفار المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، ولقطع مجرد التفكير في غزو المسلمين والاعتداء على حدود بلادهم ، وذلك لما يشاهدون من قوة المسلمين المتفوقة عليهم كمية وكيفاً فإن من السنن البشرية أن ضعف العدو يغري بغزوه وقتاله . كما أن قوة العدو تصرف حتى عن مجرد التفكير في ذلك ، فقد سبق أن قلت : أن السلم المسلح أفضل من السلم المجرد من السلاح . فلولا تعادل القوة الحربية عند المعسكر الشيوعي البلشفي ، والمعسكر الرأسمالي الغربي لكانت الحرب العالمية الرابعة^(١) قد أعلنت وأتت على كل شيء من مظاهر هذه الحضارة العفنة الهابطة .

مباحث الألفاظ في الآية :

١ - في القراءات : قرىء ومن رُبِّط الخيل بضم الراء والباء جمع رباط ككتاب وكتب . وقرىء ترهبون بكسر الهاء وتشديدها من رهبه إذا أوقعه في الرهب الذي هو الخوف وشدته .

٢ - في النحو : «من قوة» الجار والمجرور في محل نصب على الحال ، وصاحب الحال إما أن يكون الموصول «ما» في قوله : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ أو يكون العائد المحذوف أى ما استطعتموه وهو الضمير . وكذا جملة ترهبون فقد يصح إعرابها حالاً ، وصاحب الحال الفاعل في جملة وأعدوا ، أى أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حال كونكم مرهبين به عدو الله وعدوكم .

٣ - في البلاغة : التنكير بالتنوين في لفظ «قوة» للإبهام والعموم وذلك من أجل أن يطلب المسلمون كل أسباب القوة وأنواعها فلا يقصرونها على نوع معين كالرماية مثلاً ، وإن ورد فيها حديث عقبة بن عامر عند مسلم : ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي إلا إن القوة الرمي .

وأما التنكير في قوله : من شىء فهو للتقليل والتحقيق بمعنى أن أى شىء ينفقه المسلم في إعداد العدة للجهاد ، أو ينفقه على رحم أو فقير ولو قل كدرهم ، أو حقر كحبل أو عصا لا يعدم المنفق أجره من الله عز وجل . ومضاعفاً أيضاً الحسنة بعشر أمثالها أو بسبعمائة إن كانت نفقة جهاد ؛ للآية الكريمة ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل ﴾ . (الآية) .

شرح المفردات :

- أعدوا : هيئوا وأحضروا وأرصدوا .
- ما استطعتم : ما قدرتم عليه بعد بذلكم الجهد فيه .
- من قوة : من كل أنواع القوة المادية من سلاح وكراع ، ومعنوية من إيمان صادق وثقة في الله تعالى كاملة ، ووحدة صف ، وطاعة قيادة ، وخلق فاضل .
- رباط الخيل : الرباط قد يكون مصدر رباط يرابط ، إذ كل من العدوين يرابط لصاحبه وقد يكون جمع رَّبَط ككتب وكتاب ، وقد يكون المراد به جماعة الخيل خمساً فأكثر . والخيل اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وأيها أفضل في الجهاد؟ الغالب أن الذكر أفضل .

- ترهبون : تخوفون بإيقاع الرهب في النفوس .
- عدو الله وعدوكم : العدو لفظ يطلق على المفرد والمثنى والجمع مذكراً ومؤنثاً .

عدو الله الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وعدو المؤمنين هو عدو الله، وإنما ذكر من باب التهيج والإثارة للمسلمين حتى يُعدوا العدة ويُوطئوا أنفسهم للقتال .

● من دونهم : من غيرهم أى من غير كفار قريش واليهود .

● لا تعلمونهم : أى لا تعرفون من هم من أعدائكم غير الظاهرين لكم كالمنافقين .

● الله يعلمهم : لأنه تعالى بكل شىء عليم ، وفى إخباره تعالى بعلمه بهم ما يبعث المؤمنين على الجِدِّ فى الإعداد والتحرز واليقظة كما فيه ما يشير إلى كفاية الله تعالى عباده المؤمنين كيد أعدائهم متى عملوا بطاعته .

● وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم : هذه الجملة شرطية وجوابها : يوف إليكم أداة الشرط هى «ما» وجملة الشرط «تنفقوا» ، و«من شىء فى سبيل الله» متعلق بتنفقوا وجواب الشرط «يُوف» ، وسبيل الله هنا هو الإعداد للجهاد، ويوف يؤده إليكم أجره وأفيا غير منقوص .

● وأنتم لا تظلمون : هذه جملة حالية ومعناها أن أجوركم التى استوجبتموها بالإنفاق فى سبيل الله سوف توفونها كاملة حال كونكم غير مظلومين لخوف عدوكم ورهبتهم منكم فلا يظلمكم باعتداء عليكم . ولا منقوص الأجر والمثوبة ولا محرومين منها لأن الله وعدكم ووعدته تعالى حق وصدق .
معنى الآية الكريمة :

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين الموجودين ساعة نزول هذه الآية ومن يأتى من بعدهم إلى أن يقاتلوا الكفار ويأمرهم بإعداد القوة أى بإحضارها وإرصادها لقتال عدو الله وعدوهم وإرهابه بذلك ، والقوة المأمور بإعدادها تكون حسيّة كأنواع السلاح المختلفة ، وآلات الحرب المتنوعة ، وتكون معنوية كالإيمان القوى والثقة فى نصر الله تعالى ، ووحدة الصف وطاعة القيادة ، مع طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ من الثبات عند اللقاء وذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

كما يخبرهم تعالى بأن ذلك الإعداد للقوة من شأنه أن يرهب أعداءهم ، وينزل الرعب فى قلوبهم فلا يفكرون فى غزوهم ولا قتالهم ، وسواء فى ذلك العدو الظاهر لهم المعروف عندهم ، أو العدو الذى لا يعلمونه والله يعلمه كالمنافقين المتربصين أو المجوس الحاقدين ، أو اليهود الحاسدين .

ولما كان إعداد القوة المطلوبة المبذول لها كلُّ ما فى استطاعة الأمة وقدرتها يتوقف فى الجملة على المال إذ به يتم صنع السلاح أو شراؤه ، والمال لا مصدرله إلا جيوب المؤمنين

وصناديقهم ، وقد أنفقوا فعلا وجمعوا المال وأعدوا به القوة الواجبة الإعداد ، أخبرهم تعالى بأنهم ما ينفقون من شيء في سبيل الله لإعداد القوة أولغيرها من سائر طرق الخير وسبيل البر مما يرفع من شأن أمة الإسلام ويكملها ويسعدها في الدنيا والآخرة يوفيهم أجره مضاعفاً .
الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف . والحال أنهم لا يظلمون بحرمانهم من أجر إنفاقهم ، ولا ينقصه بل يوفونه كاملاً مضاعفاً .
ما في الآية من أحكام :

اشتملت الآية على الأحكام الفقهية التالية :-

- ١ - وجوب إعداد القوة لقتال العدو أو إرهابه .
 - ٢ - وجوب إنفاق المال لذلك . لتوقف القوة على المال .
 - ٣ - وجوب تعلّم فنون الحرب المختلفة وتعليمها لأفراد الأمة .
 - ٤ - وجوب صنع السلاح وتطويره بحسب أحوال الأمم والشعوب .
 - ٥ - وجوب الوحدة وجمع الكلمة ونصب الإمام وطاعته .
- إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولا يتم جهاد ولا إعداد له إلا بما ذكر .
وهذه الواجبات كفائية إذا وجدت في الأمة وقام بها بعضها سقط هذا الواجب عن باقي الأمة .

هداية الآية :

قد اشتملت هذه الآية الكريمة على أنواع من الهدايا منها :-

- ١ - أمة الإسلام : أمة واحدة تتكافؤ دماؤها ، ويسعى بذمتها أدناها ، وهي يدٌ واحدة على من سواها ، دل على ذلك صيغة الجمع التي خاطبها الله تعالى بها في قوله :
وأعدوا ، ترهبون ، وما تنفقوا ، يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون .
- ٢ - السلام المسلّح : إذ الأمر بإعداد القوة أمر بما يُرهب العدو ويخيفه وبذلك هو إما ان يسلم أو يستسلم بدفع الجزية ، أو يعاهد ، ولا حرب ولا قتال مع كل ذلك وإنما هو السلم والسلام .

٣ - في قوله تعالى : ومن رباط الخيل ، وتفسير النبي ﷺ بالرّمى كما في حديث عقبة ابن عامر عند مسلم : ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً علّم من أعلام النبوة المحمدية إذ تحضير الدبابات والطائرات ، قاذفات القنابل والصواريخ هي اليوم أنكى سلاح وأقواه أثراً في الحروب وقد أشير إليه في الآية والحديث الشريف بصراحة ووضوح .

٤ - في وعد الله تعالى المتفقين بتوفية أجورهم كاملة غير منقوصة ما يساعد المؤمن على الإنفاق والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى ، وبذلك تقوى أمة الإسلام وتعز .

الْحَدِيثُ

صَوْنُهُ

فَضْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ

٦

شَهَادَةُ الْعُرُولِ الصَّادِقِينَ لَهُمْ بِأَنْزِمِ عَلَيَّ لَصْرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّاحِمِ الْكَرِيمِ

لِلدُّكْتُورِ مَرْيَمَ بِنْتِ هَارُونَ تَمْرُخَانِي

أَسَازِيسَاعِدِ بِالدرجاتِ الْعِلْمِيَا

شهادة ابن قتيبة :

ألف فقيه الأديباء وأديب الفقهاء الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كتاباً سماه «تأويل مختلف الحديث دفاعاً عن سنة رسول الله ﷺ وعن حملتها وناقليها وحفاظها أهل الحديث» .

قال في مطلع الكتاب : (أما بعد) أسعدك الله تعالى بطاعته وحاطك بكلاءته ووفقك للحق برحمته وجعلك من أهله فإنك كتبت إليّ تُعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتنانهم وإسهابهم في الكتب بدمهم ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون واكفر بعضهم بعضاً وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث ثم ذكر الخوارج وما تعلقت به من الأحاديث في تأييد مذهبها والمرجئة وما تعلقت به كذلك والمفوضة وما تعلقت به من الأحاديث والرافضة وما تعلقت به من الأحاديث في ضلالتها وتكفيرها الصحابة ومفضلوا الفقر وما تعلقت به ، ثم ذكر طعون الزنادقة في أهل الحديث .

ثم قال : «باب ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأي» فقال : وقد تدبرت ربحك الله - مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تُطرف على الأجداع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل . ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والآنية ولوردوا المشكل منها إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج . ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة وحب الاتباع واعتقاد الإخوان بالمقالات . والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضاً . ولو ظهر لهم من يدعى النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء أو من

يدعى الربوبية لوجد على ذلك إتباعاً واثياً. وقد كان يجب - مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد الآت النظر - أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسابُ والمسَّاحُ والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد وإلا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء ونبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين .

ثم ذكر تضارب الآراء واختلاف الأهواء والاتجاهات بين زعماء أهل الكلام وانتقدهم أشد النقد ثم قال ذكر أصحاب الحديث .

فأما أصحاب الحديث، فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لآثاره وإخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً يرحل الواحد منهم راجلاً مقويماً في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ثم لا يزالوا في التنقيب عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً وبسوق بعد أن كان دارساً واجتمع بعد أن كان متفرقاً وأنقاد للسنن من كان عنها معرضاً وتنبه لها من كان عنها غافلاً، وحُكِمَ بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان، وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ وقد يعيهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغرائب. وفي الغريب الداء. ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوها حقاً. بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينها ويدلوا عليها وقد فعلوا ذلك. ثم ذكر طائفة من الأحاديث الموضوعية وذكر نقد المحدثين لها وتزييفهم إياها وفضح واضيعها .

رحمه الله وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

شهادة الإمام ابن حبان :

قال الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد التميمي المتوفى سنة ٣٥٤ في مقدمة صحيحه «انظر الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١/٢٠-٢٣) .

بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :-

ثم اختار طائفة لصفوته وهداهم للزوم طاعته من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار فزين قلوبهم بالإيمان وأنطق السنتهم بالبيان من كشف أعلام دينه وأتباع سنن نبيه بالدُّوب في الرحل والأسفار وفراق الأهل والأوطار في جمع السنن ورفض الأهواء والتفقه فيها

بترك الآراء فتجرد القوم للحديث وطلبوه ورحلوا فيه وكتبوه وسألوا عنه وذاكروا به ونشروه وتفقهوا فيه وأصلوه وفرعوا عليه وبذلوه وبينوا المرسل من المتصل والموقوف من المنفصل والناسخ من المنسوخ والمحكم من المفسوخ والمفسر من المجمل والمستعمل من المهمل والمختصر من المتقصى والملزوق من المتقصى والعموم من الخصوص والدليل من المنصوص والمباح من المزجور والغريب من المشهور والغرض من الإرشاد والحتم من الإيعاد والعدول من المجروحين والضعفاء من المتروكين وكيفية المعمول من المجهول وما حرف عن المخزول وقلب من المنحول من مخايل التديليس وما فيه التلبيس حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين وصانه من ثلب القادحين، جعلهم عند التنازع أئمة الهدى وفي النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء ومأنس الأصفياء .

ثم بعد الشهادة لرسول الله بالرسالة والبلاغ المين والجهاد وآثار ذلك قال : وإن في لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم ومن خالفها ندم إذ هي الحصن الحصين من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل والمغبوطون بين الأنام في العاجل . وقال : (١/١٠٥) وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ ثم ذكر حديث العرياض بن سارية وفيه « فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

ثم قال : في قوله ﷺ : «فعلليكم بسنتي» عند ذكره الإختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن وقال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرقة الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنة .

ثم قال في : (١/١٠٧) ذكر البيان بأن من أحب الله عز وجل وصفه ﷺ بإيثار أمرهما وابتغاء مرضاتهما على رضا سواهما يكون في الجنة مع المصطفى ﷺ .
ثم قال في : (١/١٥١) كتاب العلم ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة .

ثم أورد حديث معاوية بن قررة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة» .

شهادة الإمام الراهمزمي :

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الراهمزمي المتوفى سنة ٣٦٠ في مقدمة كتابه «المحدث الفاصل» (ص : ٤-١) :

اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم وقد شرف الله الحديث وفضل أهله وأعلى منزلته وحكمه على كل نحلة وقدمه على كل علم ورفع من ذكر من حملة وعنى به، فهم بيضة الدين ومنار الحجة وكيف لا يستوجبون الفضيلة ولا يستحقون الرتبة الرفيعة وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين واخبروا عن أنباء التنزيل وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول ﷺ فنقلوا شرائعه ودونوا مشاهده وصنفوا أعلامه ودلائله وحققوا مناقب عترته ومآثر آبائه وعشيرته وجاءوا بسير الأنبياء ومقامات الأولياء وأخبار الشهداء والصديقين وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ في سفره وحضره وطمعه واقامته وسائر احواله من منام ويقظه وإشارة وتصريح وصمت ونطق ونهوض وقعود ومأكل ومشرب وملبس ومركب وما كان سبيله في حال الرضا والسخط والإنكار والقبول حتى القلامه من ظفره ما كان يصنع بها، والنخاعة من فيه أين كان وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله، وعند كل موقف ومشهد يشهده تعظيماً له ﷺ ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه وأسند إليه، فمن عرف للإسلام حقه وأوجب للرسول حرمة. أكبر ان يحتقر من عظم الله شأنه وأعلى مكانه واطهر حجته وأبان فضيلته ولم يرتق بطبيعته إلى حزب الرسول وأتباع الوحي وأوعية الدين، ونقله الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ .

فإنك إذا أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن لم يذكرهم لك إلا راوى الحديث متحقق به أو داخل في حيز أهله ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم .
ثم ذكر كلاماً لبعض الحاقدين على أهل الحديث وبين باعث هذا الحقد ثم رد عليه ثم وجه نصيحة لطلاب الحديث فقال :

فتمسكوا - جبركم الله - بحديث نبيكم ﷺ وتبينوا معانيه وتفقهوا به وتأدبوا بأدابه ودعوا ما تعيرون به من تتبع الطرق وتكثير الاسانيد وتطلب شواذ الاحاديث وما دلسه المجانين وتبلبل فيه المغفلون واجتهدوا في أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم ، لتشرفوا به في المشاهد وتنطلق الستكم في المجالس ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسداً على ما آتاكم الله من فضله، فإن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذاكرون ونسب لا يجهل بكل

مكان وكفى بالمحدث شرفا ان يكون اسمه مقرونا باسم النبي ﷺ وذكره متصلا بذكره وذكر أهل بيته وأصحابه .

ولذلك قيل لبعض الأشراف : نراك تشتهي أن تحدث فقال : أولا أحب أن يجتمع اسمي واسم النبي ﷺ في سطر واحد . وحسبك جمالا عصابة منهم على بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، ومن يليه من ذريته وأهل بيت النبي ﷺ وأبناء المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأهل الزهادة والعبادة والفقهاء وأكثر الخلفاء ومن لا يدركه الإحصاء من العلماء والنبلاء والفضلاء والأشراف ذوى الأخطار فكيف بمن يسميهم الحشوية الرعاع ويزعم أنهم أغثار وحملة أسفار والله المستعان .

شهادة الحاكم :

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ في مقدمة كتابه : «معرفة علوم الحديث» (ص : ١-٤) :

الحمد لله ذى المن والإحسان والقدرة والسلطان الذى أنشأ الخلق بربوبيته وجنسهم بمشيئته واصطفى منهم طائفة إصفياء وجعلهم بررة أتقياء فهم خواص عباده وأوتاد بلاده يصرف عنهم البلياء ويخصهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه والمتمسكون بسنن نبيه وأشهد أن لا إله إلا الله الذى زجر عن اتخاذ الأولياء دون كتابه واتباع الخلق دون نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأن محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى بلغ عنه رسالته فصلى الله عليه آمراً وناهياً ومبيحاً وزاجراً وعلى آله الطيبين .

أما بعد - فإننى لما رأيت البدع فى زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلت مع إمعانهم فى كتابة الأخبار وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابة الآثار .

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن مرزوق البصرى بمصر، حدثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن معاوية بن قره قال : سمعت إبنى يحدث عن النبي ﷺ قال : «لا يزال ناس من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الأدمى بمكة يقول سمعت موسى ابن هارون يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول وسئل عن معنى هذا الحديث فقال : «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟ . قال أبو عبد الله : وفى مثل هذا قيل من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحق . فلقد أحسن أحمد بن حنبل فى

تفسير هذا الخبر إن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث .

ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف الماضين ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله اجمعين من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطان وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والإخبار وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطهار قد تركوا الاحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تكاهم وبواربها فرشهم .

حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا محمد بن الحسين بن أبي الحسين ثنا عمر بن حفص بن غياث قال : سمعت أبي وقيل له : ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال : هم خير أهل الدنيا .
وحدثني أبو بكر محمد بن جعفر المزكي . ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق . قال : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : إنى لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس يقيم أحدهم ببابى وقد كتب عنى فلو شاء أن يرجع ويقول : حدثني أبو بكر جميع حديثه فعل ولكنهم لا يكذبون .

قال أبو عبد الله : ولقد صدقا جميعا أن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم وجعلوا غذاءهم الكتابة وسمهم المعارضة واستر واحهم المذاكرة وخلوتهم المداد ونومهم السهاد واصطلاءهم الضياء وتوسدهم الحصى فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة تعلم السنن سرورهم ومجالس العلم حبورهم وأهل السنة قاطبة إخوانهم وأهل الاحاد والبدع بأسرها أعداؤهم .
سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى يقول :

كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذى عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث . فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق ودخل البيت .

سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول : سمعت جعفر بن سنان الواسطي يقول : سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث» وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه . قال أبو عبد الله وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقدارة ويسميها الخشوية . . . اهـ .

أقول هذه الكراهية والبغضاء والحقد الأرعن مازال أهل البدع والزيف يتوارثونه جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا فأشد أعدائهم هم أهل الحديث والسنة والتوحيد ، والحديث بقال الله قال رسول الله خصوصا فيما يتعلق بتوحيد الله ورد البدع أشد عليهم من وقع السهام وقرع السيوف وصوت القنابل والمدافع .

شهادة الخطيب البغدادي :

وألف الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ كتابا اسماه «شرف أصحاب الحديث» :

قال في مقدمته : بعد أن ذكر أقوال العلماء في ذم الرأي من (ص : ٣-٥) فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم وطلب سنن رسول رب العالمين واقتفى آثار الفقهاء المحدثين لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء من الوعد والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين والإخبار عن صفة الجنة والنار . من صنوف العجائب وعظيم الآيات وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسيحين .

إلى أن يقول : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله في خليقته والواسطة بين النبي وأمتة والمجتهدون في حفظ ملته أنوارهم زاهرة وفضائلهم سائرة وآياتهم باهرة ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه وتستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فئتهم وإليه نسبتهم لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء يقبل منهم ما رووا عن الرسول وهم المأمونون عليه العدول ، حفظة الدين وخزنته واوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلته ، مخلص بفضيلته ، وقارئ متقن وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم وسبيلهم السبيل المستقيم وكل مبتدع باعتقادهم

يتظاهر وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر من كادهم قصمه الله ومن عاندهم خذله الله لا يضرهم من خذلهم ولا يفلح من اعتزلهم المحتاط لدينه إلى ارشادهم فقير وبصر الناظر بالشرا إليهم حسير وان الله على نصرهم لقدير ثم ساق إسناده إلى على بن المديني . قال : في حديث النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . قال (اي ابن المديني) : «هم أهل الحديث» والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم ولولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأى شيئاً من السنن فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقتنائهم آثار الصحابة والتابعين فشأنهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار، وركوب البرارى والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى . لا يعرجون عنه إلى رأى ولا هوى ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً وحرسوا سنته حفظاً ونقلًا ، حتى بينوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها ، فكم من ملحد يروم ان يخلط في الشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأمرها وشأنها إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ﴿ أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

ثم قال في ص ٦ : قال الخطيب : قد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المؤلف في تأويل مختلف الحديث ما يتعلق به أهل البدع من الطعن على أصحاب الحديث ثم ذكر من فساد ما تعلقوا به ما فيه مقنع لمن وفقه الله لرشده ، ورزقه السداد في قصده وأنا أذكر في هذا الكتاب إن شاء الله ما روى عن رسول الله ﷺ في الحث على التبليغ عنه وفضل النقل لما سمع منه ، ثم ما روى عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الخالفين في شرف أصحاب الحديث وفضلهم وعلو مرتبتهم ومحاسنهم المذكورة ومعالمهم الماثورة . نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بمحبتهم ويحيينا على سنتهم ويميتنا على ملتهم ويحشرنا في زميرهم انه بنا خبير بصير وهو على كل شىء قدير . ثم أورد حديث «نظر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه» من طرق إلى زيد بن ثابت وجبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم - ثم روى بإسناده إلى سفيان بن عيينة أنه قال : ما من أحد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة لقول النبي ﷺ «نظر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه» (ص : ١٠-١١) . ثم أورد روايات في وصية النبي ﷺ باكرام أصحاب الحديث (ص : ١١-١٢) . ثم أورد حديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء من طريق أبي هريرة وعبد الله بن مسعود ثم قال عقبه : «قال عبدان هم أصحاب الحديث الأوائل» (ص : ١٣) . ثم أورد حديث : «ستفترق أمتي

على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» ثم روى بإسناده إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه قال :

يعنى في الفرقة الناجية : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا ادري من هم؟ (ص : ١٣). ثم ذكر قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلمهم حتى تقوم الساعة» من حديث معاوية بن قره وعمران بن حصين . ثم قال : يزيد بن هارون إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ وروى بإسناده إلى عبد الله بن المبارك أنه قال : هم عندي أصحاب الحديث ثم روى أيضا بإسناده إلى أحمد بن حنبل وأحمد بن سنان وعلى ابن المديني أنهم قالوا : إنهم أصحاب الحديث وأصحاب العلم والأثر (ص : ١٤-١٥). ثم أورد حديثا عن علي رضي الله عنه - في كون أهل الحديث خلفاء النبي ﷺ - في التبليغ عنه . (ص : ١٧-١٨) .

ثم قال : وصف النبي ﷺ إيمان أهل الحديث ثم ذكر في هذا المعنى حديثا عن عبد الله بن عمرو وآخر عن عمر بن الخطاب مرفوعين إلى النبي ﷺ (ص ١٨-١٩). ثم قال : «كون أصحاب الحديث أولى بالنبي ﷺ لدوام صلاتهم عليه» ثم أورد في هذا المعنى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي» ثم قال : قال أبو نعيم - رحمه الله - وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على النبي ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً (ص : ١٩-٢٠) .

ثم قال : بشارة النبي ﷺ بكون طلبة الحديث بعده واتصال الاسناد بينهم وبينه وساق حديثا في هذا المعنى عن ثابت بن قيس مرفوعا وآخر عن ابن عباس - رضي الله عنهما . ثم قال : ذكر بيان فضل الإسناد وأنه مما خص الله به هذه الأمة ثم ذكر جهود أهل الحديث واهتمامهم بالاسانيد وتحريمهم في الأخذ عن الثقات واجتهادهم في كتابة الحديث وتتبع طرقه ونقدمهم للرواة وبعدهم عن المحاباة فلا يجابى أحدهم في الحديث اباه ولا أخاه ولا ولده ثم قال : وهذا على بن المديني وهو إمام الحديث في عصره لا يروى عنه حديث واحد في تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك (ص : ٢٢-٢٣) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث أمناء الرسول ﷺ لحفظهم السنن وتبيينهم لها . ثم نقل عن أبي خاتم فضل أهل الحديث وعن عبد الله بن داود الخريبي يقول سمعت أئمتنا ومن فوقنا أن أصحاب الحديث وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما عملوا وعلموا . ثم روى بإسناده إلى - كهمس - رحمه الله قال : من لم يحقق ان

أهل الحديث حفظه الدين فإنه يعد في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين (ص: ٢٤-٢٥) .

ثم أورد العنوان التالي : وهو كون أصحاب الحديث حماة الدين بذمهم عن السنن وساق تحت هذا العنوان قول الثوري : « الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض » . وقول يزيد بن زريع : « لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الإسانيد » . (ص : ٢٥) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث ورثة رسول الله ﷺ فيما خلفه من السنة وأنواع الحكمة .

وذكر أثراً عن ابن مسعود أن السنة هي ميراث رسول الله ثم اعتبار الفضيل بن عياض أهل الحديث ورتة الأنبياء . ثم قول الشافعي : « إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنني رأيت النبي ﷺ حياً » ساق هذا إلى الشافعي بإسناد صحيح (ص : ٢٥-٢٦) . ثم قال : « كونهم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر » .

وروى بإسناده إلى إبراهيم بن موسى أنه سئل من الأمازون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ قال : نحن منهم نقول . قال رسول الله ﷺ : لا تفعلوا كذا (ص : ٢٦) .

ثم قال : « كونهم خيار الناس » . ثم روى بإسناده إلى أبي بكر بن عياش أنه قال « ما قوم خير من أصحاب الحديث وقال : ما أعلم في الدنيا خيراً منهم » .

وبإسناده إلى أحمد بن حنبل : قال : ليس قوم عندي خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث . وقال : أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم .

وقال أحمد أيضاً : إن لم يكن هؤلاء هم الناس فلا أدرى من الناس . وبإسناده إلى الأوزاعي أنه قال : لا أعلم أحداً أفضل من أهل الحديث وبإسناده إلى عثمان بن أبي شيبة أنه قال في أهل الحديث : أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم .

وبإسناده إلى أبي يوسف القاضي أنه قال وقد رأى أصحاب الحديث على الباب : « ما على الأرض خير منكم » (ص : ٢٦-٢٨) ثم عنون بما يأتي : « من قال إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث ثم ساق قول صالح بن محمد الرازي ويزيد بن هارون وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل في هذا المعنى أي أن أهل الحديث هم أولياء الله وهم الأبدال (ص : ٢٨) .

ثم أورد عنوانا بلفظ، من قال: لولا أهل الحديث لاندرس الإسلام ثم ساق بإسناده أقوال حفص بن غياث وأبي داود وعلى بن المدينة في هذا المعنى ولفظ أبي داود لولا هذه العصابة لاندرس الإسلام يعنى أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار (ص: ٢٩) .

ثم قال: من قال: إن الحق مع أصحاب الحديث وساق أسانيده إلى هارون الرشيد والوليد الكرابسى ومحمد بن قريش العنبرى البصرى شهادتهم لأهل الحديث أنهم أهل الحق ولفظ الرشيد «طلبت أربعة فوجدتها في أربعة طلبت الكفر فوجدته في الجهمية وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث» (ص: ٣١-٣٢) . ثم قال كون أهل الحديث أولى الناس بالنجاة في الآخرة وأسبق إلى الجنة . ثم ساق بإسناده حديثا مرفوعا في هذا المعنى ثم عقبه بأقوال في هذا المعنى اسندها إلى أبي جعفر النفيلى وإلى أبي مزاحم الخاقانى وشاذان بن يحيى وابن المبارك والحسن بن على التميمى .

وقول النفيلى: إن كان على وجه الأرض أحد ينجو فهؤلاء الذين يطلبون الحديث . (ص: ٣٢-٣٣) .

ثم تكلم في فضل الرحلة في طلب الحديث وسماعه وكونه فيه خير الدنيا والآخرة وذم الذين لم يسمعوا الحديث والترغيب في كتابة الحديث وثبوت حجة صاحب الحديث، ووصف الراغب في الحديث والزاهد فيه .

ثم قال: الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث وأسند إلى قتيبة بن سعيد قوله: «إذا رأيت الرجل يجب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وذكر قوماً آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع» . (ص: ٤٠) .

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل أن أحمد بن الحسن الترمذى قال له: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال له أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه . فقال: زنديق زنديق ودخل بيته . وذكر أقوالا عن الأوزاعى وغيره أن من علامة المبتدعة عدم انقيادهم للحديث . (ص: ٤٠-٤١) .

ثم قال: من جمع بين مدح أصحاب الحديث وذم أهل الرأى والكلام الخبيث . وأسند إلى الشعبي وأحمد بن شيبويه ومحمد بن عبد الرحمن النسفى أقوالهم في ذم الرأى .

ثم أسند إلى عبيدة بن زياد الأصبهانى أنه قال:

دين النبى محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى والشمس بازغة لها أنوار
وساق أقوالا لعلماء في ذم الرأى. ثم أسند إلى أبى عبد الله محمد بن على الصورى
أنه قال :

قل لمن عاند الحديث واضحى عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ابن لى أم يجهل فالجهل خلق السفية
إيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه
والى قولهم وما قد روه راجع كل عالم وفقيه

ثم ساق أقوالا في ذم الكلام وأهله ومنها قول الشافعى : حكمى في أهل الكلام أن
يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من
ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام . (ص : ٤١-٤٣) - رحمه الله وجزاه الله عن الحديث وأهله
خيراً .

فهذا قليل من كثير في حال أهل الحديث وواقعهم وما قيل من مدح بحق وشهادة
بصدق . نقلت هذا لمن كان على نهجهم في اتباع الكتاب والسنة ليزداد إباناً وثباتاً ولن خدع
من المنتسبين إلى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرهما من الفرق الضالة
فوقع في شىء من التعطيل والتأويل الجهمى أو التخريف الصوفى أو وقع في مزلق الإرجاء أو
سقط في أفخاخ الجبرية ليعود إلى أصله ويأوى إلى عرينه فيلزم عرين أهل الحديث ويكون
في ركبهم ويتبع حاديمهم :

أهل الحديث هموا أهل النبى وان لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا
دين النبى محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى والشمس بازغة لها أنوار
ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً .

فَقَالَتْ:

صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ

لِلدُّعَاةِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ
أَسَازِيسَاعِدِ بَكْرِيَّةِ الْحَمْدِ السَّرِيفِ

الأول : حكم صلاة الجماعة :

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين ، صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبوا ، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار . (إسناده صحيح) (١) .
وفي رواية عند أحمد «لولا ما في البيوت من النساء والذرية لأقمت صلاة العشاء وأمر فتيانى يحرقون ما في البيوت بالنار» (٢) .
وفي إسناد أحمد : أبو معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندى المشهور بكنيته ، ضعيف .

وقوله : «حبوا» أى المشى على الأيدي والركب ، وهو الزحف كما يزحف الصغير .
خص النبي ﷺ الصلاتين وهما العشاء والفجر وجعلها ثقلاً على المنافقين لأن العشاء كانت وقت الإيواء إلى البيوت من العمل ، وكانت ظلمة الليل تمنعهم من الخروج من البيت . وأما الفجر فلذة النوم تمنع من القيام وخاصة في البرد الشديد .
وخص النبي ﷺ المنافقين لأنهم ما كانوا يؤدون الصلاة على جهة الاحتساب فكلما وجدوا فرصة للغيب لم يفرطوا فيها ، بل اغتموها فكأن النبي ﷺ شبه المؤمنين تاركى حضور الجماعة في صلاتى الفجر والعشاء بالمنافقين ، وهددهم بالاحراق بالنار .
واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على وجوب صلاة الجماعة لأنها لو كانت سنة لما هدد النبي ﷺ تاركها بالتحريق .

(١) رواه البخارى : (٢/١٢٥) مع الفتح) ومسلم (١/١٤٥) وأبو داود (١/٣٧١-٣٧٢) والنسائى (٢/١٠٧) والترمذى (١/٤٢٢-٤٢٣) وأحمد (٢/٢٤٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣١٩) .
(٢) أحمد : (٢/٣٦٧) .

فتفرع عن ذلك عدة أقوال في حكم صلاة الجماعة منها :

١ - أنها فرض على الأعيان : وهو رأى الأوزاعي ، وأحمد ، وداود الظاهري وبعض محدثي الشافعية كأبي ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، ثم اختلف هؤلاء، فقال داود الظاهري : إنها شرط في صحة الصلاة، ففي المحلى «ولا تجزى صلاة فرض أحداً من الرجال، إذا كان بحيث يسمع الأذان أن يصلّيها إلا في المسجد مع الإمام، فإن تعمد ترك ذلك بغير عذر بطلت صلاته فإن كان بحيث لا يسمع الأذان ففرض عليه أن يصلّي في جماعة مع واحد إليه فصاعداً ولا بد، فإذا لم يفعل فلا صلاة له إلا أن لا يجد أحداً يصلّيها معه فيجزئه حينئذ إلا من له عذر فيجزئه حينئذ التخلف عن الجماعة» (١).

وذكر ابن عقيل من الحنابلة وجهاً في اشتراطها عن أحمد أيضاً قياساً على سائر واجبات الصلاة. والصحيح عنه أنها ليست شرطاً في صحة الصلاة بدليل عدم انكار النبي ﷺ على اللذين صليا في رحلها .

يقول ابن دقيق العيد : «ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية قال أحمد في أظهر قوليهِ بوجوبها على الأعيان بدون شرطية» (٢) .

وكذلك انعقد الاجماع على أن من صلى في بيته وحده لا يجب عليه الإعادة .

٢ - وذهب الجمهور إلى أنها سنة مؤكدة . وهو رأى الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأبي حنيفة، وبه قال الثوري : وللشافعي ومالك قول بأنها فرض كفاية .

أدلة القائلين بوجوب الجماعة :

١ - قوله تعالى : ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم﴾ (سورة النساء) .

هذه الآية تختص بصلاة الخوف، فإذا لم يأذن الله أن نتخلف عن الجماعة في حالة الخوف، ففي الأمن أولى .

قال ابن كثير : «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك» (٣) .

(١) المحلى : (٤/٢٦٥) .

(٢) إحكام الأحكام : (١/١٦٦) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٢/٣٥٤) .

وقال ابن قدامة : «ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها» (١) .

٢ - ولأن النبي ﷺ لم يرخص للأعمى أن يتخلف عن الجماعة مع عذره .
قال أبوهريرة : «أتى رسول الله ﷺ رجل أعمى فقال يارسول الله : إنه ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال : هل تسمع النداء؟ قال : نعم . قال : فأجب» (٢) .

وعن عمرو بن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ : «إنى ضرير البصر، شاسع الدار، ولى قائد لا يلاومنى، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ . قال : هل تسمع النداء؟ . قال : نعم . قال : فأجب، فإنى لا أجد لك رخصة» . وفى رواية «قال يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، وأنا ضرير البصر، فهل تجد لى من رخصة؟ . قال : تسمع حى على الصلاة، حى على الفلاح؟ . قال : نعم . فقال : فحى هلا، ولم يرخص» (٣) .
قوله : يلاومنى من الملاومة أى الموافقة والمناسبة .

قال الخطابى : هكذا يروى فى الحديث بالواو . ولكن الصواب : يلايمنى : أى يوافقنى . واما الملاومة فإنها من اللوم وليس هذا موضعه .
والهوام : هوام الأرض أى حشراتنا .

فحى هلا : حى بمعنى هلم، وهلا : بمعنى عجل واسرع .
قال الخطابى : وفى هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب ولو كان ذلك ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرر والضعف، ومن كان فى مثل حال ابن أم مكتوم . وكان عطاء بن رباح يقول : ليس لأحد من خلق فى الحضر، والقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة . وقال الأوزاعى : لا طاعة للوالدين فى ترك الجمعة والجماعات، سمع النداء أو لم يسمع . وكان أبو ثور يوجب الجماعة . واحتج هو وغيره ممن أوجب به بأن الله سبحانه وتعالى أمر أن يصلى جماعة فى حال الخوف، ولم يعذر فى تركها فعقل أنها فى حال الأمن أوجب .

وقال : واكثر أصحاب الشافعى على أن الجماعة فرض على الكفاية لا على الأعيان . وتأولوا حديث ابن أم مكتوم على أنه لا رخصة لك ان طلبت فضيلة الجماعة،

(١) المعنى : (١٤٩/٢) .

(٢) رواه مسلم : (٤٥٢/١) والنسائى (١٠٩/٢) .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٥/١) والنسائى (١١٠/٢) وابن ماجه (٢٦٠/١) واسناده صحيح .

وانك لا تحرز أجرها مع التخلف عنها بحال . واحتجوا في ذلك بقوله ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » . انتهى كلامه (١) .

٢ - حديث ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه عذر، قال : وما العذر؟ . قال : خوف أو مرض ، لم تقبل منه صلاته التي صلى » .
رواه أبو داود والدارقطني والحاكم (٢) كلهم بطرق عن أبي جناب ، عن مغراء العبدى ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عنه .
قال أبو داود : روى عن مغراء أبو إسحاق أيضاً .
وسكت عليه الحاكم والذهبي :

ومغراء : بفتح أوله وسكون المعجمة - أبو مخارق الكوفي ذكره ابن حبان في الثقات وطعن فيه عبد الحق وتكلم فيه الذهبي . قال ابن القطان : أنكر على عبد الحق طعنه في حديثه . ولا يعرف فيه تجريح .

وفيه يحيى بن أبى حية ، أبو جناب الكلبي : قال الحافظ : ضعفه لكثرة تدليسه .
وقال المنذرى : أبو جناب يحيى بن أبى حية الكلبي ضعيف واخرجه ابن ماجه بنحوه واسناده أمثل وفيه نظر . انتهى .
وحديث ابن ماجه الذى أشار إليه المنذرى هو بلفظ « من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر » .

رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم (٣) كلهم من طرق عن هشيم بن بشير عن شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . كما رواه الحاكم أيضاً بطريق عبد الرحمن بن غزوان أبى نوح المعروف بقراد عن شعبة . وقال : هذا الحديث قد أوقفه غندر وأكثر أصحاب شعبة ، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهشيم ، وقراد أبو نوح ثقتان ، فإذا وصلاه فالقول فيه قولهما . انتهى . ووافقه الذهبي وقال : الدارقطني بعد ذكر هذا الحديث بطريق هشيم بن بشير عن شعبة . حدثنا ابن مبشر وآخرون قالوا : أخبرنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد عن شعبة باسناده نحوه .
ثم قال : رفعه هشيم ، وقراد شيخ من البصريين مجهول . انتهى .

(١) مختصر المنذرى : (٢٩٢/١) وهامش سنن أبى داؤد (٣٧٤/١) .
(٢) أبو داؤد (٣٧٤/١) والدارقطني (٤٢٠/١) والحاكم (٢٤٥/١) .
(٣) ابن ماجه (٢٦٠/١) والدارقطني (٤٢٠/١) والحاكم (٢٤٥/١) .

وقرأ هذا الذي زعمه الدارقطني هنا أنه مجهول قد وثقه هو نفسه في الجرح والتعديل كما نقله عنه الحافظ في التهذيب^(١).

قال الحافظ : ورواه قاسم بن اصبغ في مسنده موقوفاً ومرفوعاً من حديث شعبة عن عدى بن ثابت به ولم يقل في المرفوع : «إلا من عذر». ثم ذكر كلام الحاكم وأنه أخرج في مستدركه بعض الشواهد، منها: عن أبي موسى الأشعري وهو من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين عن أبي بردة عنه بلفظ: من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له. ثم قال: ورواه البزار من طريق قيس بن الربيع عن أبي حسين أيضاً. ورواه من طريق سماك عن أبي بردة عن أبيه موقوفاً. وقال البيهقي: الموقوف أصح. ورواه العقيلي في الضعفاء من حديث جابر، وضعفه، ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وضعفه. «انتهى كلام الحافظ»^(٢).

وقال الحاكم : وقد صحت الرواية فيه عن أبي موسى عن أبيه (هكذا والصحيح عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه). ووافق الذهبي على تصحيح الحديث^(٣).
قال الكاساني : «تجب الجماعة على الرجال العاقلين الأحرار القادرين عليها من غير حرج. فلا تجب على النساء والصبيان والمجانين والعبيد والمقعد ومقطوع اليد والرجل من خلاف والشيخ الكبير لا يقدر على المشي والمريض «انتهى»^(٤) لأن هؤلاء من أصحاب الأعداء.

٤ - حديث جابر بن عبد الله : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد «وهو حديث مشهور بين الناس وليس له اسناد ثابت. فقد رواه الدارقطني^(٥) عن جابر بن عبد الله وفيه: محمد بن سكين الشقري المؤذن. قال عنه الذهبي: لا يعرف وخبره منكر. وقال البخاري: في اسناد حديثه نظر. ورواه العقيلي في الضعفاء وضعفه. ورواه أيضاً هو والحاكم^(٦). عن أبي هريرة: وفيه سليمان بن داود اليمامي قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان متروك. ورواه ابن عدى في الكامل وضعفه، ورواه أيضاً عن علي بن أبي طالب. وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف جداً.

(١) التهذيب : (٢٤٩/٦).

(٢) انظر التلخيص الحبير : (٣٠/٢).

(٣) انظر المستدرک : (٢٤٦/١).

(٤) البدائع : (٤٢٢/١).

(٥) الدارقطني : (٤٢٠/١).

(٦) المستدرک : (٢٤٦/١).

وقال ابن الجوزى : رواه عمر بن راشد من حديث عائشة . قال ابن حبان : لا يحل ذكر عمر إلا على سبيل القدر فيه (١) .

ذكر السيوطى فى الجامع الصغير (٢) . والعجلونى فى كشف الخفاء (٣) .
وقالا : إنه ضعيف . هذه هى بعض ما روى فى هذا الموضوع وإليكم الآن :

وجهة نظر الجمهور القائلين بعدم وجوب الجماعة :

نظر الجمهور إلى الأحاديث التى مر ذكرها، وإلى الأحاديث التى تفضل الجماعة على الفرد بدرجات فقالوا : نحمل هذه الأحاديث على تأكيد الجماعة وعدم التهاون فيها لأن قوله ﷺ : «على صلاته وحده» يقتضى صحة صلاته منفرداً لاقتضاء صيغة «أفعل» الاشتراك فى أصل التفاضل فان ذلك يقتضى أيضاً وجود فضيلة فى صلاة المنفرد . وما لا يصح لا فضيلة فيه .

قال الإمام الشافعى : «ومنعنى أن أقول إن صلاة الرجل لا تجوز وحده وهو يقدر على جماعة بحال تفضيل النبى ﷺ صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، ولم يقل لا تجزى المنفرد صلاته، وأنا قد حفظنا أن قد فاتت رجالاً معه الصلاة فصلوا بعلمه منفردين، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا، وأن قد فاتت الصلاة فى الجماعة قوماً فجاءوا المسجد فصلى كل واحد منهم منفرداً، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا فى المسجد، فصلى كل واحد منهم منفرداً» (٤) .

قال القرطبى : ولا يقال ان لفظة «أفعل» قد ترد لإثبات صفة الفضل فى إحدى الجهتين كقوله تعالى : ﴿وأحسن مقيلاً﴾ . لأننا نقول : إنما يقع ذلك على قلة حيث ترد صيغة «أفعل» مطلقة غير مقيدة بعدد معين . فإذا قلنا : هذا العدد أزيد من هذا بكذا فلا بد من وجود أصل العدد .

ولا يقال : يحمل المنفرد على المعذور لأن قوله : صلاة الفرد صيغة عموم فىشمل من صلى منفرداً بعذر، وبغير عذر فحمله على المعذور يحتاج إلى دليل . وأيضاً ففضل الجماعة حاصل للمعذور (٥) .

(١) الموضوعات : (٩٣/٢) . وانظر المجروحين لابن حبان : (٩٣/٢) .

(٢) ٤٣١ / ٦ : (مع فيض القدين) .

(٣) كشف الخفاء : (٣٦٥/٢) .

(٤) الأم : (١٥٥/١) .

(٥) أنظر فتح البارى : (١٣٦/٢) .

ويحتج على الظاهرية القائلين بالوجوب بحديث أبي هريرة أنه بمقتضى مذهبهم لا يدل على وجوب الجماعة في غير الفجر والعشاء. لأنهم يأخذون بالظاهر. فإذا ثبت أن الصلوات الأخرى غير واجبة، وجب أن نحمل حديث أبي هريرة على غير الوجوب أيضاً لأن الصلوات الخمس لا يختلف حكمها .
فإذا كان كذلك وجب تأويل حديث أبي هريرة حتى يصلح أن يكون حكمه مثل الصلوات الأخرى .

وإليك بعض هذه التأويلات نقلاً من الحافظ :

١ - إن النبي ﷺ هم بالتوجه إلى المتخلفين، فلو كانت الجماعة فرض عين ما هم بتركها إذا توجه .

وتعقب بأن الواجب يجوز تركه لما هو أوجب منه كما أن تركه لها حال التحريق لا يستلزم الترك مطلقاً لإمكان أن يفعلها في جماعة آخرين قبل التحريق أو بعده .

٢ - إنها لو كانت شرطاً أو فرضاً ليين ذلك عند التوعد .

يجاب بأن النبي ﷺ قد دل على وجوب الحضور وهو كاف في البيان .

قال ابن دقيق العيد : بأن البين قد يكون بالتنصيص وقد يكون بالدلالة .

فلما قال : قد «هممت» دل على وجوب الحضور .

٣ - قال الباجي وغيره : إن الخبر ورد مورد الزجر، وحقيقته غير مرادة، وإنما المراد -

المبالغة ويرشد إلى ذلك وعيدهم بالعقوبة التي يعاقب بها الكفار .

وقد انعقد الإجماع على منع عقوبة المسلمين بذلك .

وأجيب بأن المنع وقع بعد نسخ التعذيب بالنار وكان قبل ذلك جائزاً بدليل حديث أبي

هريرة قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار» .

ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج : «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً . وإن النار لا

يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما» .

رواه البخاري في الجهاد في باب لا يعذب بعذاب الله وأصحاب السنن . إلا أن هذا

الحكم كان خاصاً بالكفار .

٤ - أن النبي ﷺ ترك تحريقهم بعد التهديد فلو كان واجباً ما عفا عنهم .

قال القاضي عياض : ليس في الحديث حجة لأنه ﷺ هم ولم يفعل وزاد النووي : ولو

كان فرض عين لما تركهم .

وأجاب ابن دقيق العيد فقال : هذا ضعيف لأنه لا يهيم إلا بما يجوز له فعله ، وأما الترك فلا يدل على عدم الوجوب لاحتمال أن يكون انزجروا بذلك وتركوا التخلف الذى ذمهم بسببه وقد جاء فى بعض الطرق بيان سبب الترك وهو فيما رواه أحمد من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة بلفظ : لولا ما فى البيوت من النساء والذرية لاقمت صلاة العشاء وأمرت فتيانى يحرقون . الحديث (١) .

٥ - قالوا : إن المراد بالتهديد قوم تركوا الصلاة رأساً لا مجرد الجماعة وهو متعقب بأن فى رواية مسلم «لا يشهدون الصلاة» أى لا يحضرون ، وفى رواية أحمد «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . أى فى الجماعة .

٦ - إن هذا التهديد ورد فى حق المنافقين لتركهم الجماعة . تعقب باستبعاد الاعتناء بتأديب المنافقين على تركهم الجماعة مع العلم بأنه لا صلاة لهم . وبأنه ﷺ كان معرضاً عنهم وعن عقوبتهم مع علمه بطويتهم . وقد قال : «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» . وتعقب هذا التعقيب ابن دقيق العيد بأنه لا يتم إلا أن ادعى أن ترك معاينة المنافقين كان واجباً عليه ولا دليل على ذلك وليس فى اعراضه عنهم ما يدل على وجوب ترك عقوبتهم (٢) .

قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات : والذى يظهر لى أن الحديث ورد فى المنافقين لقوله فى صدر الحديث : «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء . . .» . وبقوله ﷺ : «لويعلم أحدكم» لأن هذا الوصف لا يثق بالمنافقين لا بالمؤمن الكامل ، لكن المراد به نفاق المعصية ، لا نفاق الكفر بدليل قوله فى رواية عجلان : «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . وقوله فى حديث أسامة : «لا يشهدون الجماعة» وأصرح من ذلك قوله فى رواية يزيد بن الأصم عن أبى هريرة عند أبى داود : «ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة» . فهذا يدل على أن نفاقهم نفاق معصية لا كفر . لأن الكافر لا يصلى فى بيته إنما يصلى فى المسجد رياء وسمعة ، فإذا خلا فى بيته كان كما وصفه الله به من الكفر والاستهزاء . انتهى (٣) .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن أم مكتوم وغيره من أصحاب الاعذار بأن النبى ﷺ لم يجد لهم رخصة تحصل لهم فضيلة الجماعة من غير حضورها ، وليس معناه إيجاب الحضور

(١) هذه الزيادة لا تصح وقد سبق بيانه .

(٢) احكام الأحكام : (١/١٦٥) .

(٣) فتح البارى : (٢/١٢٧) .

على الأعمى ، بدليل أنه ﷺ رخص لعثمان بن مالك - رضى الله عنه - حين قال : يا رسول الله إن السيول تحول بينى وبين مسجد قومي ، فأحب أن تأتيني في مكان من بيتي اتخذته مسجداً . فقال رسول الله ﷺ : « سنفعل » . فلما دخل النبي ﷺ قال : « أين تريد؟ » . فأشار إلى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ فصففنا خلفه ، فصلى بنا ركعتين .

وفي رواية إن عثمان بن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى ، وأنه قال لرسول الله ﷺ : إنها تكون الظلمة ، والسيول ، وأنا رجل ضرير البصر ، فصل يارسول الله في بيتي مكاناً اتخذته مصلى . . . الخ (١) .

وقالوا أيضاً : إن النبي ﷺ لم يأمر رجلين صلياً في رحالهما باعادة الصلاة . ولم يبين لهم أن حضور الجماعة واجب وهذا وقت بيانه .

ثم الاستدلال بحديثي الأعمى وأبي هريرة على وجوب مطلق الجماعة ففيه نظر . لأن الدليل اخص من الدعوى إذ غاية ما في ذلك وجوب حضور جماعة النبي ﷺ في مسجده لسامع النداء .

وكان من جملة أدلتهم أيضاً حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً وهو « إن اعظم الناس في الصلاة أجراً أبعدهم إليها ممشى ، والذي ينتظر الصلاة يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلى ثم ينام » (٢) .

وأيضاً حديث أبي هريرة بهذا المعنى (٣) .

وأما حديث ابن عباس المتقدم بلفظ « من سمع النداء فلم يأت الصلاة فلا صلاة له إلا من عذر » . فإن المراد به كاملة على أن في اسناده يحيى بن أبي حية أبو جناب ضعيف كما سبق . والله تعالى أعلم بالصواب .

الثاني : كيف تحصل فضيلة الجماعة؟

تحصل فضيلة الجماعة بالاثنتين وأكثر لأن النبي ﷺ اطلق في قوله : « أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة » . فسوى الجماعات في الفضل سواء كثرت أم قلت .

(١) رواه البخارى : (١٥٧/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٥٥/١) والنسائي (٨٠/٢) .

(٢) رواه البخارى : (١٣٦/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٦٠/١) .

(٣) رواه أبو داود : (٣٧٧/١) وابن ماجه (٢٥٧/١) وأحمد (٣٥٠/٢ ، ٤٢٨) بطرق عن ابن أبي ذئب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عبد الرحمن بن سعد ، عن أبي هريرة مرفوعاً : ولفظه « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً » وعبد الرحمن بن مهران - الهاشمي مولاهم - قال عنه الحافظ في التقریب : مجهول . وقال الخزرجي في الخلاصة : وثقة ابن حبان . أقول لأنه مشى على قاعدته وهى توثيق المجاهيل ، فانه لم يرو عنه إلا ابن أبي ذئب .

وقد روى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن إبراهيم النخعي أنه قال: إذا صلى الرجل مع الرجل فهما جماعة، لهم التضعيف خمسا وعشرين^(١) انتهى .

ولكنه لا ينفى مزيد الفضل إذا كان أكثر، لاسيما مع وجود النص المصرح به وهو ما رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغيره من حديث أبي بن كعب مرفوعاً: صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما أكثر فهو أحب إلى الله^(٢) .

والصحيح أن الجماعة تحصل باثنين لما رواه مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ أنا وصاحب لي، فلما أردنا الاقفال من عنده قال: إذا حضرت الصلاة فأذنا، ثم أقيما وليؤمكما أكبركما^(٣) .

وقد بوب البخارى في صحيحه : الاثنان فما فوقهما جماعة . وهذه ترجمة مأخوذة من حديث ورد من طرق ضعيفة منها في ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري وفي معجم البغوى من حديث الحكم بن عمير، وفي أفراد الدارقطنى من حديث عبد الله بن عمر، وفي البيهقى من حديث أنس، وفي الأوسط للطبرانى وعند أحمد من حديث أبي امامة : «أنه رأى رجلاً يصلى وحده فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه؟ فقام رجل فصلى معه فقال: هذان جماعة» والقصة المذكورة دون قوله «هذان جماعة» أخرجها أبو داود والترمذى من وجه آخر صحيح^(٤) .

وقال الإمام النووي : «قال أصحابنا: أقل الجماعة اثنان إمام ومأموم، فإذا صلى رجل برجل، أو بأمراته، أو أمته، أو بنته أو غيرهم أو بغيلامه، أو بسيدته، أو بغيرهم حصلت لهما فضيلة الجماعة التى هى خمس أو سبع وعشرون درجة، وهذا لا خلاف فيه . ونقل الشيخ أبو حامد وغيره فيه الاجماع»^(٥) .

وذلك بدون تفريق ما بين الفرض والنفل . وذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا تنعقد الجماعة بصبي، وذهب هو فى رواية، والإمام مالك إلى الصحة فى النافلة دون الفرض .

(١) المصنف : (٥٣١/٢) .

(٢) أحمد : (١٤٠/٥) وأبو داود (٣٧٦/١) والنسائى (١٠٥/٢) .

(٣) رواه البخارى : (١١١/٢) مع الفتح) ومسلم (٤٦٥/١) وأبو داود (٣٩٦/١) والترمذى (٣٩٩/١) والنسائى (٧٧/٢) .

(٤) انظر فتح البارى : (١٤٢/٢) .

(٥) انظر شرح المهذب : (٨١/٤) .

وعموم الأحاديث قاضية على هذا الخلاف، لأن النبي ﷺ لم يبين بأن الجماعة لا تنعقد مع صبي فالأمر على الأصل حتى يثبت بالدليل ما يخالفه .

الثالث : العدد الصحيح لمضاعفة فضل صلاة الجماعة على الفرد

قال الترمذى : عامة من روى هذا الحديث قالوا خمساً وعشرين إلا ابن عمر فإنه قال : سبعا وعشرين .

قال الحافظ : لم يختلف عليه في ذلك إلا ما وقع عند عبد الرزاق^(١) عن عبد الله العمرى عن نافع فقال فيه : خمس وعشرون . لكن العمرى ضعيف . ووقع عند أبي عوانة في مستخرجه من طريق أبي أسامة عن عبيد الله بن عمر عن نافع فإنه قال فيه : بخمس وعشرين وهى شاذة مخالفة لرواية الحفاظ من أصحاب عبيد الله وأصحاب نافع وإن كان راويها ثقة^(٢) . وأما ما وقع عند مسلم من رواية الضحاك بن عثمان عن نافع بلفظ بضع وعشرين فليست مغايرة لرواية الحفاظ لصدق البضع على السبع وأما غير ابن عمر فصح عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن مسعود، عند أحمد وابن خزيمة، وعن أبي بن كعب عند ابن ماجه، والحاكم، وعن عائشة وأنس عند السراج وورد أيضاً من طرق ضعيفة عن معاذ وصهيب وعبد الله بن زيد بن ثابت وكلها عن الطبرانى واتفق الجميع على خمس وعشرين سوى رواية أبي فقال : أربع أو خمس على الشك وسوى رواية أبي هريرة عند أحمد فقال فيها : سبع وعشرون، وفي اسنادها شريك القاضى وفي حفظه ضعف، وفي رواية لأبي عوانة بضعاً وعشرين، وليست مغايرة أيضاً لصدق البضع على الخمس، فرجعت الروايات كلها إلى الخمس والسبع إذاً لا أثر للشك، واختلف في أيهما أرجح فقيل : رواية الخمس لكثرة روايتها، وقيل رواية السبع لأن فيها زيادة من عدل حافظ^(٣) .

(١) المصنف : (١/٥٢٤) إلا أنه رواه عن عبيد الله بن عمر العمرى : (وهو ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب) وهو ثقة غير أن أخاه عبد الله بن عمر ضعيف .

فلا ادرى هل كان في نسخة الحفاظ هكذا كما قال أو وقع فيه تصحيف .

(٢) أقول : ومن أصحاب عبيد الله، شعيب، رواه البخارى عنه، ويحيى بن سعيد الانصارى رواه مسلم والدارمى وابن ماجه، وأبو أسامة وابن نمير رواه عنها مسلم، وأيوب بن أبي تميمة السختياني عند البيهقى، وعبد الترمذى وعبد الوهاب بن عبد المجيد عند ابن خزيمة، هؤلاء كلهم رَوَوْا عن عبيد الله بن عمر . فقالوا : خمس وعشرون إلا الضحاك عند مسلم فقال : بضع وعشرون .

ولقد استقصيت هذه الطرق في كتابى : أبو هريرة في ضوء مروياته (غير مطبوع) .

(٣) ذكرت أحاديث بعض هؤلاء في الجزء المطبوع من : أبو هريرة في ضوء مروياته ص ١٣٤-١٣٧ .

ثم قال : وقد جمع بين روايتي الخمس والسبع بوجوه :

منها : أن ذكر القليل لا ينفي ذكر الكثير ، وهذا قول من لا يعتبر مفهوم العدد .

ومنها : أن النبي ﷺ أخبر بالخمسة ثم أعلمه الله تعالى بزيادة الفضل ، فأخبره بالسبع وتعقب بأنه يحتاج إلى التاريخ وبأن دخول النسخ في الفضائل مختلف فيه .

ومنها : الفرق باعتبار قرب المسجد وبعده .

ومنها : بحال المصلى كأن يكون أعلم وأخشع .

ومنها : إيقاعها في المسجد أو غيره .

ومنها : الفرق بالمتنظر للصلاة وغيره .

ومنها : الفرق بإدراك كلها أو بعضها .

ومنها : الفرق بكثرة الجماعة وقتلتهم .

وقد رجح الحافظ دخول مفهوم الخمس تحت مفهوم السبع .

وقال : الحكمة في هذا العدد الخاص غير محققة المعنى ، ونقل الطيبي عن التوربشتي ما حاصله : إن ذلك لا يدرك بالرأى بل مرجعه إلى علم النبوة التي قصرت علوم الألباب عن إدراك حقيقتها كلها . انتهى كلام الحافظ من الفتح .

وقد أطال الحافظ الكلام في هذا الحديث وبيان المفهوم المراد من العدد . فمن أحب الأطلاع عليه فليرجع إليه .

والذى يظهر لى أن بيان فضائل الاعمال بالاعداد أمر معروف وشائع في الشريعة الإسلامية في مثل فضائل التسبيح والتهليل والتحميد وهو أمر متعارف أيضاً بين الناس في المسابقة والمناقشة لتعين أجر معدود لمن فعل كذا ولمن فعل كذا . . .

والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين وإلى حلقة أخرى إن شاء الله تعالى .

* * *

تصحيح

جاء في العدد ٥٨ في مقال (صلاة المسافر) ص ٧٧ أن أنس بن مالك هو خادم رسول

الله ﷺ .

والصواب أنه أنس بن مالك الكعبي . وليس له في كتب الحديث إلا هذا الحديث

الذي ذكر في المقال . . فليتنبه .

العقيدة

وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ

وَبَيَانُ اسْبَابِ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ

لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَزِيزِيِّ بْنِ بَازٍ
الرَّئِيسِ الْعَامِلِ لِإِدَارَةِ مَجْمُوعَةِ الْعِلْمِ وَالْإِفْتَاءِ وَالِدَعْوَةِ وَالْإِسْلَامِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :-
أما بعد : فإن أهم واجب على المكلف واعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه ،
رب السموات والأرض ورب العرش العظيم القائل في كتابه الكريم : ﴿ إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ .
وأخبر سبحانه في موضع آخر من كتابه انه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل : ﴿ وما خلقت
الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ . وهذه العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها وهي توحيد
بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر
والخوف والرجاء والاستغاثة وسائر أنواع الدعاء ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره
وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه افضل الصلاة
والتسليم ، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التي خلقوا لها وارسل الرسل جميعاً
وانزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفصيلها والدعوة إليها باخلاصها لله وحده كما قال تعالى :
﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ . وقال عز
وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحساناً ﴾ . ومعنى قضى في هذه الآية
أمر وأوصى وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ . والآيات في هذا المعنى في كتاب الله كثيرة ، وقال عز وجل
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ . وقال
سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في
شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً ﴾ .
وقال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في
كل أمة رسولاً إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿ وما أرسلنا من

قبلك من رسول إلا نوحى إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿١﴾ . وقال تعالى : ﴿الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير﴾ .

فهذه الآيات المحكمات وما جاء فى معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب اخلاص العبادة لله وحده وإن ذلك هو أصل الدين ، وأساس الملة ، كما تدل على أن ذلك هو الحكمة فى خلق الجن والإنس وارسال الرسل وانزال الكتب فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو فى الأنبياء والصالحين والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها ، وسؤالهم والاستغاثة بهم واللجأ إليهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر ، وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل ، ففى الصحيحين عن معاذ - رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال له : «اتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله» . فقال معاذ : الله ورسوله أعلم . فقال النبى ﷺ : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» . الحديث . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» . وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وهذه المسألة هى أهم المسائل واعظمها وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد والنهى عن الشرك فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام اكمل قيام وأوذى فى الله اشد الأذى فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه - رضى الله عنهم - على تبليغ الدعوة حتى ازال الله من الجزيرة العربية جميع الاصنام والاوثان ودخل الناس فى دين الله افواجاً وكسرت الاصنام التى حول الكعبة وفى داخلها ، وهدمت اللات والعزى ومناة ، وكسرت جميع الاصنام التى فى قبائل العرب ، وهدمت الاوثان التى لديهم وعلت كلمة الله .

وظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد إلى خارج الجزيرة وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد ونشر الله بهم الحق والعدل فى غالب ارجاء المعمورة وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق ودعاة العدل والاصلاح وسار على سبيلهم من التابعين واتباعهم باحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون فى الله لومة لائم فايدهم الله ونصرهم وظهرهم على من ناوأهم ووفى لهم بما وعدهم به فى قوله سبحانه :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ . وقوله عز وجل :
﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾ . ثم غير الناس بعد ذلك
وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد وآثروا الراحة واتباع الشهوات وظهرت فيهم المنكرات إلا من
عصم الله سبحانه فغير الله عليهم وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا : ﴿وما ربك بظلام
للعبيد﴾ . قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ . فالواجب على
جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله سبحانه وإخلاص العبادة له وحده والتوبة
إليه مما سلف من تقصيرهم وذنوبهم والبدار بإداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد
عما حرم عليهم والتواصي فيما بينهم بذلك والتعاون عليه .

ومن أهم ذلك إقامة الحدود الشرعية وتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء
والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وعدم التحاكم إليها والزام جميع
الشعوب بحكم الشرع كما يجب على العلماء تفتيهم الناس في دينهم ونشر التوعية الإسلامية
بينهم والتواصي بالحق والصبر عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع الحكام على
ذلك ، كما يجب محاربة المبادئ الهدامة من شيوعية واشتراكية وبعثية وتعصب للقوميات
وغيرها من المبادئ والمذاهب المخالفة للشريعة ، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان
فاسداً ويرد لهم ما كان شارداً ويعيد لهم مجدهم السابق وينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم
في الأرض كما قال تعالى وهو اصدق القائلين : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ . وقال
تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ . وقال
سبحانه : ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار﴾ .

والله المسئول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه في الدين
ويجمع كلمتهم على التقوى ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وينصر بهم الحق ويخذل بهم
الباطل وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه إنه ولي
ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا
محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

الفكرة السنّية والحاجة إليها

للسيد محمد رشيد رضا

عضو مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي - باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وسيد العالمين، محمد وعلى آله الذين هم أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد : قال الله عز اسمه : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ . (سورة آل عمران / ١٩) ، والإسلام هو الانقياد الكامل ظاهراً وباطناً، فالمسلم هو المنقاد الكامل لله تعالى ، ولا نعنى بالانقياد الكامل الظاهري والباطني إلا أن ينقاد العبد لله تعالى في عقائده وافكاره، ومنهج فكره وأخلاقه، وأعماله في حياته الفردية وحياته الاجتماعية، وبالجملة : لا تبقى شعبة من شعب حياته سواء كانت فردية أو اجتماعية إلا وهي تابعة ومنقادة لأوامر ربه تعالى ونواهيه، وقال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ . (سورة البقرة) .

أجزاء الحياة الانسانية :

الحياة الإنسانية تنقسم إلى اجزاء كثيرة، وتجزئتها إلى جميع اجزائها خارجة عن موضوعنا، بل يكفي لنا أن نقسمها إلى جزئها اللذين نراهما في بادئ النظر ولا نحتاج إلى التفكير العميق لمعرفةهما، بل يكفي لشعورهما أدنى التفكير، وهما كما ترى الحياة الفكرية أو التفكير، والحياة العملية أو العمل، فالإنسان يتفكر ويعمل، ولا بد له من التفكير كما لا بد له من العمل .

الإسلام يطالب بانقياد كلا الجزئين في حياتنا :

وهذه التجزئة تدلنا إلى أن معنى الآية المذكورة آنفاً أنه يجب أن تدخل حياتنا الفكرية في الإسلام كما تدخل حياتنا العملية فيه، وتنقاد لهداية الله تعالى شأنه في الحياة الفكرية كما تنقاد لها في الحياة العملية .

معنى الانقياد في الحياة الفكرية :

الانقياد في العمل واضح لا حاجة لتوضيحه، فإن كلنا يعرف أن معناه أن نعمل كما أمرنا الله بوساطة كتابه ورسوله ﷺ فنأتي بها أمرنا به ونحذر عما نهى عنه . أما الانقياد في الحياة

الفكرية فمعرفته أدق من هذا، لأن له ثلاث شعب وأحدى شعبها معروفة عند الخواص والعوام، وشعبتان منها لا يعرفهما إلا أخص الخواص .

أما الشعبة الأولى المعروفة عند الناس فهي : شعبة العقيدة، وحقيقتها أن نعتقد ما أمر الله به أن نعتقده ونؤمن ونستيقن به، فنؤمن بوحداية الله تعالى مثلاً، ونستيقن أن الشرك بأقسامه كلها باطل، وكذلك نؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ وبأن القرآن كلام الله وكتابه، وقس على هذا .

وأما الشعبة الثانية التي هي غير معروفة عند الناس فهي : شعبة الوجهة الفكرية .
وأما الشعبة الثالثة التي هي أيضاً غير معروفة عندهم فهي : شعبة منهاج الفكر أى طريق التفكير . والإسلام يطالبنا بالانقياد فى هاتين الشعبتين أيضاً كما يطالبنا بانقياد فكرنا وذهننا فى الشعبة الأولى، ولا بد لحصول الإسلام الكامل من انقياد افكارنا لأوامر الله تعالى ونواهيه فى هاتين الشعبتين أيضاً، وسنلقى الضوء على هاتين الشعبتين مفصلاً فى السطور الآتية لدقتها وخفائها على أكثر الناس .
الوجهة الفكرية :

إن الله العليم الحكيم خلق الإنسان وأعطاه القوة الفكرية، وهذا العطاء عام للمؤمن والكافر والتقى والفاجر، فإنه لا فرق بينهما فى نفس القوى الذهنية والاستعداد للتفكير والتأمل والنظر، أما ما يميز المؤمن من غير المؤمن من هذه الناحية فأمران : «الوجهة الفكرية» و«المنهاج الفكرى» ونقدم تنوير الوجهة الفكرية :

الحركة الإرادية لا بد لها من هدف ومقصد تسكن المتحرك إذا وصل إليه، فلا بد للحركة الفكرية من هدف ومقصد تنتهى إليه ويسكن الذهن إذا وصل إليه، فإرادة مقصد وهدف هى التى نسميها بـ «الوجهة الفكرية». وينقسم الفكر إلى قسمين باعتبار المقصد والهدف :

الأول : ما أريد به حصول معلوم جديد فحسب .

الثانى : ما قصد به الانتفاع والاستفادة بمعلوم جديد كما قصد به حصوله .

فالوجهة الفكرية على نوعين : أى الوجهة إلى العلم للعلم، والوجهة إلى العلم والانتفاع به، مثال الأول: الوجهة الفكرية لعالم الفلكيات المولع بها فى كثير من تفكراته فى مسائلها فإنه يجتهد ويتفكر ليعلم أن الكواكب كذا مثلاً ما شأنه؟ ماهى أحواله الطبيعية؟ هل فيها جبال ووهاد؟ وما هو بعده من الشمس؟ إلى غير ذلك من العلوم التى لا تفيد العالم بها شيئاً إلا أنها تعد فوائد فى أنفسها لأنها جديدة لم تكن حاصلة له قبل التفكير، وتنوع

باختلاف العلوم المقصودة، فإن وجهة فكر الرياضي مثلاً مغايرة لوجهة فكر الطبيعي .
ومثال الثانى : تفكر الفلكى فى نفس تلك الكواكب وفى أحوالها الطبيعية وخواصها
لينتفع بهذا العلم كتفكره مثلاً فى حركات الشمس والقمر ليعلم عدد السنين والشهور
والحساب، ويعرف زمان المد والجزر فى البحار، وكذلك تفكر الطبيب فى عالم النبات
لاستخدامها لأصلاح البدن وإزالة الأمراض، فإن وجهة فكره هى العلم مع الانتفاع به .
وتتنوع باختلاف المنفعة المقصودة فإن وجهة فكر الفلكى هى الانتفاع بمعرفة حركة
الشمس مثلاً فى عدد السنين والحساب، وأما الطبيب فغاية علمه بالنبات مثلاً هى نفعها
للجسم الإنسانى من خشية دفع المرض أو تقويته، فوجهة فكره مغايرة لوجهة فكر الفلكى
منهاج التفكير :

معناه طريق التفكير والنظر، ويمتاز أحد المنهجين من الآخر بامتياز المتفكر فيه والوجهة
الفكرية وكيفية حركة الذهن فى الحركة الفكرية، وينقسم إلى قسمين كبيرين باعتبار المتفكر
فيه والوجهة الفكرية وكيفية حركة الذهن :
الأول : تحريك القوة الفكرية فى أمر وبكيفية لا دخل لها فى سعادة النفس وشقاؤها
بحسب نفس الأمر أو بحسب زعم المتفكر .

الثانى : تحريكها فى أمر بكيفية لها أو لأحدهما دخل فى سعادة النفس وشقاؤها، فهنا
منهاجان للتفكر كأنهما نوعان من الفكرة، والفكرة الأولى نسميه «الفكرة الطبيعية» لأن هذا
المنهج هو المختار فى العلوم الطبيعية كالتطبيبات والكيمياء والرياضة وأمثالها من العلوم التى لا
دخل لها فى أنفسها فى سعادة النفس وشقاؤها .

الفكرة الثانية نسميها «الفكرة النفسية» لتأثير مسائلها على النفس الإنسانية من
حيث السعادة والشقاء، وهى المختارة فى علوم التمدن والمعاشرة غالباً كالأخلاقيات
والسياسيات والمعاشيات وأمثالها من العلوم التى لها دخل فى سعادة النفس وشقاؤها .
الاختلاف بين منهج التفكير :

ثم إننا نجد اختلافاً كثيراً بين المتفكرين فى منهج التفكير، واختيار طريق الفكر
والنظر، فهذا شاعر ينظر إلى الورد لألوانه الجميلة، وذاك طبيب يتفكر فى نفس ذلك الورد
لخواصه النافعة للمرضى، وإن الرياضى يتفكر فى القمر فى حركته ومطالعه ومغاربه وبعده
من أجرام أخرى، كما أن الطبيعى يمعن النظر فيه ليعرف أحواله الطبيعية من جباله ووهاده
وكتافته وثقله وأمثالها من الأمور الطبيعية التى يبحث عنها فى الطبيعات، ولا نعنى بالاختلاف

في المنهج الاختلاف المنطقي أو الاختلاف في مادة الفكر، وإنما نعني الاختلاف النفسى في الوجهة الفكرية وأمثالها من الاختلاف في العقائد والعواطف والميول النفسية .

مسألة مهمة :

إننا إذا نظرنا إلى الاختلاف المذكور قريباً بين المناهج الفكرية واجهتنا مسألة مهمة، وهى أن ديننا الإسلام دين كامل فهل عنده من منهج فكرى يمتاز عن سائر المناهج الفكرية؟ وهل يطالبنا الدين الحق اتباعه؟ أم جعل لنا الخيرة فى استخدام أى منهاج وطريق للتفكير والنظر حسب ما نختار ونرضى؟ هل يجوز لنا أن نسلك فى الفكرة الطبيعية مسلك الجاهلين عن الإسلام أو الضالين الذين هم أعداؤه؟ أيباح لنا أن ننظر إلى العالم كما ينظر إليه كافر منكر لقدرة الله تعالى شأنه وعظمته؟ أم يجوز لنا أن نختار فى الفكرة النفسية منهاج التفكير الذى تختاره أوربيون أو أمريكيون الذين هم منكرون للدين المبين كافرون به؟ كيف وإن الإسلام هداية كاملة، فلا بد لنا أن يعلمنا منهاجاً خاصاً للتفكير، لأن المزاج الخاص الذى تمتاز به أمة من أمة يحتاج إلى منهاج فكرى خاص بها لحصوله وبقائه .

ولا حاجة إلى التصريح بأنه لا يتصور قوام أمة بدون مزاجها المخصوص بها، فإذا فسد مزاجها أو ضعف أصبحت تدحض عن موقفها وتبدل قوامها حتى تصير أمة أخرى أو تحرم مقام الأمة وتصبح زحام أفراد متفرقة لا يصدق عليها اسم الأمة أو القوم، أليس هذا أمانة واضحة وبرهان جلى على أن الأمة المسلمة هداها الإسلام إلى منهاج خاص للتفكير والنظر تمتاز به عن سائر الأمم، وتحفظ بها مزاجها الخاص بها؟ وبعد ما أوصلنا العقل السليم إلى هذه الحقيقة الضرورية لا بد لنا أن نسأل القرآن المبين والسنة الكريمة عن وجود ذلك المنهاج المتين وحقيقته فاستمع لما يتلى عليك من الآيات الكريمة :

١ - قال الله تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ . (سورة التغابن) . ومعنى القلب هنا هو العقل وقوة التفكير، والآية تدل على أن الإيمان يهدى العقل واهتدائه أن يتفكر على منهاج صحيح، ويصل إلى هدف صحيح، ويفوز بمعرفة الحق، فتبين أن الإيمان يهدى العقل والفكر إلى منهاج خاص صحيح، ولا بد للمؤمن أن يتبع ذلك المنهاج .

٢ - وقال تعالى شأنه : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ . (سورة الحديد) . فما هذا الميزان؟ واضح أنه هو منهاج التفكير الذى علمه الكتاب والسنة ولا بد من اتباعه للوصول إلى «القسط» فى كل أمر، لأن الميزان المعد لوزن الأشياء المادية لم ينزل مع الرسل والأنبياء، وليس من فرائض النبوة تعليمه وتعريفه،

نعم تعليم الميزان الفكرى يناسب شأن الأنبياء والمرسلين ، وحقيقة انهم رفعوا الحجاب عن وجه هذا الميزان وأمروا متبعيهم باتباعه كما سيتضح إن شاء الله تعالى .

٣ - وقال الله عز اسمه : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ، والله غفور رحيم﴾ . (سورة الحديد) .
إن معنى النور ما هو ظاهر بنفسه مظهر لغيره ، والمراد بالنور ههنا هو نور الإيمان ، فالآية تدل على أن المؤمن يمشى بنور الإيمان ويهتدى به ، وبديهي أنه لم يرد ممشاه المادى بل المراد هو ممشاه الفكرى وأن المؤمن يهتدى وينبغى له أن يهتدى بإيمانه فى تفكره ويهتدى به غيره ، وذلك بأن النور المذكور ينور منهاج تفكره ، ويعينه على التمييز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، إن الآيات المتلوة قريبا تدل دلالة واضحة على أن الإسلام يهتدى إلى منهاج خاص للتفكر ، ويطلبنا باتباعه ومعرفة هذه الحقيقة توردا أمام السؤال عن نوعية ذلك المنهاج وكيفيته ، فلنشرع فى اجابة هذا السؤال وهو المقصود بالبيان فى هذه المقالة الوجيزة :

قد أسلفنا أن الفكرة على قسمين : الفكرة الطبيعية ، والفكرة النفسية ، ولهما منهاجان مختلفان لكونهما نوعين مختلفين من التفكير ، فينبغى أن نلقى الضوء على كل واحد منها على حدة بعد الكشف عن وجه القسم .
الفكرة السنّية :

إن منهاج التفكير الذى نريد تعريفه وبيانه فى هذه المقالة الموجزة ليس من مخترعات العقل بل هو ثابت بالكتاب والسنة القولية والعملية وكذلك بتعامل الصحابة - رضى الله عنهم - وبلفظ أخص هو سنة أى طريق مسلوک به وأمور باتباعه فى الإسلام ، ولذلك سميناه «بالفكرة السنّية» أضف إلى ذلك أننا إذا تصورنا السنة بمعنى أوسع وعرفناها بكل ما ثبت عن النبى الكريم ﷺ وهو الذى علمنا الكتاب الحكيم ، فمعنى الفكرة السنّية هى الطريقة التى عرفت بالسنة أى بالقرآن العظيم وحديث النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم كما نسمى بانفسنا أهل السنة والجماعة أى متبعى القرآن والحديث وجماعة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ونثلث التوجيه بالتنبيه على أمر واقعى وهو أن «الفكرة السنّية» خاصة بأهل السنة والجماعة لا تختارها ولا تتبعها جماعة غيرهم ، بل لا يريد ولا يتصور اختيارها واتباعها إلا أهل السنة .

وبناء على الوجوه المذكورة اخترنا لفظ «الفكرة السنّية» لمنهاج التفكير الذى هدانا إليه ديننا الإسلام ، ويمكن أن تسمى بـ «الإسلامية» أو «الفكرة الإيمانية» لكننا اتخذنا لفظ

«الفكرة السنّية» مصطلحاً في هذه المقالة الوجيزة ونستعمله في السطور الآتية لأنه أحسن الألقاب من ناحية دلالاته على حقيقة ثابتة أننا معاشر أهل السنة ممتازون بين سائر الملل باعتبار منهاج التفكير كما نمتاز بينهم لخصائص آخر .

ماهية الفكرة السنّية :

ما ذكرنا من قبل من الآيات الحكيمة إنما تدل على أن الدين المتين يطالبنا باتباع منهاج مخصوص في تفكرنا ونظرنا وأنه تعالى شأنه قد أخبرنا بوجوده في تعليم دينه ، أما ماهية هذا المنهاج أى ماهية «الفكرة السنّية» فلم يعلم بعد ، ونريد أن نلقى الضوء عليها في السطور التالية :

إن الماهية الكلية للفكرة السنّية قد نورها القرآن المبين وأوضحها سنّة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، ودل عليه عمل الصحابة اجمعين ، أما القرآن الكريم فنتلوا عليك منه أولاً هذه الآية المقدسة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ . (سورة يونس) . قد دلت الآية دلالة واضحة على أن المؤمن لا بد له أن يتفكر في ضوء إيمانه ويهتدى به إلى نتائج صحيحة في فكره ، ومعناه أن تكون مقدمات فكره ونظره مبنية على إيمانه ومعتقداته الحقّة ، ولا تكون غير مناسبة لها فضلاً عن كونها منافية لجزء من اجزاء الإيمان وكذلك لا تجوز أن تكون غير متعلق به كلية ، بل يجب أن تكون مربوطّة به ولو برابطة بعيدة دقيقة ، فيكون استدلاله واستنتاجه ولو في أمر دنيوى مبنياً على العقائد الحقّة التي هي اجزاء إيمانه ودينه . هذه هي «الفكرة السنّية» التي تهدي إلى علم نافع قطعاً في الآخرة أو فيها وفي الدنيا كليهما لمن يتبعها ويختارها في تفكره ، كما أنه يحفظه من الضرر في الآخرة والزلل في الدنيا ، وبهذا فسره البيضاوى - رحمه الله - حيث قال : بسبب إيمانهم إلى سلوك السبيل المؤدى إلى الجنة ولادراك الحقائق .

ولاشك أن لفظ «الهداية» عام في الآية لتنوير الطريقتين أى طريقة التفكير وطريقة العمل بل الأولوية للأولى لأنه لا بد من تقدم الفكر على العمل ، فدلالة الآية على أن المؤمن ينبغي له بل يجب عليه أن يهتدى به في أعماله وأخلاقه واضحة .

وثانياً : نتلو عليك الآيات الكريمة من سورة الفاتحة التي نتلوها مراراً في صلواتنا وقد علمنا الله فيها كلمات ندعوه بها ونسأله ما اشتملت عليه تلك الكلمات العظيمة ، فقال الله عز اسمه تعليماً لنا : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

إن الله تبارك وتعالى يأمرنا في كلامه هذا أن نتبع الصراط المستقيم ولا نزال متبعين له مستقيمين عليه حتى نلقى الله عز وجل ، وظاهر أن ﴿الصراط المستقيم﴾ في الآية شاملة لقسميه كليهما أى صراط الفكر وصراط العمل ، فتبين أنه يجب على المسلم أن يتبع في تفكره صراطاً أى منهاجاً هداه الله إليه بالقرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، ويلزمه العلم لزوماً بيننا بأن الإسلام قد هدانا إلى صراط خاص من التفكير فما هو؟ وقد أجابت الآية الثانية عن هذا السؤال بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم ؛ فعلينا أن نتفكر كما تفكروا ، ثم صرح بان صراط المؤمنين مغاير لصراط المغضوب عليهم ، كما أنه مغاير لصراط الضالين ، فعلى المسلم أن يحترز عن صراط كل واحد منهما في تفكره وعمله .

بقى السؤال عن الذين أنعم الله عليهم ، نجد جوابه في سورة النساء فقد قال الله تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ فبالنظر إلى الآيات المنقولة من سورة الفاتحة ، وإلى هذه الآيات التي في سورة النساء يجب علينا أن نتبع النبي ﷺ وأصحابه الكرام في منهاج الفكر ، كما يجب علينا اتباعهم في العمل ، بل الاتباع في منهاج التفكير أشد تأكيداً ، لأن العمل تابع للفكر ، فإن الإنسان يتفكر ثم يعمل ولأن الخطأ في الفكر أشد ضرراً . وهذه الآيات المقدسة تنور الماهية الكلية «للفكرة السنية» وتكشف عن القوانين والأصول التي هي اجزاء هذه الماهية كما فصلها في الفقرات الآتية المستمدة من الآيات القرآنية المزبورة أصولاً :

الأول : أن تفكر المؤمن ينبغي بل يجب أن يكون في ضوء إيمانه بالله تعالى وبما جاء به الرسول ﷺ قطعاً ، ومعناه أن المقدمات التي يستعين بها للوصول إلى علم جديد لا بد أن تكون مناسبة للإيمان ولا تكون مخالفة له ، ولا منقطعة عنه انقطاعاً كلياً بحيث لا يوجد أدنى ربط بينهما ، وقد القينا الضوء على هذا الأصل من قبل حين فسرنا الآية .

الثاني : أنه لا بد أن تتحرك فكرتنا على الصراط المستقيم أى على منهاج وطريق اختياره الذين أنعم الله عليهم من عباده ، فيكون صراط أفكارنا هو صراط فكر النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ، أما بيان ذلك المنهاج وتعريف الصراط الذي كانوا يختارونه في فكرهم فيجىء في موضعه ان شاء الله تعالى .

الثالث : أن الاحتراز على الصراط الذي تختاره أمة غضب الله عليهم أو تختاره أمة ضالة في تفكرهم واجب ، وأن اليهود هم المغضوب عليهم قطعاً ، كما أن النصارى هم

ضالون قطعاً، وإن كان مفهوم اللفظين عاماً ولا نريد حصر مصداقيهما فيهما، فالاحتراز عن المنهاج الذى يتبعونه فى التفكير والنظر واجب بالآية المزبورة، و«الفكرة السنية» هى التى تكون مستضيئة من هذه القوانين، وتتحرك على طريق تنورة القوانين والأصول المذكورة، فالماهية الكلية «للفكرة السنية» هى المركبة منها وهى أجزاءها .

الفكرة السنية الطبيعية :

المراد بها المنهاج الذى يجب أن يتبعه المؤمن إذا تفكر فى المسائل التى لا دخل لها بالذات فى سعادة النفس وشقائها وظاهر أنها المسائل المتعلقة بعالم الخلق والأمور التكوينية، وإنما نذكر فى السطور الآتية الأصول التى علمنا القرآن الحكيم وسنة النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم واتبعها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين للتفكر فى عالم الخلق والأمور التكوينية واتباع تلك الأصول والضوابط فى التفكير فى الأمور المذكورة هى التى نسميها بـ «الفكرة السنية الطبيعية». وسيرى القارىء أن لتلك الأصول والضوابط شأنًا تمتاز به عن غيرها، فمعرفتها نفسها تغنى عن بيان الفرق بينها وبين الفكرة الخاطئة التى يتبعها الذين لا يؤمنون بالله العظيم وبرسوله الكريم ﷺ فلا حاجة إلى صرف القلم فى بيان الفرق بينهما، فنعطف عنان القلم إلى بيان الأصول فى السطور الآتية، وأسأل القرآن الحكيم عن هذا الأمر ستجد جوابه، قال الله تعالى جل شأنه :

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار﴾ . (سورة آل عمران) .

إن إيماننا بالقرآن العظيم يقتضى أن نسأله عن هذه المسألة، فسألناه فأجاب، فإن هذه الآيات المقدسة الحكيمة تدل دلالة واضحة على الأصول التى اتباعها واجب على كل مسلم يريد أن يتفكر فى عالم الخلق أى الكائنات وهى هذه :

الأصل الأول :

إن نظر المؤمن إلى الكائنات يجب أن يكون نظر عبد مخلوق لله تعالى، إلى عبد مخلوق لله الخلاق الحكيم، سواء كانت النظرة نظرة الرياضى أو نظرة الطبيعى أو غير ذلك، فلا ينظر المؤمن إلى السموات والأرض والنجوم أو شىء آخر من حيث هى موجودات مع قطع النظر عن موجدته، بل ينظر إليها من حيث أنها وجدت بعد العدم بإيجاد الله البديع الحكيم وإبداعه، والاشارة بهذا إلى أن فكرة المؤمن فى الكائنات فكرة موضوعية Subjective وليست بفكرة معروضية Objective واضحة .

الأصل الثاني :

إن الاعتقاد بان الكائنات بأسرها مجموعة لآيات الله تعالى جل شأنه وعلى ان كل جزء منها آية من آياته الباهرة الدالة على ذاته تعالى وعلى صفاته العلية العظيمة، واجب على كل مسلم، وهذه العقيدة واليقين يجب أن يظهر في تفكره فيها، وأنه إذا تفكر فليتفكر فيها من حيث أنها آيات الله تعالى شأنه كما هو ظاهر من الآيات المزبورة، وهذا المنهج من التفكير يميزه عن سائر المناهج الفكرية التي يتبعها الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

الأصل الثالث :

ومما يستنبط من الآيات المزبورة هو أن الفكر ينبغى أن يقدمه ذكر الله تعالى شأنه، وذلك بأن الله تعالى قدم الذكر على التفكير .

الأصل الرابع :

تدل الآية على أن تفكر المؤمن في عالم الخلق، ينبغى أن يكون لتحصيل نفع من علمه ومعلومه سواء كان المقصود أن ينتفع به نفسه أو أن ينفع غيره، لأن المؤمن يعتقد ويقر بأن الرب الحكيم لم يخلق شيئاً باطلاً، فيجب ان يتبغى منافع السموات والأرض وأمثالهما من أجزاء الكائنات التي يتفكر فيه ثم يدعو الله أن يهديه إليها .

ثم أنه ليس من شأن المؤمن أن يقصد نفعاً دنيوياً فقط، بل ينبغى له أن يقصد نفع الآخرة قصداً أولياً والنفع الدنيوى قصداً ثانوياً، يشير إليه قوله تعالى : ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ . كما يشير إلى قصد مطلق النفع قوله تعالى ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ .

إن الحركة الفكرية في عالم الخلق والتكوين التي تقودها هذه الأصول الاربعة وتقطع مسافتها في ضوئها تسمى بـ «الفكرة السنية الطبيعية» سواء كانت في الطبيعات أو الكيمياء أو الهيئة والرياضة أو في غيرها من العلوم الطبيعية، وهي «سنية» لكونها مهتدية بهداية القرآن الحكيم، و«طبيعية» لاختصاص مسافتها بعالم الخلق والتكوين وعدم علاقتها في نفسها بعالم الامر والتشريع، وعدم تأثيرها في نفسها في سعادة النفس وشقاؤها كما اوضحناه من قبل .

ثم إن التفكير في عالم الخلق والتكوين لا يختص بالمسلمين وهو مجال لكل من له قوة في التفكير والنظر سواء كان مؤمناً أو كافراً، وإن من المخلوق ما هو خير لنا كما أن منه ما هو شر

لنا، فكما أنه يمكن لنا أن ننتفع به يمكن أن نتضرر به، وإذا تفكر اعداء الإسلام الكافرون بالدين المبين في عالم الخلق وأثاروا شره، ومنعونا عن خيره، ولم نستطع أن ندافع عن أنفسنا ونقاومهم لسبق فكرهم في عالم الخلق على فكرنا فما هو المخلص لنا من شرورهم؟ وكيف نحفظ ديننا وعرضنا وانفسنا من عدوانهم وافسادهم؟ .

ومرجع السؤال إلى أنه كيف نتفكر في الخلق والتكوين حتى نستطيع جلب الخير ودفع الشر، ونقدر على الدفاع عن ديننا وملتنا، وعلى حفظ الإنسانية من الدمار والفساد بأيدي المجرمين من أوروبا وأمريكا؟ وهذه هي المشكلة الشديدة التي واجهناها اليوم كما هو ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

إن «الفكرة السنية» تدعوا إلى أن نستعين بالإيمان، وهذا يقتضى أن نسأل القرآن الكريم لحل هذه المسألة العويصة، وننظر هل فيه هداية خاصة للأمة المسلمة إذا ابتليت بهذا البلاء العظيم؟ بلى وربنا إن القرآن الكريم قد حل هذه المشكلة وهدى إلى صورة خاصة للفكرة السنية الطبيعية التي هي اسرع واقوم وأنجح من كل فكرة تتحرك في عالم الخلق والتكوين في الدنيا، وسبيل للنجاة من المصيبة التي ابتلينا بها، ليتنا نتبع هذه الفكرة القويمة القوية السريعة، وهذه الطريقة الأقوم التي يدعو إليها الفرقان الحميد قد اشير إليها في «سورة الفلق» فقد قال الله تعالى: ﴿قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ ونقدم في السطور الآتية مقدمات يتطلبها توضيح الإشارة .

الأولى : أن الاستقراء يدل دلالة واضحة على أن سنة الله في خلق شيء من شيء في هذا العالم المادى هي «الفلق»، إن الشجرة لا تنبت إلا بفلق الحب والنواة، وأن ظهور العصن مسبق بفلق ساقها، كما أن القوة الذرية «Atomic Energy» المدهشة لا تظهر إلا بفلق الذرة «Atom» وإن النظام الشمسى «Solarstem» الذى نعيش تحته قد خلقه الله الخلاق العليم بابداع الفلق العظيم في مجرة «Jalaxy» وإذا نظرت إلى الحوادث وجدت هذا القانون التكويني أى «قانون الفلق» جارية فيها، ولا تجد مثالا ينفيه .

الثانية : أن الحوادث التي تبدو بعد الفلق كنتيجة بعضها تكون موجبا للخير كما أن بعضها تكون موجبا للشر، فعلينا أن نحصل الخير ونتجنب الشر .

الثالثة : أن الله وحده هورب الفلق وهو القادر على الاطلاق، وهوقدير على أن يلهمنا بعلم جديد وتدبير قوى نفوز باستخدامه بهدفنا، أويمحو الشر ويخلق الخير ويمن علينا بتوفيق الاستعاذة به .

الرابعة : أنه لا بد لنا من التفكير في عالم الخلق إذا واجهتنا المشكلة المذكورة وابتلينا بالضراء المذكورة، فإن الميل إلى ابتغاء السبيل إلى دفع الضرر والتحرز عن الهلاك والدمار والجهد للبقاء أمور فطرية تطالب بالتفكر في عالم الخلق، وقد أوجبه الشريعة كما أوجبه العقل السليم - لاسيما وأن هجوم المخاوف قد بدأ قرنه من جهته - وان التفكير في عالم الخلق والتكوين لدفع شر أعداء الإسلام وللدفاع عن الدين والمسلمين ولاعلاء كلمة الله الحق المبين واجب على الكفاية لأنه لا بد منه في هذا الزمان للوصول إلى تلك المقاصد الحسنة . وبعد هذا التمهيد نقول وبالله التوفيق : إن الله الحكيم العظيم أمرنا في هذه الآية بـ «الاستعاذة» به عزا سمة من شر مخلوق مساوق للشر، والأمر بالتوجه إلى شأن الربوبية المتعلقة «بالفلق» إشارة إلى أن المؤمن إذا ابتلى بشر مخلوق حادث من الفلق وأخذ التفكير في تدبير دفع الشر وجلب الخير لاقتضاء الفطرة وأمر الشريعة، فليكن تفكره ممزوجاً بالاستعاذة بالله الذي هورب الفلق وييده الخير ولا حول ولا قوة إلا به، وليس المراد الاستعاذة القولية فقط بل المراد الاستعاذة الحالية والعملية أى الانابة إلى الله والتوجه إليه والتزام طاعته مع سؤال العلم الصحيح النافع وتوفيق العمل به والتهيبىء للدفاع عن الإسلام متوكلاً على الله العليم العظيم .

وهذا لان الاستعاذة تقتضى طبعاً أن يطيع المستعبد المستعاذ به، ويفى معه بعهده ويلجأ إليه ولا يعصيه، وهذه هى صورة خاصة «للفكرة السنية الطبيعية» المشار إليها بالآية الأولى من سورة الفلق المزبورة قريباً، ولها مع عموم حكمها ونفعها نوع من الخصوصية بالتفكر لاطفاء «فتنة الفلق» التى ابتلينا بها، لأن غلبة أعداء الإسلام علينا فى الفلق إنما هى لعدم استطاعتنا على استخدامهما مثل ما يستطيعون فإن الاستطاعة بفلق الذرة «Atom» أو النواة «Nucleus» سلطهم على الاقوام الضعيفة . ولا يدان لأحد من المسلمين لدفعهم، ومحصول البيان أن الفكرة السنية الطبيعية معناها اتباع الأصول التى دلت عليها الآية التى ذكرت أولاً فى هذا الباب، وأضف إلى تلك الأصول الأصل الذى دلت عليه هذه الآية من «سورة الفلق»، وخاصة إذا كان التفكير فى «الفلق» وقوته ونتائجه والأمور المتعلقة به . وهذا الأصل مشتمل على اجزاء، ونزيده وضوحاً بذكر الاجزاء مفصلاً :

الأول : أن التفكير لا بد أن يكون ممزوجاً بالاستعاذة بالله العزيز الحكيم من فتنة الفلق وشر المخلوق الحادث منه الاستعاذة به عز اسمه لدفعها والغلبة عليها .

الثانى : أن نسأل الله تعالى الذى هورب «الفلق» الاستطاعة لاستخدام «قوة الفلق» لاكتساب الخير ودفع الشر والانتفاع بها فى الدنيا والآخرة .

والثالث : أن التفكير لا بد أن يكون مسبقاً بالتوبة عن الذنوب . وتصفية القلب عن العقائد الفاسدة وتجديد تنويره بنور الإيمان .

الرابع : أن يكون مقصدنا الوحيد من التفكير هو رضى الله تعالى شأنه باستخدام تلك القوى لاعلاء كلمة الله وغلبة دينه المتين ، ولاكتساب الخير للمسلمين ونفع خلق الله اجمعين .

فان المتفكر إذا أراد نصرة دين الله المبين ، وأخلص نيته سيأتيه نصر الله القوى العظيم كما وعده ربنا الكريم بقوله فى القرآن الحكيم : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ وانّ من النصرة الهام العلم الصحيح والهداية إلى التدبير النجيج ، وليس ذلك على الله بعزيز .

تنبيهه : ظاهر أن لا ينتفع بتلك الأصول حق الانتفاع إلا من له معرفة معتد بها بالعلوم الطبيعية «سائنسية» أو الرياضية ، فتحصيلها واجب على الكفاية على الأمة فى زماننا .

الفكرة السنّية النفسية :

قد بينا من قبل أنها التفكير فى أمر مؤثر بالذات فى سعادة النفس وشقائها ، فإنها اعظم شأناً من الفكرة الطبيعية لكونها أقوى ارتباطاً بالسعادة والشقاء ، ولكون تعلق حكم الشريعة بها أظهر وهى مطلوبة فى كل شعبة من شعب حياتنا الاعتقادية والعملية من المعاشرة والسياسة والمعيشة وأمثالها ، سواء كانت فردية أو اجتماعية لكن الحاجة إليها فى حياتنا الاجتماعية والقومية اشدّ جداً ، لأن تركها فيها أدهى وأضر ، فإن الخطأ فى الفكر المتعلق بالفرد فقط يوجب ضرر الفرد لكن الخطأ فى الفكر المتعلق بالمجتمع موجب لضرر المجتمع ، ثم يذوق وبالاه الفرد أيضاً ، فضرره أشد وأمر مراراً من ضرر الأول .

والأمور التى تدخل تحت هذا النوع على قسمين :

الأول : الأمور التى لا حاجة فيها إلى الفكر لكونها مسلمة الثبوت عندنا ، كفضية الصلاة وحرمة القمار ونفع العدل وضرر الظلم .

الثانى : الأمور التى تحتاج إلى النظر والفكر ليتضح صحتها أو سقمها، وهى موضوعنا فى هذه المقالة، ويواجهها المجتمع كما يواجهها الفرد، مثالها فى الحياة الفردية مسألة تعلم الولد من رجل غير مسلم فى هذا الزمان، وفى الحياة الاجتماعية مسألة التعاون والاتحاد بفرقة ضالة لهدف مشترك .

واضح أن هذا القسم من مسائل الحياة يحتاج إلى النظر والفكر، فأى منهاج نختار فيها للتفكر، وما هى الأصول الثابتة بالكتاب والسنة التى يجب علينا اتباعها عند التفكير فى هذا النوع من المسائل؟ .

الأصول المتبعة :

حقيقة جليلة وصادقة لا ريب فيها أن مرجع العلم والمعرفة والفارق بين الصحيح والسقيم فى الأمور التى لها دخل بالذات فى سعادة النفس وشقاؤها هو القرآن الحكيم وسنة النبى الكريم ﷺ وهذا أمر مسلم لا يشك فيه أحد من المسلمين كما قال الله تعالى فى شأن كتابه المبين : ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ فهو مأخذ الهداية ومنبع العلم والمعرفة، والفرقان المبين بين الحق والباطل والصحيح والسقيم، وما هذا شأنه فحقه أن يتخذ مأخذاً ومرجعاً للعلم والمعرفة، أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما، أن اتباع الصراط المستقيم هو المنهاج المختار فى التفكير لأن منهاج الذين أنعم الله عليهم، هو الاهتداء بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما، فإن النبى ﷺ كان أصل علمه ومنبعه هو الوحي والإلهى، وإذا اجتهد كان يتفكر فى ضوء الوحي، ثم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا يتعلمون منه ﷺ ويتبعونه، وإذا احتاجوا إلى الاجتهاد كانوا ينظرون إلى الكتاب أولاً ثم إلى السنة ثم إلى رأى المبنى على أحدهما، مثاله ماورد فى قصة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه النبى ﷺ قاضياً إلى اليمن، فاختره بالسؤال عن منهاج التفكير والاجتهاد، ولما أجاب بذكر المراجع المذكورة بالترتيب المذكور صوب النبى ﷺ رأيه .

ثم ان الكتاب والسنة كل واحد منهما قد وصل إلينا بأيدي الصحابة رضى الله عنهم الذين تعلموهما عن النبى من غير واسطة، وفهموا معناهما وعقلوا مغزاهما وعملوا بهما تحت مراقبته ﷺ ورسول الله ﷺ بنفسه تولى تربيتهم وتزكيتهم، وجعلهم أسوة متبوعة لمن سواهم من الأمة الكائنة إلى يوم القيامة ومبلغين لدعوته إلى سائر الناس، ومعلمين ما علمهم من الكتاب والسنة لمن سواهم من أمته ﷺ فجماعة الصحابة هم الواسطة الكبرى بيننا وبين النبى ﷺ وكل صحابى رضى الله عنه هو انموذج عملى لتعليمه عليه أفضل الصلوات

والسلام، فبديهى أنه لا تتضح معانى الكتاب والسنة إلا بالنظر إلى عمل الصحابة وتشريحيهم وتفسيرهم لهما .

فالكتاب والسنة منبعان لماء الحياة، وجماعة الصحابة نهر مملوء بمائهما جامع لهما لا يزال يجرى إلى يوم القيامة .

فقد تبينت من هذه المقدمات الممهدة الأصول التى هى أجزاء الفكرة السننية النفسية وهى هذه :

الأصل الأول : يجب أن يكون تفكرنا فى مسألة من مسائل الحياة من هذا النوع مبنيًا على عقيدتنا الجازمة بأن المأخذ الأول للعلم الفارق بين الحق والباطل هو الكتاب والثانى هو السنة، أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما، وأن اصحاب النبى ﷺ الذين أخذوهما من النبى ﷺ من غير واسطة، ونقلوهما إلى من بعدهم من الأمة، ولم ينقل ولا يمكن أن ينقل كذلك شىء عن الدين عن غير الصحابة، ومن نسب شيئاً إلى النبى ﷺ بغير توسط صحابى فهو كاذب زنديق، فعمل الصحابة هو مأخذ ثالث للعلم فكونه دليلاً قطعياً على كون ذلك العمل والقول ثابتاً بالكتاب أو السنة مطابقاً لهما، ولكونه انموذجاً عملياً لتعليم النبى ﷺ فهو حجة شرعية ما لم يعارضه حجة شرعية أخرى أقوى منه كنص الكتاب مثلاً .

الثانى : ولتكن وجهة فكرنا ومقصدنا بالذات فى كل فكرة هى المنفعة الدينية ورضا الله سبحانه ولو بوسائط عديدة، ولتكن المنفعة الدنيوية تابعة لها غير مقصودة بالذات بل مقصودة تبعاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ . (سورة الإسراء) .

الثالث : علينا أن نتفكر فى الكتاب والسنة وعمل الصحابة هل نجد فيها هداية جزئية، قولية أو عملية مخصوصة بما نحن فيه أو عامة كلية تنطبق على ما نتفكر فيه . ثم أن علينا اتباعها أن فزنا بها فى الكتاب أو السنة أو عمل الصحابة، فقد قال الله تعالى: ﴿لقد انزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ . (الأنبياء) . وسيوضح المسألة المثال الآتى : أن أرباب الحل والعقد من مملكة إسلامية يتفكرون فى سياستها الداخلية فى تفويض الوزارة الداخلية أو الخارجية أو غيرها، إلى رجل مناسب يفوضونها إليه، ثم ينظرون إلى الكتاب المبين فيجدون فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً﴾ . والآية، وهذه الآية تهديهم إلى أصل عظيم ينور طريقهم لأنها تحذرهم عن تفويض الأمر إلى شيعى أو شيوعى وأمثالهما من أعداء الإسلام .

الرابع : ان الاحتراز عن الباطل واجب كاحقاق الحق ، والحذر عن سبيل الغي حتم واجب كاتباع سبيل الحق والهدى ، فيجب علينا أن لا نستخدم دليلاً ولا نعمل عملاً يعين أهل الباطل في طغيانهم أو يؤيدهم في ضلالهم أو ينفعهم في اظهار بواطنهم فإن الله تعالى يقول : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلمو فتمسكم النار﴾ . وقال عز اسمه : ﴿ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ . فينبغي لنا أن نراعى في فكرتنا في جانب النفي أيضاً ، فتكون فكرتنا مشتملة على نفي الباطل كاشتغالها على اثبات الحق .

الخامس : يجب الاحتراز كل الاحتراز عن فكرة تؤدي إلى قطع صلتنا بالكتاب أو السنة أو الصحابة أو ضعفها وعن عمل كذلك - والعياذ بالله - فإن الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة واجب على كل حال ، ولا يمكن الاعتصام والتمسك بهما إلا باتباع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، كما أوضحناه من قبل ، وما يؤدي إلى ضعف هذا الاعتصام والتمسك فباطل مهلك فضلاً عما يؤدي إلى قطعه والعياذ بالله ، قال الله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . وقال النبي ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله» والآيات الدالة على هذا الأصل العظيم والأحاديث المضيفة له كثيرة وحق ان قلنا : إنه «الموطأ للإمام مالك» من ضروريات الدين .

السادس : لا نقبل فكراً أو حلاً لمسألة ثبت كونه غير مرضى عند الله بالكتاب أو السنة أو قول الصحابة أو عملهم ، قال الله تعالى في مدح الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ . فعلى المؤمن أن يبتغى رضوان الله تعالى شأنه ، ويترك ما هو غير مرضى عنده عز اسمه ، مثاله الاستعانة بما تمنح الدول الكافرة باسم العون على الرقى في المعاش واصلاحه ، فإن أخذه يؤدي إلى مفسد كثيرة كالميل إلى الدولة المانحة في مسلكها السياسي وإن كان باطلاً وغير ذلك من المفسد ، ولا شك أن هذه الاستعانة غير مرضية عند الرب سبحانه وتعالى بالنظر إلى ما تؤدي إليه . فينبغي للمؤمن أن يحترز عن هذا القسم من المقدمات إذا تفكر في تدبير أمر أو انجاح حاجة من الحوائج القومية .

السابع : لا ينبغي أن تكون مقدمات فكرتنا مبنية على مجرد الميل والرغبة إلى أمر أو عن أمر بل لا بد أن تكون ناشئة عن الفهم السليم والحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ . (سورة البقرة) ، وهذه الأصول هي اجزاء «الفكرة السننية النفسية» ، والفكرة التي تراعى فيها هذه الأصول وتكون على طبقها تسمى بـ «الفكرة السننية» ، وهي متروكة في حياتنا الاجتماعية منذ قرون ، على الغالب وتركها هو سبب زوال

الأمة المسلمة في حياتها الدينية والسياسية وفي غيرها من شعب الحياة، وعلاجه إنما هو اتباع هذه الفكرة، ولاشك أن اتباعها في فكرتنا الاجتماعية وسيلة قوية لرقى الاجتماع وغلبة الإسلام والمسلمين .

الأمثلة :

ولزيادة التنوير نورد أمثلة للفكرة السننية النفسية في الأمور الاجتماعية :

المثال الأول : نفرض أن دولة من دول المسلمين تفكرت في مسألة تعليم العلوم الحديثة، لكنها لم تتبع «الفكرة السننية» إذاً تجعل الدنيا غاية فكرها وجهدها وتكون فكرتها فكرة أوروبا وأمريكية، وتختار ما اختار أهلها من الرغبة عن الدين . والميل إلى الفسق والفجور، واتخاذ سبيل الغى في النظام التعليمى ومناهجه كرفع حجاب الطالبات وأمثالها من الأمور المخالفة للشريعة المقدسة، وكذلك لا تبالى هذه الدولة بتسليط أهل الضلالة كالشيعة والمرزائين وغيرهما من الضالين على الادارات التعليمية ونظمها .

وأما إذا كانت فكرتها «الفكرة السننية» فتكون غاية فكرها وجهدها ومرام سعيها من اشاعة العلم هي اعلاء كلمة الله ومنافع الآخرة وترويج الخير في العالم .

وتكون الغاية هي ارضاء الله تعالى شأنه، أما المنافع الدنيوية فتكون مقصودة تبعاً للمنافع الدينية، فتتخذ سبيل الرشد سبيلاً إلى مرامها، وتحتز كل الاحتراز عما نهى عنه الشرع الشريف، ولا تجترىء بتسليط أهل الضلال وأعداء الإسلام من المنافقين والمجاهرين بالكفر على الادارات التعليمية .

المثال الثانى : فرضنا ان ارباب الحل والعقد لمملكة مسلمة يريدون أن يضعوا دستوراً لمملكتهم فيلجأون إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومشاورة الفقهاء، ولا يلتفتون إلى ما يتفوه به أهل أوروبا وأمريكا وغيرهما من الذين لا يتبعون الإسلام، لأن الفكرة السننية النفسية ترشدهم إلى تلك المآخذ والمنابع، وتصدهم عن النظر إلى غيرها، ويصرحون في الدستور بأن مملكتهم هي مملكة إسلامية سننية قائمة على منهاج الخلافة الراشدة، وغاية وجودها هي اجراء الأحكام الشرعية وحفظها والدعوة إليها ونصرتها، والرقى الدينى والدنيوى لأهل الإسلام بحيث تكون دنياهم تابعة لدينهم، ثم انهم لا يغفلون عن الأغيار

الإشراق المجاهرين بعداء الإسلام الداعين إلى النار كالشيعة والمرزائية وغيرهما من أهل الضلالة والنفاق، فإن أرباب الحل والعقد وقواد المسلمين المتفكرين بالفكرة السنّية النفسية لا يغفلون عن مكائد تلك الأشياع الضالة، فيضعون قوانين وضوابط في الدستور التي تسد طرق هذه الأشياع المنافقة على المملكة وطرق غدرهم بها، ويحفظون المملكة عن شرهم .

وأما الذين لا يتفكرون بالمناهج الإسلامي أي لا يختارون «الفكرة السنّية» فلا يباليون بتلك الأمور المهمة، أو يغفلون عن بعضها، أو يطرحون بعضها قصداً لضعف إيمانهم واعوجاج فهمهم لفقدهم «الفكرة السنّية» فيذوقون وبال أمرهم، ويخسرون في الدنيا والآخرة، يوردون قومهم مورد الهلاك والخسران كما نرى الآن في بعض البلدان الإسلامية فإن أهل السنة بها يبتلون بظلم شديد ومصائب عظيمة وما ذلك إلا لفقدهم «الفكرة السنّية» في حركاتهم السياسية وذوهم عن الحقيقة أنهم أهل السنة والجماعة وأنهم هم المسلمون، وأن الرافضة ليست من الإسلام في شيء بل هم أعداء الإسلام والمسلمين .

مثال آخر : أرادت دولة مسلمة حديثة اصلاح معيشة القوم واجراء نظام للمعيشة يكون موجبا لفلاح القوم ويحفظ أهل الملك من الفقر والمسكنة، وظلم الظلمة من المستحصلين المتمولين المغلوبين من الشحّ والبخل، فإن كانت الدولة معتادة للفكرة السنّية واختارتها للتفكر في هذه المسألة المهمة، فلا بد أن تنظر إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال الفقهاء وتختار النظام الإسلامي للمعيشة الذي أمر به الله تعالى شأنه، ورسوله ﷺ وفسرته الصحابة بقولهم وعملهم، وفصلته الفقهاء في ضوء عمل الصحابة وأقوالهم، ولا تلتفت هذه الدولة المؤمنة إلى نظام غير إسلامي كالشيوعية وغيرها من الأنظمة الخاطئة الباطلة، وأما الدولة التي ليس لها حظ من «الفكرة السنّية» فتخطب خبط عشواء وتتبع كل عمياء، وتنظر إلى أنظمة غير إسلامية فتختار بعضها فتذوق وبال اثمها في الدنيا والآخرة، وكانت عاقبة أمرها خسراً، والأمثلة الثلاثة المذكورة أنفاً للفكرة السنّية النفسية تكفي للزيادة في وضاحتها وتنور مفهومها ومصادقها فنختم بيانها، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

شهادة التاريخ :

التاريخ يدخر المواعظ والعبر لتتعظ بها، ولنسلك طريق المستقبل في ضوئها، فنشير إلى بعض الحوادث الماضية التي تصدق ما قلناه من أن «الفكرة السنّية» لها أثر عظيم في رقى الأمة المسلمة وعروجها، وإن تركها موجب لزوالها وانحطاطها، فإن زوالها إنما بدأ حين ضعف اعتصامها بالكتاب والسنة، ولاشك أن هذا الضعف قد طرأ عليها بسبب التغير في منهاج فكرها ووجهة نظرها، وذلك بأن المجتمع الإسلامي من حيث المجتمع قد ترك «الفكرة السنّية» في الأمور الاجتماعية لاسيما في الاعمال السياسية وان بقيت مختارة لكثير من الافراد في الحياة الفردية، وكفاك مثلاً وعبرة حادثة زوال الخلافة العباسية فانها سقطت في أول فتنة في التاريخ الإسلامي التي أثارها المنافقون، وأصبحت تلك الفتنة قائدة لجيش الفتن التي صحبتها، كفتنة القول بخلق القرآن وفتنة انكار الحديث وأمثالها من الفتن التي ظهرت في عصر العباسيين وانتهت بزوالهم .

وتوضيح هذا المجمال أن أول فتنة ظهرت في الإسلام هي فتنة تنقيص شأن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، فإن سعى اليهود لازالة حب الصحابة وتعظيمهم وتوقيرهم عن قلوب المسلمين أنتجت فرقة في الأمة تسمى نفسها باسم الشيعة .

وهذه الفرقة التي نشأت على عداوة الصحابة وتنقيص شأنهم، قد قويت على عهد الخلافة العباسية، لان العباسيين استعانوا بها حين أثاروا الثورة ضد الأمويين، ثم ان خلفاءهم وزعماءهم قربوا هذه الفرقة ونصبوا رجالها على مناصب جليلة وأشركوهم في أمور الخلافة، حتى أنها تسلطت عليهم، وكان عاقبة الأمر ان الشيعة لعداوتهم لأهل السنة ولدينهم الحق دمروا الخلافة العباسية تدميراً واستأصلوها بالمؤامرة بتأمر الذين دعوهم للتدمير واعانوهم على هذا المقصد الشنيع .

والسبب الاساسى لتلك الحادثة الفاجعة الاليمة هو أن العباسيين ومن كان معهم من المسلمين أى من أهل السنة صرفوا النظر عن هداية الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ . (الآية) وخالفوها باتخاذ أعداء الإسلام المنافقين بطانتهم وبالاعتماد عليهم وتركوا الفكرة السنّية فذاقوا وبال خطئهم .

ثم أن هذا المرض أصبح وباء متعدياً إلى العامة من أهل السنة وأفسد مزاج المجتمع لأن الاختلاط والمودة بالذين أشربوا في قلوبهم عداوة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

والسخط على دينهم الحق أدى إلى ضعف حب الصحابة وستتهم ونقص عظمتهم في قلوبهم ، فأدى إلى ضعف في اعتصامهم بالكتاب والسنة وقد حفظ الله تعالى شأنه طائفة من المؤمنين من هذا الداء العضال حتى أصبحت مصداقا لقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . أو كما قال : « لكنها كانت قليلة في العدد .
وكما أن التاريخ يقص قصص زوال الأمة واسبابها ويرفع الحجاب عن الحقيقة ان اهمال الفكرة السنّية وتركها واختيار فكرة غير سنّية هي أعظم أسباب زوال الأمة وانحطاطها كذلك ينبئنا عن عروج الأمة ورفيها وأسبابه ، ويضىء لنا الطريق إليه ويأتينا باخبار كثيرة تدل دلالة واضحة على أن «الفكرة السنّية» كفيّلة بعروج الأمة ورفيها وهي الطريقة الوحيدة إليه .

واني استطيع ان آتى من التاريخ بامثلة كثيرة لهذا الأصل ، لكننى قصداً للايجاز أكتفى بايراد قصة المجاهد الجليل والفتى النبيل محمد بن القاسم الثقفى - رحمه الله - حين وصل إلى قلعة محكمة فى غزوة السند ، وكانت القلعة التى غزاها على ساحل بحر السند ، ولم يكن هناك جسر ولا سفينة ، فنظر إلى جيوشه وسألهم : أرب البحر والبر واحد أم لهما ربان؟ قالوا : إن الله وحده هورب البحر والبر ورب كل شىء وهورب العالمين ، فقال : ربنا الذى نصرنا وحفظنا فى البر وانا خرجنا فى سبيل الله فلا ينبغى لنا أن نرجع على أعقابنا فإدخلوا البحر ، فدخل المجاهدون فى الماء يمشون عليه كما يمشى الرجل على الأرض ، ولما رأت جيوش الهندوس الذين كانوا يرمون الحجارة عليهم بالمنجنيق هذه الحالة المدهشة العجيبة طرحوا أسلحتهم وفتحوا باب الحصن وأطاعوا المسلمين المجاهدين ، وواضح أن محمداً بن القاسم ومن كان معه من المجاهدين تفكروا بفكرة سنّية ، فنظروا إلى وعد الله تعالى شأنه لا إلى الأسباب الظاهرة ، واستعانوا بالإيمان فأفلحوا ونجحوا ، ثم لا يخفى على من طالع تاريخ السند أن الفتح المذكور جاء فى تلك البلاد ببركات كثيرة من غلبة الإسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ونشاط علمى وفكرى كما جاء بالأمن والسلام .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفقه



أصوله

نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

الدكتور عوض عبد الله أبو بكر
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٣ -

الأدلة المختلف فيها :

بعد أن تناولنا في المقالين السابقين السمات الأساسية لنظام الإثبات في الفقه الإسلامي، ووضحنا تفرده بنظام يتسق مع عدله وشموله، وبيننا أنه يحتوي على قسمين من أدلة الإثبات - قسم اتفق عليه الفقهاء، وهو يمثل في الاقرار والشهادة. وقسم آخر اختلفوا فيه - ومن هذا القسم المختلف فيه موضوع بحثنا في هذا المقال - اليمين والنكول عنه وعلم القاضى .

اليمين والنكول عنه :-

النكول عن اليمين هو الإمتناع عنها حينما توجه إلى المدعى عليه من القاضى بطلب المدعى^(١). فإذا لم يكن للمدعى بينة وطلب يمين المدعى عليه فنكل، قال أبو حنيفة وأصحابه يقضى عليه بنكوله. ذلك لأن الشهادة لما كانت لإثبات الدعوى واليمين لإبطالها، وجب أن نكل أن تحقق عليه الدعوى. وقالوا إن عثمان رضى الله عنه قد قضى بالنكول، ولم يعلم له مخالف من الصحابة فكان ذلك إجماعاً^(٢).

(١) اتفق الفقهاء على أن الحقوق الخالصة لله تعالى - كالحدود - لا توجه اليمين إلى المدعى عليه لإثباتها، وإن كانت هناك رواية عن الشافعى تميز ذلك. أما حقوق العباد الخالصة - كأموال - فهذا اتفقوا على توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والطلاق والرجعة والعتق، فمالك ورواية عن أحمد على منع توجيه اليمين فيها، والشافعى وبعض الحنفية وابن حزم على جواز توجيه اليمين فيها، وأبو حنيفة يقول إن كانت هذه الحقوق مما يحتل البذل أى ترك المنازعة فيجوز توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والنسب فلا يجوز. أما الحقوق المشتركة بين العبد والرب فاختلّفوا فيها - فمن رجح جانب العبد أوجب اليمين، ومن يرجح جانب الله لم يرد ذلك.

(٢) الاختيار لتعليل المختار للموصلى ج٢ ص ١٦٢ ط السعادة مصر .

غير أن مذهب أبي حنيفة بالقضاء بالنكول وحده منتقد من وجوه : -

الأول: إن النكول لا يدل على أن الحق قد ثبت على الناكل ، لأنه قد يمتنع عن الحلف تورعا وترفعا حتى وإن كان صادقا في إنكاره للدعوى .

الثانى : قالوا لهم إنكم قد خالفتم قضاء عثمان رضى الله عنه ، فإنه لم يقض بالنكول فى بعض الوقائع التى رفعت إليه . يقول ابن حزم : (فكيف وقد خالفوا عثمان فى هذه القضية نفسها ، لأنه لم يجز البيع بالبراءة إلا فى عيب لم يعلمه البائع ، وهذا خلاف قولكم . ومن العجيب أن يكون حكم عثمان بعضه حجة وبعضه ليس بحجة ، هذا على أن مالك بن أنس روى هذا الخبر عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سالم بن عبد الله فقال فيه عن أبيه : فأبى أن يحلف وارتجع العبد فدل هذا على أنه اختار أن يرتجع العبد فرده إليه عثمان برضاه (١) .

الثالث : إن دعوى الإجماع غير صحيحة ، فالإجماع يكون صحيحا بعدم المخالف ، لا بعدم العلم بالمخالف ، وفرق بين عدم المخالف وعدم العلم به .

أما الأئمة مالك والشافعى وأحمد فيقولون إن المدعى عليه إذا نكل عن اليمين لا يجب للمدعى بنكوله شيء ، وإنما ترد اليمين إلى المدعى ، فإذا حلف إستحق المدعى به . وتوجيه هذا القول هو أن نكول المدعى عليه أضعف من شاهد المدعى ، فالأولى أن يقوى بيمين الطالب ، إذ النكول ليس بينة من المدعى عليه ولا إقراراً ، فلم يقو على الاستقلال بالحكم ، فإذا حلف معه المدعى قوى جانبه (٢) .

قالوا ، وإن هذا المعنى يستفاد من الآية الكريمة فى شأن الوصية فى السفر ﴿فإن عثر على أنها إستحقا إثما فأخرا ن يقومان مقامهما من الذين إستحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدنا أنا إذا لمن الظالمين . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيان بعد أيانهم . . . ﴾ الآية (المائدة ١٠٧-١٠٨) .

ووجه الاستدلال فى الآية أنها أفادت رد اليمين إلى الجهة التى شرعت فيها أولا وهى الشاهدان إلى غيرهما ، ويؤخذ منه رد اليمين من المدعى عليه إلى غيره (٣) .

(١) المحلى ج ١٠ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ط دار الاتحاد العربى مصر .

(٢) الطرق الحكيمية لابن القيم ص ١٣٧ - بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٣) الام للشافعى ج ٧ ص ٣٤ .

وكذلك استدلوها بما رواه الدارقطني والحاكم في المستدرک وصحح إسناده عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله ﷺ قد رد اليمين على طالب الحق (١) .

ومع أن هذا المذهب أظهر من سابقه وأرجح لكونه اعتمد على أدلة نقلية منها ما هو منطوق في محل النزاع كحديث ابن عمر رضی الله عنه، إلا أنه لم يسلم أيضاً من انتقاد وجه إليه . ويتلخص هذا الانتقاد في :-

أولاً: إن استدلالهم بالآية لا يستقيم لهم في موضوع النزاع، لأنها تدل على أن شاهدين يقومان مقام شاهدين آخرين ظهر كذبهما بعد الحلف، وليس ذلك موضوع الخلاف .

ثم إن الشافعية والمالكية وهم من أنصار هذا المذهب يقولون بنسخ هذه الآية بالآيات التي تمنع ولاية الكافر على المسلم، والشهادة فيها ولاية على المشهود عليه، ولذا فقد أبطلوا شهادة الكافر على المسلم . فكونهم لم يعملوا بالآية في موضوعها فمن باب أولى ألا يستدلوا بها هنا .

ثانياً: إن حديث ابن عمر الذي استندوا عليه مطعون في إسناده فلا يصح الاعتماد عليه . [انظر الهامش] .

هل تكفي اليمين لقطع النزاع؟

لا شك أن المدعى عليه إذا أقر بالدعوى إقراراً صحيحاً، أو ثبتت عليه الدعوى بشهود المدعى، وحكم القاضي بناء على ذلك انقطع النزاع بينهما لاتصال الحكم بالدليل الذي يؤدي إلى الحق غالباً . ولكن هل يعتبر الحال كذلك عند اتصال الحكم باليمين؟ أى هل تنقضى الدعوى إذا حلف المنكر عند عجز المدعى من تقديم بينته؟ وبمعنى آخر هل يجوز للمدعى أن يقدم بينة بعد احلاف المدعى عليه اليمين؟ .

جمهور الفقهاء يرون سماع بينة المدعى بعد حلف المدعى عليه اليمين . ويعتبرون إنهاء الدعوى باليمين إنها هو إنهاء مؤقت يمكن أن تعاد مرة أخرى إذا قدم المدعى البينة التي كان قد عجز عن تقديمها قبل اليمين . ويقولون إن البينة العادلة أولى من اليمين الفاجرة،

(١) سنن الدارقطني ج٤ ص ٢١٣ - وجاء في التعليق المغنى على سنن الدارقطني للمحدث أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (الحديث أخرجه البيهقي والحاكم وفي اسناد كلهم محمد بن مسروق وهو لا يعرف . واسحاق بن الفرات مختلف فيه) .

ولأن البينة مثبتة واليمين نافية، والإثبات أولى من النفي . ولأن اليمين تكون مع عدم البينة، فإذا وجدت البينة سقط حكم اليمين . ولأن سقوط الدعوى باليمين ليس موجبا لسقوط الحق، فالحقوق لا تسقط إلا بقبض أو إبراء، وليست اليمين قبضاً ولا إبراءاً (١) .

ويرى بعض الفقهاء أن اليمين طريق من طرق الإثبات، فإذا حلف المدعى عليه سقط حق المدعى في الدعوى وترتب على ذلك اليمين قطع النزاع (٢) .

اليمين مع الشاهد :

روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قضى بشاهد ويمين، وفي رواية أحمد (إنما كان ذلك في الأموال) وروى الدارقطني في سننه أن النبي ﷺ قضى بشهادة شاهد واحد ويمين صاحب الحق (٣) .

استناداً على هذه الأحاديث ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز القضاء بشاهد ويمين المدعى في المال، وما يؤول إلى المال من حقوق الأبدان كالنكاح والطلاق، ولا يحكم بذلك في القصاص والحدود .

وخالف أبو حنيفة وأصحابه وقالوا: لا يحكم بشاهد ويمين إذ الآية الكريمة ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ (البقرة: ٢٨٢) قد قصرت الإثبات في البينة على النحو المذكور، وحديث الشاهد واليمين زيادة على النص، والزيادة على النص تكون نسخاً، وخبر الواحد لا ينسخ المتواتر (٤) .

وقد أورد الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار أدلة الفريقين وانتصر لمذهب الجمهور قائلاً: «جميع ما أورده المانعون من الحكم بشاهد ويمين غير نافق في سوق المناظرة عند من له أدنى إلمام بالمعارف العلمية وأقل نصيب من إنصاف . فالحق أن أحاديث العمل بشاهد ويمين زيادة على ما دل عليه قوله تعالى ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم . . .﴾ الآية وعلى ما دل عليه قوله ﷺ (شاهدك أو يمينه) غير منافية للأصل، فقبولها متحتم . وغاية ما يقال على فرض التعارض - وإن كان فرضاً فاسداً - إن الآية والحديث المذكورين يدلان

(١) المغنى ج١٠ ص ١٠٤ .

(٢) المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك الإيباني ص ٩ وما بعدها .

(٣) سنن الدارقطني ج ٣ ص ٢١٤، نيل الأوطار ومنتقى الأخبار ج ١٠ ص ٢٨٢ ط الطباعة الفنية .

(٤) نيل الأوطار ج ١٠ ص ٢٨٤ . تبصرة الحكام ج ١ ص ٢٦٨ . أعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٥ .

بمفهوم العدد على عدم قبول الشاهد واليمين والحكم بمجردهما، وهذا المفهوم المردود عند أكثر أهل الأصول لا يعارض المنطوق وهو ما ورد في العمل بشاهد ويمين»^(١) .

يمين القسامة :

القسامة في اللغة تطلق على معنيين، بمعنى الحلف، يقال: أقسمت إذا حلفت، وبمعنى الحسن والجمال، يقال فلان قسيم الوجه، ورجل قسيم أى وسيم^(٢) .

أما في إصطلاح الفقهاء. فقد عرفها ابن قدامة في المعنى بقوله: «القسامة هي الأيمان المكررة في دعوى القتل»^(٣). ويقول ابن عرفة المالكي: «هي حلف خمسين يمينا أو جزأها على إثبات الدم»^(٤). وعند فقهاء الحنفية القسامة هي «أيمان يقسم بها أهل محلة أو دار وجد فيها قتيل به أثر. يقول كل واحد منهم ما قتلته ولا علمت له قاتلا»^(٥) .

يتضح من هذه التعريفات أن القسامة هي أيمان قدرها خمسون يمينا يحلفها إما أولياء القتيل يثبتون بها الدم على المدعى عليه كما هو مفهوم جمهور من يقول بها، أو يحلفها من وجد القتيل بين ظهرانهم ينفون بها نسبة القتل إليهم وهو مفهوم الحنفية .

وقد اختلفوا في القسامة هل هي قسم من أقسام اليمين؟ أم هي طريق آخر من طرق الاثبات إذ قد يترتب على حلفها عند الجمهور اثبات الدم المترتب عليه القود أو الدية. وعلى كل فإن القسامة طريق لاثبات الدم يقوم على حلف اليمين .

ويحتج جمهور الفقهاء القائلون بالقسامة بالأحاديث الصحيحة التي نصت على مشروعيتها ففي صحيح البخارى عن بشير بن يسار زعم أن رجلا من الأنصار يقال له سهل ابن أبى حثمة أخبره أن نفرا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها ووجدوا أحدهم قتيلا، وقالوا للذى وجد فيهم قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا له قاتلا. فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلا. فقال: الكبر الكبر. فقال

(١) نيل الأوطار ج١٠ ص ٢٨٤ .

(٢) لسان العرب (فصل القاف من حرف الميم) .

(٣) المعنى ج٨ ص ٦٥ .

(٤) مواهب الجليل للحطاب ج٦ ص ٢٦٩ .

(٥) العناية بهامش تكملة فتح القدير ج٨ ص ٣٨٣ .

لهم تأتون بالبينة . فقالوا يارسول الله مالنا بينة . قال : فيحلفون ، قالوا : لا نرضى بأيمان اليهود . فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه فوداه مائة من إبل الصدقة (١) .

ورواية مسلم وأبى داود : يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته . قالوا : أمر لم نشهده كيف نحلف . قال : تبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم . قالوا : يارسول الله قوم كفار ، فوداه رسول الله ﷺ من قبله . قال سهل : فدخلت مربدا لهم فركضتني ناقة من تلك الابل برجلها (٢) .

وعند الترمذى «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم قاتلكم . . . ثم ساق الحديث (٣) .

وجه الدلالة من هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ شرع أيمان القسامة . وفي الروايتين الأخيرتين أجاز لأولياء القتيل أن يحلفوا خمسين يمينا على من اتهموه بالقتل ، ويستحقون بهذه الأيمان دم القاتل ، وإلا حلف المتهمون خمسين يمينا لتبرئة أنفسهم من الاتهام الموجه إليهم .

ويتضح أيضاً من هذه الأحاديث اعتماد المدعين على قرينة العداوة بين اليهود والأنصار مما دعاهم إلى توجيه تهمة القتل إليهم ، لاسيما وقد وجد القتيل بينهم ، وقد أجاز لهم النبي ﷺ الحلف على ذلك .

هذا ولم يخالف في الأخذ بالقسامة إلا ما روى عن سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وقتادة وأبى قلابة وعمر بن عبد العزيز والبخارى ، محتجين بأن القسامة تخالف أصول التشريع الاسلامى ، إذ أن الأصل في الشريعة ألا يحلف أحد إلا على ما علم قطعاً أو شاهد حساً ، فكيف يقسم أولياء الدم وهم لم يشاهدوا القتل . ويقولون أن رسول الله ﷺ تطف بالأولياء ليربهم أنه كيف لا يلزم الحكم بها في الاسلام لأنها كانت من أحكام الجاهلية . ويحتجون أيضاً بأن الأيمان لا تأثير لها في الدماء فلا تصلح لإشاطتها . وتخالف القول بأن البينة على المدعى واليمين على من أنكر (٤) .

(١) صحيح البخارى (باب القسامة) ج٤ ص ١٥٦ .

(٢، ٣) صحيح مسلم مع شرح النووى ج١١ ص ١٤٨ . وسنن أبى داود ج٤ ص ٢٩٩ .

(٤) صحيح البخارى (باب القسامة) ج٤ ص ١٥٧ . المبسوط للسرخسى ج٢٦ ص ١٠٩ بداية المجتهد ج٢ ص ٤٢٨ .

وأجاب من أخذ بالقسامة عليهم بأن القسامة أصل قائم بنفسه قررتة السنة النبوية الشريفة كسائر السنن المقررة للأصول، وأنه يجوز للأولياء أن يقسموا على القاتل إذا رغب على ظنهم أنه قتله، وللانسان أن يحلف على غالب ظنه. ثم أن الرسول ﷺ جعل لهم استحقاق دم القاتل بقوله: «وتستحقون دم صاحبكم» أو «ويدفع إليكم برمته». وليس ثمة ما يمنع أن تكون الأيمان سبيلا لاشاطة الدماء أى اهدارها مادامت الأيمان تؤدي إلى إثبات القتل (١).

علم القاضى :-

وقد اختلف الفقهاء أيضاً فى قضاء القاضى فى حادثة بناء على علمه بحقيقتها فإن كان الحق المدعى به من حقوق الله الخالصة - كالحدود - فهذه اتفقوا على أنه لا يقضى فيها بعلمه، اللهم إلا ما روى عن ابن حزم الظاهري بجواز ذلك. أما إن كان من حقوق العباد - كالبيع والشراء - ففيها اختلاف بين الفقهاء.

قال متقدمو الحنفية: إنه لا يجوز للقاضى أن يقضى بناء على علمه الشخصى فيها، وعن محمد بن الحسن لا يقضى بشيء أصلاً. وهو ما أفتى به المتأخرون منهم.

جاء فى البحر الرائق (علم القاضى بشيء ينفذ القضاء فى غير الحدود، وأما القصاص، فله القضاء بعلمه كما فى الخلاصة، وتركه المصنف للاختلاف وظاهر ما فى جامع الفصولين أن الفتوى على أن القاضى لا يقضى بعلمه لفساد قضاة الزمان) (٢).

وقول ابن حزم والمتقدمين من الحنفية هو أيضاً رواية عن أحمد وقول للشافعى.

أما المشهور عند المالكية والرواية الأخرى لأحمد والشافعى لا يجوز للقاضى الحكم بعلمه الشخصى فى الدعوى.

ويستند هذا القول الأخير - الذى يمنع القاضى من الحكم بناء على علمه - على

أمرين :-

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج١١ ص١٤٤، بداية المجتهد ج٤ ص٤٢٨.

(٢) البحر الرائق ج٧ ص٢٠٤ ط دار المعرفة بيروت وانظر فى الموضوع الاشباه والنظائر لابن نجيم ج١ ص٣٣٨ المطبعة

العامة مصر. والطرق الحكمية ص٢٢٧ ونيل الأوطار ج١٠ ص٢٨٧.

الأول : إن قضاء القاضى بعلمه يعرضه إلى التهمة والريبة، والقضاة مأمورون بصيانة أنفسهم عن التهم . كما يؤدي إلى زعزعة الثقة بالقضاء وبأحكامه .

الثانى : إن ترك الحرية للقاضى ليقضى بعلمه يمكن من لا خلاق لهم من القضاة بالتلاعب بالأحكام بتقتيل من يخالفهم وتفسيقهم وتجريح من يبغضهم ، وتميز من يواددهم ، وتغيير الأحكام بناء على أطماعهم وأهوائهم الشخصية .

ولهذا فإن هذا القول أرجح من سابقه وأظهر وأكثر ملاءمة لوقتنا الحاضر . وبه أفتى المتأخرون من علماء الشريعة ، وذهبوا إلى منع ذلك منعا باتا بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة حيث فسد الناس وعمت الفوضى وخربت الذمم ، وأصبح الاختيار لمنصب القاضى لا يقوم على ما كان عليه عند أسلافنا من تحرى التقوى والورع .

يقول الشيخ أحمد إبراهيم رحمه الله (الحق أن الاحتياط فى ذلك واجب بل هو من أعظم مطالب الشريعة الحكيمة العادلة ، فلا نسلم للقاضى بما يقضى به ولا نقره عليه إلا إذا بين أسبابا مقنعة وحججا واضحة استند فى قضائه عليها يزيل بها التهمة عن نفسه وبدون ذلك لا توجد الطمأنينة فى نفس أحد) (١) .

ويقول الدكتور محمد البهى رحمه الله (أما إذا منعه من القضاء بعلمه فالضرر الذى يترتب على هذا المنع محدود الدائرة ضيق الأثر لأنه لا يتعدى بعض المتقاضيين ، أما نفعه فإنه يعود على المجتمع كله ، فيأمن الناس معه على أعراضهم ودمائهم وأموالهم ، كما أنه حماية للقاضى ومكانة القضاء من أن تزلزل فى نفوس الناس ويهن شأنها فى نظرهم) (٢) .



(١) طرق القضاء فى الشريعة الاسلامية ص ٣٩ .

(٢) من طرق الاثبات فى الشريعة والقانون ص ١٤٥ .

اسلاميات

وفاء

ترجمة القرآن الكريم

للفنان محمد علي عبد الله
بكلية الشريعة والقانون - جامعة بارو ونيجيريا

مقدمة : -

في حين أن موضوع ترجمة القرآن لا يأخذ حيزاً واسعاً ولا ضيقاً من الدارسين في البلاد العربية إلا أنه يستحوذ على قدر غير قليل من اهتمام الدارسين في البلاد الإسلامية غير العربية ومن المسلمين غير العرب . . وهذا بدوره يؤكد قواعد الشريعة الإسلامية الأصولية القائلة بأن الواقع المعاش في كل مكان وأن هو الذي يولد المشاكل والهموم الفقهية ومن ثم يسعى الفقهاء لتكييفها وحلها لمصادر الشرع الخالدة والمرنة مصداقاً لقوله (ﷺ) : -

«تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

«ولقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي» وموضوع ترجمة القرآن الذي نحن بصده الآن ليس من الموضوعات ولا المسائل الفقهية الجديدة . بل هو قديم قدم الفقه الإسلامي وحي كحياة الشريعة الإسلامية التي من أصولها مجابهة الواقع لا مداراته وتحاشيه . . تتعامل الشريعة بوضوح وجراحة مع كل مسألة تنشأ في ظل سلطانها فتضع لها الحل وتعطيها الحكم الشرعي الملائم والمتسق مع مبادئها العامة وأحكامها الجزئية . . على عكس ما آل إليه الأمر اليوم من دفن الرؤوس في الرمال أمام الواقع الذي تفلت بسبب ذلك من حكم الشرع . . مما صور الشريعة بصورة العاجز عن معالجة هذا الواقع . . وما العجز في حقيقة الأمر إلا أن المسلمين خاصة أولى الأمر من الحكام والعلماء .

قلنا تتعامل الشريعة مع كل واقع جديد مهما عظم بالإيجابية وجراحة لأن من طبيعتها الشمول ومن خصائصها المرونة التي تتسع بها لاستيعاب كل جديد ومن عقيدتها أن تحكم حتى تقوم الساعة .

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩) ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥) .

وليس هنالك رهبة أو وجل في أعمال الشريعة لأن المجتهد فيها مأجور ما خلصت نيته وأفرغ جهده (اجتهد رأبي لا آلو) . . . فلئن أصاب في اجتهاده أجر مرتين : أجر الاجتهاد وأجر الاصابة . . . وإن أخطأ في اجتهاده نال أجر الاجتهاد ولا يغرم شيئاً في الخطأ . فعلام المهابة إذاً وإلام الاستكانة يا علماء المسلمين .

والموضوع كما قدمنا قديم وأرى أن معالجته بشيء من الوضوح والواقعية تقتضى تقسيمه إلى قسمين :-

القسم الأول : يعالج ما إذا كانت الترجمة قرآناً أم لا .

القسم الثانى : يناقش الآراء الفقهية حول جواز الترجمة أو عدم جوازها باعتبارها تفسيراً لمعانى القرآن . . وأفضل أن أبدأ بالمسألة الأولى لأسباب منها :-

١ — من حيث الظرف التاريخى فإن المسألة الأولى طرحت نفسها أولاً .

٢ — ثم إنها أثرت سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الفكر الإسلامى في مجابهته للمسألة الثانية .

تعريف القرآن :-

إن أجمع وأوضح ما قيل في القرآن هو قول الإمام الأمدى إن الكتاب : هو القرآن المنزل^(١) .

وقلنا هو أجمع وأوضح لأن معظم التعريفات الأخرى تؤدى إلى متاهات لا حاجة للناس فيها في أمر جده معلوم لدى الكافة . . ومع ذلك ، ومن أجل الدخول فى الموضوع سنورد تعريف الإمام اليزدوى : (أما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب فى المصاحف المنقول عن النبى (ﷺ) نقلاً متواتراً بلا شبهة . وهو النظم والمعنى جميعاً فى قول عامة العلماء وهو الصحيح من قول أبى حنيفة عندنا إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً فى حق جواز الصلاة خاصة وجعل المعنى ركناً لازماً والنظم ركناً يحتمل السقوط رخصة^(٢) .

القرآن نظماً ومعنى :-

وتعريف اليزدوى أعلاه يشير بوضوح إلى أن القرآن يتألف عند عامة العلماء . . من النظم العربى والمعنى معاً تأليفاً لا تنفك فيه المعانى القرآنية عن ألفاظها العربية وأن النظم

(العربي) المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل كما يقول النيسابوري^(٣) .

ويدل النص من ناحية أخرى على مانسب لأئمة الحنفية من خلاف حول المعنى السابق . . وما نسب للأحناف يصوره ما أورده النيسابوري قال :-

قال الشافعي : ترجمة القرآن لا تكفى في صحة الصلاة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة إنها كافية في حق القادر والعاجز . وقال أبو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر^(٤) .

وبناء على ما نقله النيسابوري يتضح أن أبا حنيفة : يجوز قراءة ترجمة القرآن في الصلاة . . وأن ذلك الجواز إنما هو للقادر على قراءته باللغة العربية وللعاجز معاً وإن صاحبين خالفاه في هذا الاطلاق فرخصاً للعاجز دون القادر . . وإن قراءة الترجمة في الصلاة تفيد أن المقروء قرأناً لقوله تعالى : ﴿ فاقراءوا ما تيسر من القرآن ﴾ .

والأجدربنا أن نرجع إلى كتب الحنفية أنفسهم حتى نتعرف عن قرب على رأى الإمام وأصحابه في هذا الصدد ولكن قبل أن نشرع في ذلك ينبغي أن ننبه إلى أن أبا حنيفة ليس بعربى . . بل تربى وتأثر بالثقافة والحضارة الفارسية قبل الإسلام . . وعاش في منطقة العراق الحالية حيث كان يسكنها الفرس مع غيرهم من العرب والأجناس الأخرى . . لا غرو أن يجابه الإمام الأعظم وأى إمام في مكانته بمثل هذه المسألة الفقهية التي تعكس الواقع الذى كان يعيشه . . ذلك أن الناس يدخلون كل يوم في دين الإسلام وأنهم يعانون ويجهلون صعوبة في تعلم العربية لوقتها . . فهل من حاجة في أن يعرب لهم المعنى القرآنى بلغتهم ليؤدوا الصلاة حتى حفظوا من السور القرآنية ما يغنى عن ذلك أم أنه ليس هناك حاجة ابتداء لهذا التجوز؟؟ ولقد واجه هذا الواقع من قبل - ولكن بصورة أخف - سيدنا عبد الله ابن مسعود قالوا وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يعلم رجلاً أن شجرة الزقوم طعام الأثيم «والرجل لا يحسنه، فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن أن نقرأ مكان العليم الحكيم إنما الخطأ بأن تضع مكان آية الرحمة آية العذاب .

قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك^(٥) .

تلکم كانت صورة من البيئة والظروف التي وجد فيها أبو حنيفة نفسه مضطراً لمجابهة مثل هذا الواقع الذى قلما يجابه إماماً كما لك بالمدينة أو الأوزاعى بالشام أو الشافعى بمصر وهاك موجزا لما جاء في كتب الحنفية في هذا الموضوع :-

١ — من حيث أن القرآن مؤلف من النظم العربي والمعنى معاً فمذهب أبي حنيفة ذلك كمذهب الجمهور. . حتى أن أبا حنيفة يعد كافراً كل من أنكر أن القرآن غير النظم العربي والمعنى معاً .

٢ — مع ذلك لم يجعل أبو حنيفة نظم القرآن ركناً لازماً بالنسبة للصلاة خاصة وذلك في تقديره لأن قراءة القرآن في الصلاة مبنية على شيء من التوسعة . . ومقصودها مناجاة الله . . وفوق ذلك فقد جعلت القراءة فيها على التيسير :

أ — لقوله تعالى : ﴿ فَأَقْرءُوا مَا تيسر من القرآن ﴾ (المزمل : ٢٠) .

ب — ولسقوط القراءة عن المأموم بتحمل الإمام وبسقوطها بخوف فوات الركعة . . في حين أن هذا لا يجوز في سائر أركانها .

٣ — لكل ذلك جوز الإمام الاكتفاء في الصلاة بأداء الركن الأصلي من قراءة القرآن وهو المعنى الذي تتحقق به المناجاة . . ودليل ذلك أن القرآن نزل ابتداء بلغة قريش فلما شق على غير القرشيين من العرب رخص في قراءته باللغات السبع فقال رسول الله (ﷺ) : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف » فلما جاز للعربي أن يدع لغة قريش إلى لغته مع قلة الكلفة جاز من باب أولى لغير العربي أن يدع العربية لعجزه عنها والاكتفاء بالمعنى القرآني الذي هو المقصود .

٤ — فالعدول إذن عن النظم العربي إلى الترجمة إنما هو رخصة كالمسح على الخفين والقصر في حال السفر .

٥ — قصر الأحناف الرخصة على الصلاة خاصة ولا يصح عندهم تجاوزها إلى غيرها . . حتى أن أبا حنيفة حرم مداومة قراءة الترجمة في الصلاة نفسها .

٦ — وفوق ذلك قيدت صحة الصلاة بالترجمة على اللغة الفارسية لأنها كما يزعمون قريبة من فصاحة العربية .

٧ — ورغم كل القيود السابقة فقد صح عن أبي حنيفة عدوله عن جواز القراءة في الصلاة بترجمة القرآن . . وبذلك يصبح الخلاف حول صحة الصلاة بالترجمة مجرد تاريخ يحكى على ما عليه الفتوى في المذهب الحنفي .

ويسيطر الإمام عبد العزيز البخاري ثم يبرر ويوجه ما روى عن أبي حنيفة في هذا الخصوص ثم يقرر عدوله عن ذلك الرأي من خلال تعليقه على تعريف اليزدوي السابق للقرآن كالآتي : -

ومنهم (أى من العلماء) من اعتقد أنه (أى القرآن) اسم للمعنى دون النظم . وزعم* الصلاة بغير عذر مع أن قراءة القرآن فيها فرض مقطوع به .

فرد الشيخ (يعنى اليزدوى) ذلك وأشار إلى فساده بقوله وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة عندنا أى المختار عندى أن مذهبه مثل مذهب العامة فى أنه اسم للنظم والمعنى جميعاً . وأجاب عما استدل به الزاعم بقوله : - لكن أبى حنيفة لم يجعل النظم ركناً لازماً له . قال مبنى النظم على التوسعة لأنه غير مقصود خصوصاً فى حالة الصلاة إذ هى حالة المناجاة وكذا بنى فرضية الصلاة على التيسير قال تعالى : ﴿ فَأَقْرءُوا مَا تيسر من القرآن ﴾ ولهذا يسقط عن المقتدى بتحمل الإمام عندنا وبخوف فوات الركعة عند مخالفنا بخلاف سائر الأركان . فيجوز أن يكتفى فيه بالركن الأسمى وهو المعنى ، يوضحه أنه نزل أولاً بلغة قريش لأنها أفصح اللغات فلما تعسر تلاوته بتلك اللغة على سائر العرب نزل التخفيف بسؤال الرسول (ﷺ) وأذن بتلاوته بسائر لغات العرب وسقط وجوب رعاية تلك اللغة أصلاً واتسع الأمر حتى جاز لكل فريق منهم أن يقرأوا بلغتهم ولغة غيرهم وإليه أشار النبى (ﷺ) بقوله : - « أنزل القرآن بسبعة أحرف كلها كاف شاف » فلما جاز للعربى ترك لغته إلى لغة غيره من العرب حتى جاز للقرشى أن يقرأ بلغة تميم مثلاً مع كمال قدرته على لغة نفسه جاز لغير العربى أيضاً ترك لغة العرب مع قصور قدرته عنها والاكتفاء بالمعنى الذى هو المقصود .

فصار الحاصل أن سقوط لزوم النظم عنده رخصة كمنح الخف والسلم وسقوط شرط صلاة المسافر حتى لم يبق اللزوم أصلاً فتستوى فيه حال العجز والقدرة وفى قوله خاصة - تنصيص على أن فيما سواه من الأحكام من وجوب الاعتقاد حتى يكفر من أنكر كون النظم منزلاً وحرمة كتاب المصحف بالفارسية وحرمة المداومة على الاعتياد على القراءة بالفارسية وقيل الخلاف فى الفارسية لأنها قربت من العربية فى الفصاحة فأما القراءة بغيرها فلا يجوز بالاتفاق .

وقد صح رجوعه إلى قول العامة رواه ابن أبى مريم عنه . ذكره المصنف فى شرح المبسوط وهو اختيار القاضى الإمام أبى زيد وعمامة المحققين وعليه الفتوى (٦) .

والصواب طبعاً ما ذهب إليه الكافة ورجع إليه أبو حنيفة من أن القرآن هو المعنى والنظم معاً . . والحاجة التى أدت بأبى حنيفة إلى أن يقول بعدم ركنية النظم فى الصلاة

* إن ذلك مذهب أبى حنيفة - رحمه الله - بدليل جواز القراءة بالفارسية عنده فى الصلاة .

خاصة قد اندفعت عند الجمهور بصورة تهمل فيها ركنية النظم وهو مذهب أولى بالاعتبار وادعى لبطلان ما ذهب إليه الأحناف ابتداء .

ولنا كما يقول النيسابورى - أنه أى (ﷺ) والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرءوا إلا هذا القرآن العربى فوجب علينا اتباعهم فكيف يجوز عاقل قيام الترجمة بأى لغة كانت وهى كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر (٧) .

لقد وسع العلماء - وفقاً لقواعد الشريعة العامة - على الذين لم يتعلموا بعد ما يقيمون به الصلاة من القرآن .

١ - بالصلاة مع إمام يحسن أو يعرف ذلك .

٢ - وإن لم تيسر الصلاة فى جماعة فيمكن له أن يؤديها بأى نوع من الذكر يعرفه .

٣ - على أن يجد فى حينه فى تعليم القرآن وغيره من الأحكام التى يحتاجها فى الصلاة .

يقول الإمام ابن جوزى ومن لم يحسنها أى (أم القرآن) إن كان أبكم لم يجب عليه شىء . وإن كان يتعلمها وجب عليه تعلمها والصلاة وراء من يحسنها فإن لم يجد فقليل يذكر الله وقيل يسكت ولا يجوز ترجمتها خلافاً لأبى حنيفة (٨) .

وقال الحسن بن محمد : إن لم يحفظ شيئاً من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الأذكار ثم عليه بوقفه بقدرها فإن تعلم قرأ ما لم يفرغ منه (٩) .

وعن أبى هريرة قال :- كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله (ﷺ) لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل . الآية .

يقول ابن حجر فى تعليقه على هذا الحديث قال ابن بطال :- استدل بهذا الحديث من قال تجوز قراءة القرآن بالفارسية وأيد ذلك بأن الله تعالى حكى قول الأنبياء عليهم السلام كنوح عليه السلام وغيره ممن ليس عربياً بلسان القرآن وهو عربى مبين ويقول تعالى :- ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ والانداز إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم فقراءة أهل كل لغة بلسانهم حتى يقع لهم الانذار به .

وقال ابن حجر فى أجزاء الصلاة من قرأ فيها بالفارسى : والذى يظهر التفصيل ، فإن كان القارئ قادراً على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزئ صلواته

وإن كان عاجزاً وإن كان خارج الصلاة فلا يمتنع عليه القراءة بلسانه لأنه معذور. وبه حاجة إلى حفظها يجب فعلاً وتركها، وإن كان داخل الصلاة فقد جعل الشارع له بدلاً وهو الذكر وكل كلمة من الذكر لا يعجز عن النطق بها من ليس بعربي فيقولها ويكررها فتجزيء عن الذي يجب عليه قراءته في الصلاة حتى يتعلم، وعلى هذا فمن دخل في الإسلام أو أراد الدخول فيه فقرأ عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه (١٠).

والقياس الذي عقده الأحناف لصحة القراءة بالترجمة في الصلاة على صحة القراءة بالأحرف السبعة هو قياس مع الفارق الكبير كما لا يخفى. . . ذلك لأن العدول عن لغة قريش إلى أى لغة أخرى عربية لا يخرج القرآن عن عربيته. . . ومع ذلك فهذه رخصة بموجب النص استثناء وما شرع رخصة واستثناء لا يصح القياس عليه كما هو مقرر في الأصول.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا أرى وجهاً لالزام المرء بالصلاة من قبل أن يتعلم من القرآن والأحكام القدر الضروري لأداء الصلاة. . . والصورة الوحيدة التي يمكن إلزامها إنما في الجماعة ما تيسر. ولا وجه لإلزامه بالصلاة لأنها كغيرها من الأحكام بنيت على أركان وشروط فيما لم تكتمل الأركان وتحقق الشروط لا تتوفر لها أسباب الأداء بالأصالة. . . ويقول تعالى: ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ ويقول (ﷺ) لا صلاة لمن لا يقرأ فاتحة الكتاب. . . فما لم يستطع الإنسان أن يحفظ بفاتحة الكتاب أو أى جزء منها لا تلزمه الصلاة ما لم يفرض وان فرض اثم على تفريطه.

وبما أن الصلاة أصلاً هي الصلة بين العبد وربّه فللمرء مندوحة في أن يأتي بأسباب هذه الصلة الكثيرة والمتعددة الأوجه كاللحاح والذكر والتفكير. . . دون الصلاة التي شرعت بكيفية وهيئة معلومتين فلا تؤدي إلا وفقاً لتلك الهيئة أو وفقاً للرخص المعلومة. . . والتيسير الذي ذكره الله بالنسبة للقراءة في الصلاة هو متمسق مع مبادئ الشريعة العامة في رفع الحرج عن العباد ولكن لا يمكن أن يستقل ذلك لإلغاء نظمه ركنية النظم العربي للقرآن. . . وعلى المرء أن يحرص كل الحرص ويجتهد كل طاقاته لتعلم الفاتحة وغيرها من السور والأحكام حتى ينتظم في أداء هذا الركن الركين من الدين الإسلامي ألا وهي الصلاة.

ويؤيد رأى الجمهور أن علماء الحنفية أنفسهم حاروا في توجيه المسألة المنسوبة لإمامهم قال عبد العزيز البخارى: - فإن قيل لما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده في الصلاة من غير عذر

لا بد من أن يكون ذلك قرآناً إذ لا جواز للصلاة بدون قرآن وبالاجماع وحينئذ لا يكون الحد المذكور متناولاً له لعدم امكان كتابة المعنى المجرد في المصحف ونقله بالتواتر وما تعلق المعنى به في العبارة الفارسية مثلاً ليس بمكتوب في المصحف ولا منقول بالتواتر أيضاً فلا يكون الحد جامعاً أولاً ولا يكون المعنى بدون النظم قرآناً فينبغي أن لا تجوز الصلاة .

قلنا إنما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده إما لقيام المعنى المجرد في الصلاة مقام النظم والمعنى أو لقيام العبارة الفارسية الدالة على معنى القرآن مقام النظم المنقول كما قال أبو يوسف ومحمد في حالة العذر فيكون النظم المنقول المكتوب موجوداً تقديراً وحكماً فيدخل تحته الحد ويكون الحد جامعاً ويفسر قوله المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بالكتابة والنقل حقيقة أو تقديراً أو نقول هو يسلم أن المعنى بدون النظم ليس بقرآن ولكن لا يسلم أن جواز الصلاة متعلق بقراءة القرآن المحدود بل هو متعلق بمعناه ويحمل قوله :- ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ على أن المراد وجوب رعاية المعنى دون النظم لدليل لاح له فلا يرد الاشكال (١١) .

فبرجوع أبي حنيفة عما كان يقول به من اعتبار الترجمة قرآناً في الصلاة على الرأي المفتى به في المذهب الحنفي - اجتمعت كلمة المسلمين في الجملة على أن القرآن إنما هو النظم العربي والمعنى معاً سواء كان ذلك بالنسبة للصلاة أو غيرها من الأحكام الشرعية . وقلنا في الجملة لأن فريقاً من الأحناف ما يزال يعتقد أن الرأي ما ذهب إليه الإمام أولاً لأن رجوعه عن هذا الرأي لم يصح في تقديرهم . . وهذا رأي مرجوح في المذهب الحنفي .

ترجمة معانى القرآن :-

إذا ثبت بالدليل القاطع أن الترجمة لا تعتبر قرآناً لأن أحداً لم يقل بذلك ولأن الرأي المقيد الذى كان يقول به أبو حنيفة قد صح رجوعه عنه بنفسه ، مما يدل على فساده من ناحية أخرى - فما حكم ترجمة القرآن على وعى تام بأن الترجمة ليست قرآناً .

اختلف العلماء المسلمون في ذلك اختلافاً كثيراً . فبينما أجازها البعض بل منهم من قال بوجوبها - أنكرها البعض الآخر نكراناً شديداً وعدوها بدعة وضلالة في الدين ومهما يكن فإن الرأي الذى كان يقول به أبو حنيفة قد أثر في الفكر الإسلامى أيما تأثير وسبب شيئاً من النفور العام بالنسبة لموضوع الترجمة حتى مع يقين الكل على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً . . وأن كثيراً من الآراء التى اثيرت وسيقت ضد ترجمة القرآن يمكن ردها بصورة أو أخرى إلى الخوف من أن تعتبر الترجمة قرآناً من ناحية أو خشية أن يظنها غير المسلمين قرآناً فينبون

أحكامهم على القرآن من خلالها .

وما دام الأمر قد استقر بين المسلمين على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً وإنما يقصد بها نقل معاني القرآن بحيث يتسنى للإنسانية الاطلاع عليها والاهتداء بتعاليمها فما علينا إلا أن نعالج المسألة من ناحية موضوعية فنورد ما لها وما عليها في ضوء القواعد الأصولية العامة والمبادئ الشرعية الحاكمة .

والترجمة المقصودة هنا هي نقل لمعاني وأحكام القرآن إلى لغة أخرى أشبه ما يكون الأمر بالتفسير . . . كل ما هناك أن التفسير يهتم بابرز الأحكام بأنواعها بينما تسعى الترجمة لابرز الأحكام والمعاني تبعاً لنقل روح وأهداف وإيقاع العبارة القرآنية ما أمكن (١٢) .

بالرغم من هذا فقد انبرى - كما قدمنا فريق من المسلمين وقالوا بعدم جواز ترجمة القرآن وساقوا الحجج الآتية لتأييد ما ذهبوا إليه .

١ - إن ترجمة القرآن تعتبر بدعة خطيرة . أما إنها بدعة فلا أن الأولين لم يقدموا على مثل هذا العمل وهم أقدر ما يكون عليه وهي في المقام الثاني خطيرة لما يترتب عليها من مفسد كهجرات اللغة العربية من قبل المسلمين غير العرب بعد اكتفائهم بالترجمة في تعلم القرآن ودراسته وتلاوته .

٢ - إن احجام الصحابة ومن بعدهم من المسلمين عن ترجمة القرآن أدى إلى انتشار اللغة العربية - فتحقق من أجل ذلك ما لا يحصى من الفوائد بالنسبة للإسلام والمسلمين .

٣ - أما عن واجب تبليغ الدعوة للناس كافة فيقول أصحاب هذا الرأي : الواجب هو تبليغ مجمل الدعوة . . فلا ينبغي كل ما جاء بالقرآن . . بل يجب على تلك الأمم أن تشرع في تعلم العربية فور إسلامها حتى تستكمل دينها .

٤ - ثم قالوا إن عدم جواز الترجمة مبنى أيضاً على قصور الترجمة عن تحمل المعاني الكثيرة التي أودعها الله القرآن بنظم عربي معجز . . فلا يستطيع كائن ما أن يحيط بهذه المعاني أولاً وأن ينقلها في المقام الثاني بحيث يحافظ على اعجازها اللفظي والمعنوي . . أو كما يقول الأستاذ إبراهيم أنيس : « وفي الحق أنه لا يكاد المرء ينتهي من تصفح هذه الكتب وأمثالها حتى يحس في قرارة نفسه أن الوقوف على دلالات الألفاظ القرآنية أمر عسير المنال دونه صعوبات جمه . فلا يكاد يسلم المترجم لها من الزلل أو القصور في إبراز تلك الدلالات ، وتصويرها بالقدر الذي يقارب ما هي عليه في منبتها القرآني من جمال وروعة وإعجاز لأهل اللسن والفصاحة في كل زمان ومكان» (١٣) .

ومن ناحية أخرى ذهب الأكثرون إلى القول بجواز بل بضرورة ترجمة القرآن لنقل روح وأهداف القرآن - ما أمكن - لمن لا يحسنون أو لا يعرفون اللغة العربية .

وحيث أن الأحناف قالوا بصحة تلاوة ترجمة القرآن في الصلاة فهم ومن باب أولى يجوزون ترجمته باعتبارها تفسيراً ونقلًا لمعاني وأحكام القرآن .

كذلك أورد الإمام البخارى في صحيحه ما يدل على صحة ترجمة القرآن قياساً على صحة ترجمة غيره من كتب الله . وقد بنى على ذلك الفهم الإمام ابن حجر - في شرحه لصحيح البخارى - جواز ترجمة القرآن .

تحت باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقوله تعالى : ﴿ فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ . أورد البخارى الآتى .

وقال ابن عباس : أخبرنى أبو سفيان بن حرب : أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبى (ﷺ) فقرأه فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . . . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وعن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل . . . الآية .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أتى النبى (ﷺ) برجل وأمرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود : ما تصنعون بهما؟ قالوا : نسخم وجوههما ونخزيهما . قال : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فجاءوا وقالوا لرجل ممن يرضون أعور : اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك . فإذا فيه آية الرجم تلوح فقال : يا محمد أن عليهما الرجم ولكننا نتكأتمه بيننا . فأمر بهما فرجما ، فرأيته يجافى عليهما الحجارة (١٤) .

في تعليقاته على هذه الأحاديث يقول ابن حجر : والحاصل أن الذى بالعبرية يجوز التعبير عنه بالعربية وبالعكس . وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أولاً؟ الأول قول الأكثر قوله : (فاتوا بالتوراة فاتلوها . . .) وجه الدلالة أن التوراة بالعبرية وقد أمر تعالى أن

تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية ففضية ذلك الاذن بالتعبير عنها بالعربية ثم ذكر فيه ثلاثة احاديث :

الأول : حديث ابن عباس . ووجه الدلالة فيه أن النبي (ﷺ) كتب إلى هرقل باللسان العربى ولسان هرقل رومى ففيه اشعار بأنه اعتمد فى ابلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه والمترجم المذكور هو الترجمان (١٥) والثانى حديث أبو هريرة ولقد أوردناه وما علق به ابن حجر من قبل (١٦).

لقد اشار الإمام البخارى فى هذا الباب اشارة كما أفصح ابن حجر فى شرحه افصاحاً على جواز الترجمة أخذاً من فعل الرسول (ﷺ) وارتضائه ترجمة التوراة إلى العربية فى حضرته وبارساله الكتب التى تحمل الآيات القرآنية بلسان عربى إلى ملوك الأرض حينئذ إلى هرقل وكسرى والنجاشى وهم لا يفقهون اللسان العربى وهو يعلم أنها ستترجم لهم إلى لغاتهم المختلفة وذلك اقرار منه (ﷺ) على جواز ترجمة القرآن إلى هذه اللغات وخبر ارساله بهذه الكتب إلى أولئك الملوك معلوم ومشهور (١٧).

وقد نسب أيضا ابن الخطيب إلى ابن حجر قوله بجواز الترجمة فى غير هذا المكان ، إذ يقول : وقد قرر الإمام ابن حجر وهو من كبار أئمة المحدثين وجوب الترجمة حيث يقول : إن الوحي متلو أو غير متلو إنما نزل بلغة العرب - ولا يرد على هذا كونه (ﷺ) قد بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحي عربى وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم (١٨).

ويقول جار الله محمود الزمخشري تعليقا على قوله تعالى :- ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ (إبراهيم ١٤) أى ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ، ولا يقولوا لا نفهم ما خوطبنا به كما قال :- ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته . . فإن قلت لم يبعث رسول الله (ﷺ) إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً : قل يا أيها الناس أنى رسول الله إليكم جميعاً بل إلى الثقيلين وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة . وإن لم تكن لغيرهم حجة ، فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضاً .

قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول (ﷺ) لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوّل عنهم

وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيّمه ، كما نرى الحال ونشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم . . ولأنه لونزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها ما كلم أمته التي هو منها ، يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الاجاء (١٩) .

وهذا نص واضح وقاطع ليس في جواز الترجمة وحسب بل هو قائل بوجودها اعتماداً على أن الرسول (ﷺ) مبعوث للناس كافة برسالة القرآن التي ينبغي أن تصل لكل مفهومة حتى تقوم بها الحجة ولا سبيل لذلك إلا بالترجمة وسيأتي بيان ذلك .

وختاماً يقول الأستاذ محمد صالح سيمك : واستدل الإمام الشاطبي في الموافقات على جواز ترجمة القرآن بالقياس على ما هو حاصل من اجماع الأمة على تفسيره للعامة ، ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على ادراك كل معانيه الدقيقة وما الترجمة إلا تفسير وايضاح لغير العرب حتى يفقه القرآن وأحكامه ويتدبر معانيه ومقاصده (٢٠) .

هذه جملة الأدلة التي احتج بها المؤيدون لجواز ووجوب الترجمة وهي الأولى بالاعتبار في نظري لمنحهاها الايجابى المتسق مع مقاصد الدين وأهداف الشرع الإسلامى . . غير أن ذلك لا يعفينا من مناقشة الاعتراضات والحجج الوجيهة التي أثارها أصحاب الرأي الأول .

١ — قالوا إن الترجمة بدعة وأمر لم يقدم عليه الأوائل . . وهذه حجة قد اندفعت بحصول ترجمة القرآن إلى الرومية والفارسية والحبشية على أقل تقدير في حياة الرسول (ﷺ) وباقراره .

وكما لا يخفى على دارس أصول السنة فإن اقراره (ﷺ) كفعله وقوله من حيث الحجية . . ولما حصلت وقبلت الترجمة من الرسول (ﷺ) من حيث المبدأ فلا يضيرها وان كانت وقتئذ على مستوى بسيط واقتضت الحاجة إلى أن ترفعها الآن إلى مستوى أكبر وعلى نطاق أوسع هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن البدعة المزعومة ليست في عمل كل شيء لم يفعله الرسول (ﷺ) وإلا لكان مجرد جمع القرآن في مصحف وتفسيره في صحائف وجمع السنة وغير ذلك مما قصد به خدمة الشرع الإسلامى بدعة . . ولا أحسب أن عاقلا يقول بذلك خاصة وأن الرسول (ﷺ) قد أرشد إلى أن : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » .

فالترجمة إذن من قبيل السنة المأجور فاعلمها لا من قبيل البدعة ولا السنة السيئة المذموم

فاعلمها . وعلى أى فإن العمل ينتقل من حكم العادة إلى درجات العبادة بنية ودوافع صاحبه فالترجمة التى قصد بها وجه الله وخدمة الإسلام والمسلمين هى التى من قبيل السنة الحسنة . . فالترجمة كغيرها من الأفعال تحمد وتذم وفقاً لجهد وصدق أو سوء نية صاحبها .

٢ — قيل إن الترجمة تؤدى إلى احجام المسلمين غير العرب عن دراسة اللغة العربية التى هى لغة القرآن والاهتمام بها . وهذه بدورها حجة لا تستند إلى دليل . فمجرد الترجمة لا يؤدى إلى هذه النتيجة لأن الترجمة كما يقول محمد أكبر : مجرد محاولة لمساعدة الدارس لفهم وادراك النص القرآنى وليست بأى حال بديلاً له (٢١) .

ومعلوم أيضاً أن اللغة العربية تنتشر تبعاً للإسلام وليس العكس فإذا كان ذلك كذلك وإذا كان الغرض من الترجمة هو - نقل معانى القرآن من ناحية وتبليغ دعوة الإسلام لغير العرب من ناحية أخرى . . فينتظر من هذا الجهد كما هو ملحوظ - ادخال الناس فى دين الله افراداً وأفواجاً . . وهم من بعد دخولهم الإسلام سيد فعون بأكثر من دافع وحافر لتعليم العربية . . لأن الترجمة ليست قرآناً والقرآن هو أساس الإسلام وكل مسلم يحس فى نفسه الحاجة الماسة لتعليم العربية حتى يأخذ الإسلام من مصادره الأصلية والمؤثرة . . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

٣ — ثم قالوا إن الترجمة قاصرة عن تحمل المعانى الكثيرة التى أودعها الله القرآن فى نظم معجز بحيث لا يستطيع امرؤ أن يحيط بهذ المعانى ولا أن ينقلها بعد المحافظة على اعجازها اللفظى والمعنوى . . هذه دعوى صحيحة على فرض أن الترجمة تعتبر قرآناً الشىء الذى قررنا فساده من قبل وقصور الترجمة عن نقل الاعجاز اللفظى والمعنوى . . كقصور التفسير تماماً عن نقله بل إن قصور الأخير أشد ومع ذلك لم يقل أحد ببطلان التفاسير . . بل هى ضرورة عند الجميع .

ولقد نوهت من قبل إلى أن معظم آراء المعارضين للترجمة مبنية على فهم خاطئ ألا وهو اعتبار الترجمة قرآناً . . ولم يستطع كثير من المفكرين المسلمين أن يتجاوزوا هذا الشعور . يقول الأستاذ محمد أكبر فى مقدمته لترجمة الإمام المودودى للإنجليزية ويجب أن ألفت النظر إلى مسألة هامة ذلك أن الاتجاه العام لدى كثير من الناس هو اعتبار الترجمة إلى اللغة الانجليزية قرآناً وهذا لعمرو الله من الخطأ البين الخطير . . إذ ليست هناك ترجمة مهما بلغت من الجودة يمكن أن تسمو وتبلغ درجة القرآن العظيم (٢٢) .

إنه وإزالة هذا اللبس والفهم الخاطئ سمى الإمام المودودى ترجمته للقرآن بالأردية تفهيم القرآن وعند ترجمة ذلك إلى الإنجليزية سميت : "The Meaning of the Qur'an" أى معانى

القرآن . ولنفس السبب سمي الشيخ أبو بكر غومي ترجمته للقرآن إلى لغة الهوسا : معاني للقرآن بلغة هوسا .

وفي الحقيقة فإن القول بأن إعجاز القرآن إنما هو في لفظه فقط تقليل من شأن القرآن وانتقاص من قدره (٢٣) ذلك أن المعنى والموضوع عاملان مهمان بالنسبة لجمال أى عمل . . ورغم أن إعجاز القرآن اللفظي مع غيره كان التحدى المباشر للعرب إلا أن معانيه وأحكامه وقصصه وأهدافه وتعاليمه ونبوءاته كل هذه مع غيرها تكون الاعجاز القرآني وإليك هذه المقتطفات التي تبين أن الاعجاز ليس قاصراً على النظم وحده .

يقول الإمام السيوطي : اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهي :-

إما حسية وإما عقلية . وأكثر معجزات بنى اسرائيل حسية . وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية . ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذوا البصائر كما قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً » . (اخرجه البخارى) .

قيل إن معناه إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عمر من الاعمار إلا ويظهر فيه شيء مما اخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه . وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشهد بالابصار كناقصة صالح وعصا موسى ومعجزات القرآن تشهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها أكثر لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً (٢٤) .

وقال الجاحظ : بعث الله محمداً أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته . ودعاهم بالحجة وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات يسيرة وكلما ازداد تحدياً لهم بها لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً وظهر منه ما كان خفياً فحين لم يجدوا حيلة . قالوا : أنت تعرف من اخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا . قال : «فها توها مفتريات» فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم

وسهولة ذلك عليهم . لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كان انقص لقوله وافسد لأمره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق أصحابه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وانفاق الأموال . وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ولهم القصيدة العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ثم يتحدى به اقصاهم بعد أن ظهر عجز اداناهم فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقرير بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه (٢٥) .

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحدائق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه وذلك أن الله احاط بكل شيء علماً واحاط بالكلام كله فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم باحاطته أي لفظه تصلح إن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر بعضهم يعهمم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن احداً من البشر لا يحيط بذلك فهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة . والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها وهلم جرا وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم ادير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يؤمئذ في سلامة الذوق وجودة القرينة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا ارباب الفصاحة ومظننة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحر . وفي معجزة عيسى بالاطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير ابداع ما يكون في زمن النبي الذي أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد ﷺ (٢٦) .

ويقول الخطابي : إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا اعذب من الفاظه . ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً واشد تلاوة وتشاكلاً من نظمه . وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقى

إلى أعلى درجاته . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام فإما ان توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير .

فخرج من هذا أن القرآن أنها صار معجزاً لأنه جاء بافصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإرشاد إلى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها واضعاً كل شيء منها موضع الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يتوهم في صورة العقل أمر اليق منه مودعاً اخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الاعصار الآتية من الزمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أكد للزوم ما دعا عليه وادل عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الإتيان بهذه الأمور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومناقضته في شكله .

ثم قال : وقد قلت في اعجاز القرآن وجهها ذهب عنه الناس وهو صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوى الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه . قال تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ .

وقال : ﴿ نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون

ربهم ﴾ .

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس قال : جاء المغيرة بن شعبة إلى النبي ﷺ فقرأ له القرآن فكأنه رق له فيبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوك لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله . قال : علمت قريش اني من اكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك كاره له . قال : فماذا اقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى افكر فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره .

المقتطفات أعلاه تؤكد أن هناك أكثر من وجه واحد للاعجاز القرآني . وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون الاعجاز اللفظي مشتركاً في تصوير أي معنى أو جانباً عن معانيه السامية والمقصودة أصلاً بالتصديق والاتباع .

غير أن الاعجاز اللفظي ليس مقصوداً لذاته وإنما يريد به نقل المعنى في أحسن صورة وابلغها وانجعها . حتى كان المعنى هو الغاية واللفظ هو الأداة والوسيلة . وكثير من الناس يعتقد أن القرآن أعجز العرب بفصاحته فحسب . ولكنه في الحقيقة أعجزهم بفصاحته وبمعانيه معاً . فهم لم ينكروا أن الالفاظ والتعابير هي الفاظهم وتعابيرهم وإن عجزوا عن نظم مثل نظمها ولكنهم قالوا إن هذه المعاني ليست مما عرفوا . وقالوا هي ليست من صنع البشر فنسبوها للكهنة وللجن . وعلى أي فمراد الله حتى من عجزهم عن بناء اللفظ إنما ليتبها ويعوا الحقيقة : إن هذا المعنى القرآني ليس من صنع البشر حتى يؤمنوا به ويعملوا بمقتضاه فيكتب لهم النجاح في الدنيا والنجاة والفلاح في الآخرة .

والاعجاز القرآني جملة ومنه اللفظي إنما يتجلى للمسلمين على درجات متفاوتة وإن الذين يقفون على جل اسرار الاعجاز اللفظي فقط قلة حتى بين العرب فإذا غاب الاعجاز اللفظي على نسبة كبيرة من المسلمين العرب فهو على غيرهم من المسلمين أكثر غيباً . فلماذا والحال كذلك تضع العراقيل في وجه تبليغ الدعوة للناس كافة على أمر هو على أهميته وسيلة وليس غاية في حد ذاته . ليس ذلك فحسب بل إن هذه الوسيلة لا تدرك على اكمل وجه وابلغه بمجرد تعلم اللغة العربية وإنما ببلوغ درجات عظيمة في علومها وفنونها . ومع ذلك فإن مفاتيح ادراك وجوه الاعجاز والمعاني القرآنية لا تكمن في اللغة فحسب وإن كانت اللغة أهم ادواتها . ولكن بشاشة الإيمان وصدقه وإخلاص القلب وصفاءه هي المصابيح التي تنير طريق المؤمن وتكشف خبايا هذا الكنز الميسر للمؤمنين إنشاء الله ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ .

وبشاشة الإيمان كما لا يخفى لا تدرك بكثير علم في الشرع ولا باللغة ولكن بنور الله الذي يعطاه من اصدق الله ونصره . فما سبق الناس أبوبكر بكثرة الصيام ولا قيام ولكن سبقهم بشيء في قلبه . وبالعبادة يرقى العبد إلى أعلى عليين فيدفعه ذلك إلى التعطش للمعرفة والتقرب إلى الله من خلال الحديث إليه مباشرة والأخذ من مأدبته : الا أن مأدبة الله القرآن : فيجد المسلم - والحال كذلك - نفسه مدفوعاً إلى تعلم العربية وفنونها وهو الأفضل لأن الحاجة لتعلمها تأتي من خلال الحاجة لاستعمالها وذلك هو المحك الرئيسي للعلم وهذا

ما فعله ويفعله المسلمون الخالص كل يوم وبلغ به الاعاجم مكانة في اللغة بزوا فيها العرب
وما كانوا ليلغوها لولا هذا الحافظ الديني .

كان هذا القدر كافياً في الدلالة على أنه ليس ثمة ما يحرم ترجمة معاني القرآن لأي لغة
أخرى بغرض تبليغ الدعوة الإسلامية إلى القاصي والداني . وما دامت الترجمة لم تحرم
بالنص الشرعي ولم يجمع على تحريمها بناء على ذلك فقد أصبحت من الأمور الجائزة شرعا
عملا بقاعدة: «إن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد الحظر» .

ولكن الترجمة في نظري تتمتع بما هو أكثر من الجواز الشرعي فبينما انعدمت واندفعت
النصوص والادلة المانعة لها تضافرت الادلة القوية المجوزة والموجبة لها . ابتداء من عمل
واقرار الرسول ﷺ للترجمة وانتهاء بالشروح والتفسيرات والتخریجات المبنية على النصوص
القرآنية والأحاديث النبوية وسبل الاجتهاد الأخرى .

وفوق هذا وذاك هناك توجيه ثالث ينبغي أن لا يفوت على المسلمين: ذلك أن
الرسول ﷺ قد ابتعثه الله خاتماً للنبيين وأرسله إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون ارسله بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من عبادة العباد إلى
عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . فقال
تعالى :

١ - ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (٢٨) .

٢ - ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا إليكم نورا مبيناً﴾ (٢٩)

٣ - ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ﴾ (٣٠) .

وأمر الرسول ﷺ باداء هذه الرسالة وتبليغ الأمانة . فقال تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (٣١) . وقال ﷺ في نهاية وصيته
لأصحابه في حجة الوداع : «ألا هل بلغت» . قالوا : بلى . قال : «اللهم فاشهد ثلاثاً . ليلغ
الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى ممن سمع» . كما ينبغي أن يؤدي الواجب وأمر
المسلمين أن يحملوا الراية من بعده إلى يوم الدين إذ لا نبي بعده .

وكما يقول الإمام الشاطبي : وذلك أن العالم وارث النبي ﷺ فالبيان في حقه لا بد منه
من حيث هو عالم والدليل على ذلك أمران : أحدهما : ما ثبت من كون العلماء ورثة الأنبياء
وهو معنى صحيح ثابت ويلزم من كونه وارثاً قيام مورثه في البيان وإذا كان البيان فرضاً
على المورث لزم أن يكون فرضاً على الوارث أيضاً . ولا فرق في البيان بين ما هو مشكل أو

مجمل من الأدلة وبين أصول الأدلة في الاتيان بها فأصل التبليغ بيان لحكم الشريعة وبيان المبلغ مثله بعد التبليغ .

والثانى : ما جاء من الأدلة على ذلك بالنسبة إلى العلماء فقد قال : ﴿ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيان والهدى﴾ .

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ .

﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ . والآيات كثيرة وفي الحديث : «الايبلغ الشاهد منكم الغائب» . وقال : «لا حسد إلا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» . وقال : «من اشراط الساعة - أن يرفع العلم ويظهر الجهل» . والأحاديث في هذا كثيرة ولا خلاف في وجوب البيان على العلماء والبيان يشمل البيان الابتدائي والبيان للنصوص الواردة والتكاليف المتوجهة فثبت ان العالم يلزمه البيان من حيث هو عالم (٣٢) .

ومعلوم لدى الكافة أن الرسالة الإسلامية لم تصل بل ولم تبلغ صحيحة لكثير من أمم العالم اليوم فما على المسلمين إلا أن يشمروا وساعد الجد وأن يسعوا في تبليغها حية وصحيحة بكل سبيل إلى الناس أجمعين وما الترجمة إلا واحد من هذه الوسائل التي يمكن أن يؤدي بها هذا الواجب الذي حملوه عن الرسول ﷺ ومن الله من قبل حيث قال : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٣٣) .

وصحيح ما اعرب عنه الكثيرون من أن الترجمة لا يمكن أن تنقل المعانى القرآنية بكل دلالاتها وايقاعاتها . بكل سحرها وروعها المؤثرة في النفوس المليئة للقلوب . إلا أنه ومن خلال التجارب والترقى في فنون الترجمة القرآنية سيصل المسلمون - ما اخلصوا النية - إلى مستوى من الترجمة معقول ومقبول . ولقد نشأت الآن بعض الدراسات ورصدت بعض الملاحظات التي من شأنها ان تهدي إلى إزالة كثير من القصور الذي صاحب التراجم الأولى وعلى كل فما يدرك كله لا يترك كله ويقرر ذلك في بساطة الأستاذ محمد أسد في مقدمة ترجمته للقرآن فيقول : دون سائر الكتب فإن معانى القرآن وتعبيراته اللغوية يكونان كلاً لا يفصل فيه أحدهما عن الآخر، ذلك أن مكان الكلمة من الجملة وموسيقى العبارات والتركيب العضوى للجمل القرآنية والهئية المثلى التي تتدفق فيها العبارات القرآنية الرمزية إلى دلالات واقعية حية بايقاعات ونبرات محكمة مؤثرة . كل هذا يجعل من القرآن عملاً فريداً يعجز البشر عن ترجمته وفقاً لهذه الخصائص إلى أى لغة أخرى إلا أنه من الممكن أن

ترجم رسالته «معانيه» بلغة معبرة ومفهومة لقوم كالغربيين لا يعرفون العربية البتة وكمعظم المسلمين غير العرب الذين لا تسعفهم حصيلتهم من العربية إلى أن يجدوا سبيلهم إلى القرآن دون مساعدة (٣٤) .

إن واجب المسلمين تجاه العالم اليوم لأكبر من أن يؤدي بمجرد ترجمة القرآن وإنما يحتاج لمجهود أكبر من ذلك . فهو عالم حائري يتخبط ذهبت به المادة مذاهب ليس فيه المزيد من القوى لتحملها كما لم يعد في المادة نفسها مزيدا من البريق والجاذبية لتلهيه وتجذبه . . . فضل أيها ضلال فما على المسلمين إلا أن يقدموا له الإسلام حيا يسعى باعمالهم قبل اقوالهم .

ولكى يتسنى للمسلمين أن يضطلعوا بهذا الدور الكبير والخطير لا بد من ان يحرروا له فكرهم من معتقات عصر الجمود الطويل ومن شعاراته التي تقول : ليس في الامكان أحسن مما كان هذا وان التحرر الفكري للاجتهد العصري لن يتم بمجرد الوعي بأهميته وإنما لا بد له من فهم واسع وعميق للشريعة واستخدام صحيح للطبيعة على ضوءه . إذا لن يتأتى اسهام فكري وعلمي جديد ذو شأن في هذا العصر إلا كان ناتجه رائداً على ناتج المعدلات الفكرية والعلمية الحاضرة والمتصورة . وحيث أن المعدلات الراهنة تتنافس في حيز ضيق في القمة ، فدرها قد اصبح مسدوداً لكل طامح . ولا يلوح في الأفق فكر - سوى الإسلام - يمكن أن يأتي بمعدلات جديدة . وذلك لما فيه من امكانية التزاوج بين علوم الشريعة والطبيعة بما يحقق التكامل الفطري الذي يفتقده الإنسان المعاصر . لان الحضارة المادية سلبته جل مقوماته الروحية ، وأى تصحيح لها من داخله سيقلب كفة الميزان على غير هدى كما نشاهده في حركات الرفض الغربية والتصوف الإسلامية والرهينة النصرانية ، وما يرشح الإسلام للقيام بهذا الدور هو قدرته على الاحتفاظ بكفتى الميزان في اعتدال . ومن هنا يتأتى الإسهام بمعدلاته الجديدة الكاسحة إن شاء الله - فقد يتطلب الأمر من المسلمين فهما للإسلام أكثر احاطة وعمقاً لكل من علم الوحي المنزل - الشريعة - وعلم الكون المفتوح - الطبيعة ومن ضمن ما ينبثق عن علم الوحي الاستخدام الصحيح لعلم الطبيعة حتى يتم التزاوج بين العلمين في اتساق وانسجام يعطى كفاية انتاجية عالية . لأن تفجير طاقات الإنسان بواسطة هذا التزاوج الواعي يفوق كل أسباب الدفع والخوافز الحالية . بل إنها جميعاً كسر صغير من أسباب الدفع الديني في الحياة تحت ظل العقيدة الإسلامية .

خاتمة

ولقائل أن يقول علام هذا الجهد في أمر قد أصبح مطروقا ومألوفاً ومعمولاً به عند الناس؟ وهو اعتراض صحيح من وجه ولكن رغم العمل والألفة فما زال يحيك في صدور الكثيرين مناشيء من الوجع وعدم الاطمئنان لموضوع الترجمة مثلاً في الاعتراضات القوية التي اثبتناها من قبل. وما مثل هذا الجهد المتواضع إلا كمثل إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه ضارعا: ﴿ربى أرنى كيف تحبى الموتى. قال: أولم تؤمن. قال: بلى ولكن ليطمئن قلبى. قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ (٣٥).

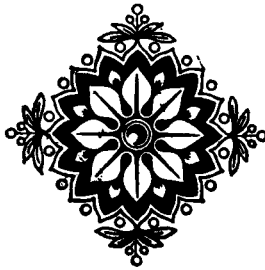
فلو افلح هذا في ادخال الطمأنينة إلى نفوس أولئك الذين كانت تحيك في صدورهم اشياء من الترجمة لكفى به جهدا والله المستعان وعليه التكلان.



المراجع

- (١) الاحكام في أصول الاحكام: لابي الحسن على بن ابي على بن محمد الامدى: (٨٢/١). مطبوعات محمد على صبيح. بميدان الأزهر بمصر.
- (٢) أصول فخر الإسلام - اليزدوى مع كشف الاسرار لعبد العزيز البخارى: (٢٥-٢١/١) ١٣٠٧.
- (٣) تفسير النيسابورى المطبوع بها من تفسير الطبرى: لمؤلفه الحسن بن على محمد بن حسين القصى النيسابورى (٨٠/١) المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٢٢٣ - الطبعة الأولى.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) كشف الاسرار لعبد العزيز اليزدوى البخارى: (٢٧-٢٦/١).
- (٧) تفسير النيسابورى بها من تفسير الطبرى: (٨٠/١).
- (٨) القوانين الفقهية لابي القاسم محمد بن أحمد بن جزي (ص: ٤٤). الطبعة الأولى ١٩٧٧. دار القلم - بيروت - لبنان.
- (٩) تفسير النيسابورى اعلاه (٨١/١).
- (١٠) فتح البارى: لابن حجر العسقلانى: (٣٠٠-٢٩٩/١٧).
- (١١) كشف الاسرار: (٢٦-٢٥/١).
- (١٢) الفرقان لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: (ص: ٢٢١) الطبعة الأولى (١٩٤٨-١٣٦٧) مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.
- (١٣) دلالة الالفاظ للدكتور إبراهيم انيس: (ص: ١٨٦) الطبعة الثانية: (١٩٦٣) مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة.
- فن التدريس للتربية الإسلامية لمحمد صالح سمك - فصل ترجمة القرآن (ص: ٥١٩ - ٥٢٠) مكتبة الانجلو المصرية.
- الفرقان: (ص: ١٧٠-٢٢٨).
- (١٤) فتح البارى بشرح البخارى: (٣٠٠-٢٩٩ / ١٧) شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر: (١٩٥٩-١٣٨٧).

- (١٥) فتح الباريء: لابن حجر العسقلاني: (١٩ / ٢٩٩-٣٠١) .
- (١٦) انظر: ص
- (١٧) اعجاز القرآن لأبى بكر الباقلاني الموضوع بها من الاتفاق في علوم القرآن للسيوطى الطبعة الثالثة: (١٣٧٠ - ١٩٥١) .
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
- (١٨) الفرقان: (ص: ٢٢٢) .
- (١٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري .
انتشارات آفتاب، طهران - ايران .
- والاجلاء أى الالتزام بالإيمان بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .
- (٢٠) فن التدريس للتربية الإسلامية: (ص: ٥٢٢) .
- (٢١) ترجمة بتصرف .
- (٢٢) المرجع السابق: ترجمة بتصرف .
- (٢٣) الفرقان: (ص: ٢٢٨) .
- (٢٤) الاتقان في علوم القرآن: (٢ / ١١٦-١١٧) .
- (٢٥) المرجع السابق .
- (٢٦) المرجع السابق: (ص: ١١٩) .
- (٢٧) تفسير القرآن العظيم: «المعروف بتفسير ابن كثير» للإمام اسماعيل بن كثير .
المرجع السابق: (ص: ١٢١) . تفسير سورة المدثر: (ص: ٤٤٣) . مطبوعات دار الفكر .
- (٢٨) الفرقان: (١) .
- (٢٩) النساء: (١٧٤) .
- (٣٠) الأنعام: (١٩) .
- (٣١) المائدة: (٦٧) .
- (٣٢) الموافقات في أصول الاحكام لأبى اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبى: (٣ / ١٧٦) . المطبعة السلفية بمصر .
- (٣٣) الأحزاب: (٧٢) .
- (٣٤) الترجمة بتصرف .
- (٣٥) البقرة: (٢٦٠) .



تَعَدُّ زَوَّجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ

-٢-
للكنور ملك غلام مرتضى
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

في هذه الحلقة أتم ما بدأت من موضوع تعدد زوجات الرسول ﷺ فيما يلي :-

٨ - السيدة : جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها :

وكانت أرملة ماتع بن صفوان الذى كان من ألد أعداء الإسلام وأشدهم خصومة للرسول ﷺ . كان قد قتل يوم المريسيع خلال غزوة بنى المصطلق وتركها ف وقعت أسيرة في يد المسلمين . وهى أيضا بنت الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين كانوا يتآمرون على المسلمين وأحيانا يغيرون عليهم ويوقعون بهم الضرر .

وقد ورد في صحيح البخارى عن عائشة - رضى الله عنها تعالى - أنها قالت :-

أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، ف وقعت (جويرية بنت الحارث) فى سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق ، فأعنى على فكاكى ، فقال عليه السلام : أوخير من ذلك؟ . فقالت : ما هو؟ . فقال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . فقالت : نعم يا رسول الله . فقال رسول الله : قد «فعلت» .

فلما علم أصحاب النبى ﷺ بهذا قالوا : أصهار رسول الله يسترقون؟ . فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت بزواجه عليه السلام بنت سيد بنى المصطلق .

ولم يسع لبنى المصطلق بعد اطلاق سراحهم والاحسان عليهم من قبل الرسول ﷺ والمسلمين إلا أن يسلموا ويتخلصوا من حقدهم على الإسلام والنبى ﷺ ويقلعوا عن جرائم قطع الطريق والغارات التى كانوا يشنونها على ديار المسلمين (كانت هذه القبيلة من قطاع الطريق) . وقد ورد فى بعض الروايات أنه وصل أبو السيدة جويرية لعتقها من الأسر قبل

زواجها بالرسول ﷺ وأراد أن يأخذها معه ويدفع تسع أوقيات من عنده وهنا ترك النبي ﷺ الأمر للسيدة جويرية أن تختار بين أمرين .

(١) إما أن تذهب إلى قبيلتها مع أبيها .

(٢) وإما أن تسلم وتختار الزواج بالرسول ﷺ فاختارت الإسلام والزواج بالرسول

ﷺ على الكفر والرجوع إلى أهلها وقبيلتها .

فكان هذا الزواج بركة عليها وعلى أهلها وقبيلتها لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم

وترك أعمال قطع الطريق . فقال الناس أن «جويرية أيمن امرأة على قومها» .

من هنا نرى أن هذا الزواج كان ميموناً على بنى المصطلق لأنه استبدل عداوتهم

للإسلام إلى حبه لله والرسول والإسلام وهو مبارك على المسلمين أيضاً لأنه خلصهم من

غارات بنى المصطلق ومؤامراتهم وبدأ بنو المصطلق يساعدون المسلمين ويجاهدون في سبيل

الله .

٩ - السيدة : أم حبيبة - رضی الله عنها :

وهي بنت أبي سفيان الذي كان في جاهليته (ألد أعداء الإسلام بعد أبي جهل)

وكانت قد أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فرارا بدينها . ومات

زوجها في الحبشة فأصبحت وحيدة ليس لها كفيل ولا معين . إن هي عادت إلى أبيها في مكة

المكرمة فالنتيجة واضحة ، ستجبر على الرجوع إلى الكفر قهراً وإلا عذبت عذاباً شديداً ،

أما في المدينة المنورة فليس لها من يكفلها ويرعاها .

فلما علم الرسول ﷺ بوفاة زوجها ، خطبها وأرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه

إياها . فلما علمت السيدة أم حبيبة بما فعل الرسول ﷺ فرحت وسرت سرورا عظيماً ووافقت

على هذا الزواج . فزوجها النجاشي بالرسول ﷺ وأصدقها عنه أربعمئة دينار مع هدايا

أخرى ثمينة وبعث بها إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حسنة فوصلت في سنة سبع من الهجرة

إلى المدينة المنورة . وكان عمرها حينئذ سبعمائة وثلاثين سنة ، ولما علم أبو سفيان بهذا الزواج

أقره وقال : «هو الفحل لا يقدر أنفه» . ونرى حكمة بالغة وراء هذا الزواج وهي تأليف قلب

أبي سفيان وقومه فصار هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عن المسلمين في مكة المكرمة وأصبح

أكثر ميلاً إلى الصلح . فنراه قادماً إلى المدينة المنورة لتجديد الصلح ويزور ابنته في بيت

الرسول ﷺ والابنة تقنعه أنه لا كرامة لأى إنسان إلا بالإسلام وإن كان والدها . فمن الواقع

أن أبا سفيان ما جاء غازياً ضد أهل المدينة بعد هذا الزواج .

١٠ - السيدة : صفية - رضی الله عنها :

وكانت سيدة بنى قريظة وأيضا سيدة بنى النضير وهما قبيلتان من اليهود عقدتا صلحا مع الرسول ﷺ والمسلمين ثم نقضتا العهد غدرا وخيانة . والسيدة صفية ابنة حى بن أخطب الذى كان سيد بنى قريظة ومن ناحية الأم هى ابنة صيمويل الذى كان سيد بنى النضير . وكانت السيدة «صفية» قد أسرت بعد مقتل زوجها فى غزوة خيبر وروى أنها - رضی الله عنها - لما دخلت على النبى ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود عداوة لى حتى قتله الله . فقالت يارسول الله : إن الله يقول فى كتابه : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ . فقال لها النبى ﷺ : إختارى فإن إخترت الإسلام أمسكتك لنفسى ، وان إخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك ، فقالت : يارسول الله . لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعونى إلى رحلك ومالى فى اليهودية أرب ، ومالى فيها والد ولا أخ ، وخيرتنى الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلى من العتق ، وأن أرجع إلى قومى . فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه . ونرى كثيرا من اليهود أسلموا بعد هذا الزواج ، ولا نراهم يتآمرون ويؤلبون قبائل العرب ضد رسول الله ﷺ بعده .

١١ - السيدة : ميمونة - رضی الله عنها :

كانت السيدة «ميمونة» قد تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبى ﷺ ومات زوجها الثانى (أرحم بن عبد العزى) فى السنة السابعة من الهجرة ، وهى أيضا أخت أم المؤمنين «زينب بنت خزيمة» من ناحية الأم . وكان فى هذا الزواج مصلحة كبيرة لأن السيدة ميمونة كانت أخت زوج سيد بعض قبائل عربية تأمرت على الإسلام والمسلمين إذ طلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل سبعين من الفقهاء ليعلموهم الدين وما لبثوا أن غدروا بهؤلاء المبعوثين فقتلهم عن بكرة أبيهم ، واستمروا على عدائهم ، حتى أن تمت مصاهرة النبى ﷺ لسيدهم بزواجه ميمونة - رضی الله عنها - وجدير بالذكر أن نقف برهة لنميز بين هذا النوع من الزواج بين ملوك وأباطرة العالم وبين الرسول ﷺ ، فإن مثل هذه الزيجات كانت معروفة لدى أباطرة العالم بمصاهرة أعدائهم إتقاء شرهم ولكسبهم إلى صفوفهم أو ضمان حيادهم على أقل تقدير ويكون الإصهار دائما فى جانب قوى . لا يتمكن الصهر من كسر شوكتهم . . . أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يكن زواجه من هذا القبيل وإن اتفق فى النهاية بمصاهرة أقوام ناصبوه العداة فمصاهرته لم تكن خاضعة للمفاوضات والمبادلات ، ولكنه مصاهر بعد كسر

شوكتهم وتغلبه عليهم ودحرهم وحتى لم يكن هناك طلباً رسمياً مقدم إلى رئيس القبيلة أو القوم المعادين لهذه المصاهرة .

والجانب الآخر أن الإسلام لم يكن قط طريقاً للعبودية والسخرة التي دأبت بها البشرية في عصورها وما تناله النساء خاصة بعد انكسار قواتهم في الحروب من هتك لأعراضهم وذل وعار بهيمي في الدرك الأسفل من البهيمية، فقد كان الرسول ﷺ بذاته قدوة للمؤمنين، خيرهن بين خير الإسلام وعتقهن . ومن ثم تشریفهن بالزواج بعد إيمانهن لا بالرق ليمثل به المؤمنون . . . والوقائع تشهد لنا بذلك والقرآن الكريم يؤكد هذا الأمر: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ .

مزاعم أعداء الإسلام ودفعها :

يزعم أعداء الإسلام أن الرسول ﷺ أنه عدد زوجاته لإشباع رغباته، وفيما سبق أشرت بإيجاز إلى الظروف والملابسات التي أدت إلى كل زيجة من زيجات النبي ﷺ ومنها يمكن أن يرد على أولئك الأعداء فيما يزعمون من جهة، ومن جهة أخرى لو أن الرسول ﷺ كما يزعمون لما ظل وفيما لخديجة - رضی الله عنها - التي كانت قد بلغت الخامسة والستين من العمر وهو ما يزال في الخمسين من عمره . فكيف يقنع بامرأة متقدمة في السن تكبره خمس عشرة سنة ولا يختار امرأة أخرى حتى توفيت وهي في الخامسة والستين من عمرها، فهل يمكن لرجل شهواني أن يصبر على شهوته إلى هذا الحد حتى يهرم ويصير شيخاً كبيراً؟ . فضلاً عن ذلك، فإن قریشا عرضت عليه ﷺ أن ينصبوه ملكاً عليهم، وأن يزوجه أجمل النساء على أن يترك دعوته ولو كان كما يزعم أعداء الإسلام لرحب بهذا العرض، واختار لنفسه إحدى الشابات الجميلات . ولكنه عاش حياة البساطة والتقشف رغم أن الله تعالى يسر للمسلمين غنائم كثيرة . وأسوق شاهداً لهذا حادثين موجزين فيما يلي :-

١ - حادث الإيلاء :

عندما كثرت الفتوحات والغنائم والأموال، طالبت أزواج النبي ﷺ بزيادة يسيرة في نفقات المعيشة حتى ينتقلن من حياة الفقر إلى حياة اليسر والراحة مما أزعج النبي ﷺ إزعاجاً شديداً . وعندما علم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بهذا جاءا إلى بنتيهما أم المؤمنين السيدة عائشة وأم المؤمنين السيدة حفصة ونبهاهما إلى قلق النبي ﷺ إزاء موقفهما . أما الأزواج الأخريات فلم يرق لهن تدخل أبي بكر وعمر وأصررن على المطالبة بزيادة النفقات على

أساس أن ما يطلبن يعتبر شيئاً يسيراً بل متوفراً لدى غالبية المسلمين . وجئن بدليل قوى وهو أنهن قد صبرن على آلام الفقر والحرمات والمسكنة في الماضي . أما بعد أن أفاء الله بنعماه وكثرت الأموال والغنائم والجوارى فلم يبق أى مبرر لاستمرار حياة الفقر والمسكنة والجوع والفاقة .

فانزعج النبي ﷺ لدرجة أنه هجر أزواجه كلهن لشهر كامل والتزم الصمت معهن حتى ذاع بين الناس أنه قد طلقهن .

٢ - حادث التخيير :

هذا الحدث تنمة لحدث الإيلاء . فعندما ظلت أزواج النبي ﷺ مصرات على طلب زيادة النفقات ، أنزل الله سبحانه آيات التخيير وجعلهن يحترن بين أمرين :-
(١) إما الحياة مع الرسول ﷺ مع الفقر والمسكنة .
(٢) وإما الحياة بدون الرسول ﷺ مع رغد وبجوحة في العيش وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله :-

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ . (سورة الأحزاب : ٢٨-٢٩) .

فخير النبي ﷺ زوجاته بين الأمرين وأسمعهن هذه الآيات . وقال للسيدة عائشة : تشاورى مع والديك ولا تتعجلى فى الأمر فردت على الفور: هل أتشاور فى الله والرسول يارسول الله؟ .

والمعروف أن كل واحدة من نساء النبي ﷺ اختارت الله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ والدار الآخرة مع حياة الفقر والفاقة والمسكنة والتقشف والبساطة حتى شهد التاريخ أنه ما كان يوجد زيت للإضاءة فى بيت النبي ﷺ يوم انتقل إلى رحاب الله .
فهل يمكن هذا لرجل غير النبي أن يعيش مثل هذه العيشة ويجبر زوجاته أيضاً عليها؟ .

والشخص الذى يتدبر هذه الأمور ويتعرف على سيرة النبي ﷺ لاسيما حياته العائلية لا يمكن أن يتهم الرسول الكريم ﷺ بالشهوانية والتكالب على الملذات الحسية لو كان لهذا الشخص أدنى وازع من الضمير أولديه ذرة من الحياء والحجل .

المصالح والغايات وراء تعدد الزوجات :

وهي خمسة أقسام :-

- (أ) المصالح التعليمية .
- (ب) المصالح التشريعية .
- (ج) المصالح الإجتماعية .
- (د) المصالح السياسية .
- (ر) المصالح الشخصية .

والآن لنتناول بإيجاز كل من هذه المصالح الخمس :-

أ - المصالح التعليمية : المرأة كما هو معروف نصف المجتمع لذلك كان لابد للنبي

ﷺ أن يهيئ معلمات ومفتيات لتبصير نساء المسلمين بأموال دينهن .

فهذه هي الحكمة الأساسية وراء تعدد الزوجات . وقد عرفنا أن السيدة عائشة ظلت تدرس وتبلغ تعاليم الإسلام وتفتى في الكثير من المسائل الهامة ثماني وأربعين سنة بعد وفاة النبي ﷺ وانتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة الإسلامية من خلال توجيهاتها ومساعدتها . ومن هنا تتضح لنا المصلحة وراء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة وهي صغيرة السن .

وكان النبي ﷺ «أشد حياء من العذراء في خدرها» وهكذا يكون الأنبياء فما كان يمكنه أن يرد على كل سؤال يوجه إليه من جانب النساء بكل صراحة فكان يجب بأسلوب الكناية أو يستعين بإحدى أزواجه ﷺ . ومن رواية السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن الغسل من المحيض فعلمها النبي ﷺ كيف تغتسل ، ثم قال لها : خذي فرصة ممسكة (أى قطعة من القطن بها أثر الطيب) فتطهري بها ، قالت : كيف أتطهر بها ، قال : تطهري بها ، قالت : كيف يارسول الله أتطهر بها؟ . فقال لها : سبحان الله تطهري بها ، قالت : السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها فقلت ضعيفا في مكان كذا وكذا ، وتتبعي بها أثر الدم .

وهكذا كان هناك الكثير من الأسئلة المحرجة لاسيما عن أحكام الحيض والنفاس والجنابة فكانت تجيب عنها زوجاته الطاهرات في أكثر الأحيان في حياته وبعد وفاته ﷺ والسنة المطهرة بعد القرآن الكريم هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام وتشتمل على أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتقديره ولا يمكن لأحد أن يعرف ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير إلا أن يكون معه في جميع الأوقات حتى خلال أوقات فراغه متابعا لكافة

حالات فرحه وغضبه ويسره وعسره ويصاحبه في كل أمور حياته مهما كانت هامة أو بسيطة ،
عامة أو شخصية .

وهذا الشرف لم يقدره الله سبحانه وتعالى إلا لزوجاته ﷺ اللاتي ظللن يصحبهن طوال
حياته إلى لحظة انتقاله إلى الرفيق الأعلى . فلهذا نرى أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم
أجمعين كانوا يستفتون أمهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عليهن أجمعين - فيما يعن من أمور
هامة في حياة المسلمين العامة والخاصة .

ويقول الإمام الزهري التابعي : « كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من
أصحاب رسول الله ﷺ » . (طبقات ابن سعد : ج ٢ : قسم ٢ : ص ٢٦) .

ب - المصالح التشريعية : كما تزوج رسول الله ﷺ لتحقيق بعض الغايات التشريعية
ومنها إبطال بعض العادات التي سادت زمن الجاهلية مثل التبني والتأخي .
كان بعض الناس من العرب يقول للآخر : « أنت ابني » فكان يتخذونه إبناً حقيقياً
فكان له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال ، في الزواج والطلاق ومحرمات النكاح
ومحرمات المصاهرة والميراث .

وكذلك كان بعض الناس يقول للآخر : « أنت أخي » فكان يتخذونه أخاً حقيقياً بنفس
الطريقة وكان يحل له كل ما يحل للأخ الحقيقي ويحرم عليه كل ما يحرم على الأخ الحقيقي
أيضاً .

فأبطل رسول الله ﷺ عادة التبني بزواجه بمطلقة متبناه زيد وهي أم المؤمنين السيدة
زينب بنت جحش . الحق أن النبي ﷺ كان يخشى أيضاً من السنة الناس ويتردد في هذا
الزواج فنزلت الآية : ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تحشاه ﴾ . فالنقطة الهامة أنه ما كان لأى
إنسان غير النبي يستطيع أن يبطل عادة التبني إذا لم يبطلها النبي ﷺ لخشيته من الناس .
ففرض الله على النبي ﷺ هذا الزواج ليبطل نظام التبني .

وبالمثل فقد أبطل النبي ﷺ عادة التأخي بزواجه بأم المؤمنين السيدة عائشة لأنها ابنة
أخيه في الإسلام سيدنا أبى بكر الصديق . وقال له رسول الله ﷺ كما سبق أن ذكرنا « أنت
أخي في الإسلام » ولا يعنى هذا أنك أخي من ناحية النسب . ففرق رسول الله ﷺ بين
التأخي في الإسلام والأخوة على أساس النسب .

ج - المصالح الإجتماعية : حاول رسول الله ﷺ أن يربط أهم وأبرز أعضاء الأمة الإسلامية بعضهم ببعض عن طريق المصاهرة فمثلاً زواجه بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب جاء تنويحاً للوشائج الوثيقة التي ربطت بينه وبين أهم وأعظم أصحابه وهما سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب اللذان أسديا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وقد تقلد كل منهما أمور المسلمين بعد وفاة المصطفى ﷺ .
ومن ناحية أخرى فقد زوج الرسول ﷺ بعض بناته بسيدنا عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبي طالب وقربهما إليه وقد كان هذا حافزاً لهما بالتضحية في سبيل الله بكل شىء . وهكذا صار سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي من أعظم الرجال وأتقاهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ .

د - المصالح السياسية : ونرى الكثير من المصالح السياسية التي تحققت من وراء زيجات النبي ﷺ فمثلاً زواجه بالسيدة جويرية بنت سيد بنى المصطلق . وعتق أسرى بنى المصطلق فأسلموا وتحلوا عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التي كانوا يشنونها ضد المسلمين ولا نرى أية مؤامرة يحكها بنو المصطلق ضد المسلمين بعد هذا الزواج .
وهكذا زواجه بالسيدة صفية بنت حى بن أخطب سيد بنى قريظة قد خفف بل قضى على موقف العداء الذى وقفه اليهود ضد الإسلام ووضع حداً لمؤامرتهم ضد النبي ﷺ بعد هذا الزواج . وهكذا زواجه بالسيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان سيد قريش . فنرى أباً سفيان الذى كان ألد أعداء الإسلام قبل إسلامه ، خفيفاً غير ممعن فى عداوته ضد الإسلام حتى جاء إلى المدينة المنورة يلتمس تجديد عقد صلح الحديبية ولا يأتى غازياً إلى المدينة المنورة بأحزابه بعد هذا الزواج .

وزواجه ﷺ بالسيدة ميمونة أخت زوج سيد بعض قبائل سعت فسادا فى الأرض واغتالت سبعين من كبار الصحابة بالمكر والخديعة . كان له أثر بالغ فى تلطيف مخاصمة هذه القبائل للمسلمين .

ر - المصالح الإنسانية : وهناك المصالح الإنسانية أيضاً وراء بعض زيجاته ﷺ . فقد تزوج النبي ﷺ بعض النساء رافة بهن بسبب ظروفهن الخاصة . وكانت هناك بعض النساء العجائز اللاتي مات عنهن أزواجهن فلم يبق لهن سند أو معين فى الحياة أو هناك الأمهات اللاتي افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن . وكانت هناك بعض الأراامل اللاتي لورجعن إلى أهلهن لعذبن عذاباً شديداً ولفتن فتوناً كبيراً . فتزوجهن رسول الله ﷺ صيانة لهن ورعاية

لإنسانيتهم فمنهن السيدة سودة - رضى الله عنها - (عمرها ٥٥ سنة وقت الزواج) . والسيدة زينب بنت خزيمة (كان عمرها ٦٠ سنة حينئذ) . والسيدة أم سلمة - رضى الله عنها - (كان عمرها حوالي ٦٠ سنة حينئذ) .

فما رأى الأفاكين والمغرضين من المستشرقين فى زواج الرسول ﷺ بهؤلاء النسوة؟ ، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار والتضحية وتكريم الإنسانية؟ .

■ ■ الخاتمة ■ ■

إذا كان ذهن ومستوى فكر بعض الناس أضيق من أن يتصور حقيقة الكرامة والشرف للإنسان فما هو ذنب أهل الكرامة والشرف؟ . وما على هؤلاء الناس إلا أن يعالجوا أذهانهم ومستوى فكرهم ويوسعوا أفق تصورهم . إنما الحق أن زيجات الرسول ﷺ كلها تدل على نبوته ورسالته وهى دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على أنه لم يأت ولن يأتى رجل مثل النبى ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك مرضاة لله سبحانه ثم جبا للإنسانية .

إن الرجل هو فى الحقيقة أنقى وأطهر الناس فى العالم بدليل أنه لا يختار لنفسه إلا الأرامل والعجائز والوحيديات اللاتى فقدن كل سند ومعين فى الحياة .

والسيدة عائشة هى الوحيدة بين كل أمهات المؤمنين التى كانت بكرًا ، وأما الأخريات فهن كلهن أرامل ومسنات - هل هذه شهوانية وأنانية أم هذه قمة الإنسانية؟ . والأمر الهام جدا أن نرى هذه الزيجات فى إطار الظروف والملابسات التى أحاطت الرسول الداعى إلى الإسلام وإمام الإنسانية . ما الذى كان يناسبه لنشر دعوته إلى الناس جميعا ، فمنهم الرجال والنساء ، ومنهم أصحابه وأعداؤه ومنهم قبائل العرب ودول العجم وقد أرسله الله رسولا إلى الناس كافة فكان عليه أن يؤم الحركة الإسلامية ويبلغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة . ويعطيها نفوذاً وقوة فى كل مجال وفى كل ناحية . فإذا نظرنا إلى زيجات الرسول ﷺ من هذه الناحية نرى أنها أمر لا بد منه وهكذا سنة النبيين جميعاً .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين . . .

الإسلامُ والمسيحون في إنجلترا ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

للدكتور محمد إبراهيم الصيرم الجبوتى
أستاذ بالدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشداً،
وبعد ...

فإن الحديث عن الإسلام والمسلمين في بريطانيا يقتضينا أن نقدم له بتمهيد سريع عن
نظرة أمم الغرب بوجه عام إلى الإسلام والمسلمين .

فكرة الغرب عن الإسلام ومصدرها :

مثل الشعب الإنجليزي مثل غيره من شعوب بلاد الغرب جميعاً في فكرتهم عن
الإسلام والمسلمين، فقد ظلوا فترة يستقون معلوماتهم عن الإسلام مما يكتبه رجال الكنيسة
والمبشرون، الذين دأبوا على تصوير الإسلام لهم بصورة منفرة، وتصوير المسلمين في صورة
همجية بشعة، وقد ظلت هذه الفكرة سائدة عند عامة الناس في أوروبا بوجه عام حتى أوائل
القرن العشرين الميلادى، وإن كان كثيرون من القادة ورجال الدين يعرفون الكثير عن
حقائق الإسلام، ولكنهم كانوا يكتمون ذلك، ويقدمون للإسلام صورة مشوهة تعصباً منهم
وحسداً، واستغلالاً لجهل السواد الأعظم من الأوروبيين بحقائق الإسلام الناصعة،
وعقائده القويمة، ومثله العليا، وأخلاقه النبيلة، ومنهجه السوى المستقيم .

الإسلام يجذب أحرار المفكرين الغربيين :

فلما أتى لكثير من الأوروبيين أن يتعاملوا مع المسلمين مباشرة بعد موجة الاستعمار
التي ملكوا فيها أغلب مقدرات العالم الإسلامى تهيأت عن طريق ذلك فرصة لكثير من
أحرار مفكرهم أن يروا المسلمين في بلادهم، ويعرفوا عن دينهم ونيهم ﷺ الشىء الكثير،
مما وجدوه مخالفاً كل المخالفة لما سمعوه من المبشرين ورجال الكنيسة على مدى القرون

الماضية، فبدأت فكرتهم عن الإسلام تتغير، حينما اطلعوا على ما فيه من سمو العقيدة وصفائها، وأخذ كثير منهم يتعرف على الإسلام مباشرة من مصادره الأولى، ويعرف المسلمين من خلال تعامله معهم، لا من خلال كتابات المستشرقين ورجال الدين، وقد هالهم أن وجدوا شيئاً فذاً بعيداً كل البعد عما حاول رجال الكنيسة أن يصبوه في عقول الناس ووجدانهم، وأثمرت حركة التعرف المباشر هذه ثمرتها، إذ اعتنق عدد من أحرار مفكرهم الإسلام، وأخذوا يكتبون عنه، وفي مقدمة هؤلاء عدد من الفرنسيين يقف في الطليعة منهم الفيلسوف المسلم «جينييه رينو»، أو الشيخ عبد الواحد يحيى، كما سمي نفسه بعد ذلك، ويبلغ من سيادة هذا الاتجاه بين أحرار الفكر الغربي أن كتب تولستوى الأديب الروسى المشهور مقالاً يعبر فيه عن إعجابه بعظمة رسول الله ﷺ مما أزعج الكنيسة والقائمين عليها، ولم تستطع الكنيسة أن تكتم ضيقها بمثل هذه الكتابات، فأصدرت قراراً بحرمان تولستوى خشية أن ينهج سواه على منواله، وقد كتب له الشيخ محمد عبده رسالتين يحيه فيها، ويشيد بشجاعته في الجهر بالحق، ويذكر له أن القرار الذى صدر بحرمانه، إنما هو وسام يعلى بين طلاب الحق مكانته في العالم كله، ومن يريد التعرف على المزيد من رجالات الفكر الغربى الذين اعتنقوا الإسلام فليقرأ كتاب الدكتور عبد الحليم محمود: «أوروبا والإسلام». وعلى الرغم من انبثاق هذا الاتجاه بين المثقفين إلا أنه ظل يمثل ظاهرة فردية، لم تتعد آثارها أصحابها إلى غيرهم من سواد الناس وعلى الرغم من ذلك، فقد شهدت هذه الفترة كتابات متحاملة على الإسلام، وتصدى علماء المسلمين للرد عليها، ومن أشهر هذه المعارك كتابات (هانوتو) الوزير الفرنسى عن الإسلام، وتصدى الشيخ محمد عبده للرد عليها وتفنيدها، وتجد وقائع هذه المعركة مسجلة في كتاب تاريخ الإمام محمد عبده الذى جمعه الشيخ محمد رشيد رضا في مجلدين .

نشأة المجتمعات الإسلامية في أوروبا :

وكان من طلائع من أسلموا من الإنجليز في هذه الظروف رجل يسمى «اللورد هيدلى» وقد سمي نفسه عمر الفاروق، وقام برحلات متعددة إلى العالم الإسلامى، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن الأمر ظل محصوراً في النطاق الفردى، ولم يتخذ شكلاً جماعياً، وظل كذلك. حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، واضطرت الدول الغربية إلى الاستعانة بأعداد من سكان البلاد الواقعة تحت سيطرتهم، فنزحت لذلك، جماعات كثيرة من سكان المستعمرات إلى بلاد أوروبا، واستقرت بها، وما شجعها على الإقامة والاستقرار أنها وجدت فرصاً للعيش خيراً مما هو مهياً لها في بلادها، فأغراها ذلك بالبقاء، ونشأت جاليات في

انجلترا تنتمي غالبيتها إلى شبه القارة الهندية الهندي آنذاك - وتمثل حاليا باكستان وبنجلادش والهند، ثم باقى دول الكومنولث الأخرى، ويلاحظ أنه لم يشارك فى هذا الزحف إلى انجلترا من البلاد العربية إلا بعض الإخوة من اليمن الذين كانوا يعملون فى السفن، وترتب على ذلك أن تكونت منهم جاليات فى عدد من المدن الساحلية .

أولاً : مثل مدينة كارديف عاصمة ويلز، وليفربول فى شمال انجلترا، وساوث شيلد فى الشمال الشرقى، وجلاسجو عاصمة اسكتلندا وعدد آخر من المدن الصغيرة الواقعة على الشاطئ .

وثانياً : فى المدن الصناعية مثل شيفيلد وبرمنجهام ومنشستر وسواها، وقد لوحظ أنه كلما استقرت جالية يمنية فى مكان ما قامت بجانبها جالية صومالية تشاركها فى كل شىء . وعلى غرار نشأة المجتمعات أو الجاليات الإسلامية فى انجلترا قامت جاليات إسلامية تنتمى إلى بلاد أخرى فى عدد من بلاد أوروبا الغربية فتكونت جالية كبيرة من بلاد المغرب العربى فى فرنسا ربما كانت أكثر عدداً لقرب فرنسا من بلاد المغرب العربى، وتكونت كذلك جالية أندنوسية فى هولندا، وفى أعقاب الثورة الكمالية فى تركيا هاجر عدد من الأتراك إلى المانيا والنمسا حفاظاً على دينهم، ولحق بهم جماعات من أوروبا الشرقية بعد سيطرة الشيوعيين على بلادهم وهكذا نشأت الجاليات الإسلامية فى أوروبا الغربية وأخذت تنمو مع الأيام ويزداد عددها، وبدأت تستقر فى تلك البلاد الجديدة وتميل إلى الإقامة الدائمة بها بعد أن كانت قادمة بنية العودة إلى أوطانها بعد حين، ومن بينها انجلترا موضع حديثنا اليوم .

وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من شباب البلدان التى منيت بالاستعمار قد رحلوا إلى طلب العلم فى جامعات البلاد المستعمرة، ولئن كان المستعمرون قد استهدفوا من وراء ذلك إعداد جيل من المثقفين بالثقافة الغربية ليكونوا همزة الوصل بينهم وبين شعوبهم، وليقوموا بالتبشير بالفكر الغربى والحضارة الغربية فى بلادهم، فإن جماعة من هؤلاء الوافدين استطاعوا أن يزاحموا بفكرهم الإسلامى فى خضم تيار الحياة الأوربية الجارف، وأن يسمعوا أصواتهم المسلمة فى ساحات البحث وعلى موائد الحوار مع كبار مفكرى الغرب، كما فعل الشيخ هداية الله الهندى، الذى دخل فى حوار مع سير جيمس أكبر علماء الفلك فى عصره، وانتزع منه شهادة إعجاب بالإسلام وتقدير لنبى الإسلام ﷺ وقد أورد وحيد الدين خان تفصيل هذا الحوار فى كتابه «الإسلام يتحدى». وكما صنع العلامة إقبال، فقد عاد إلى بلاده، وهو أشد حماساً للإسلام، وتفانياً فى الدعوة إليه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن بعضهم حاول تقديم الإسلام للغربيين فى لغاتهم كما فعل عبد الله يوسف على الذى عكف

على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية على مدى أربعين عاما قضاها في بلاد الإنجليز، ولا زالت ترجمته حتى الآن تعتبر أكثر الترجمات قبولا من جمهور المسلمين، وإن كانت لنا عليها بعض الملاحظات كنا ننبه إليها قراء الترجمة من المسلمين الإنجليز، أو الراغبين في اعتناق الإسلام .

والذي لاشك فيه أن حياة بعض الغربيين في بلاد المسلمين، وإقامة جاليات إسلامية في بلاد الغرب قد هيا فرصة لمزيد من المعرفة بالإسلام، والاهتمام به، والفهم الصحيح لأصوله مما سنرى آثاره فيما بعد، وترتب على ذلك أن توارت بعض كتابات المستشرقين التي كانت تحاول بكل ما أوتيت من وسائل الباطل أن تغض من قيمة الإسلام، وتسيء إلى كتابه ونبيه وتاريخه .

وليس يعنى ذلك أن هؤلاء قد كفوا عن هذا المنهج الظالم إلى الأبد، ولكنهم يحاولون أن يقدموا ما يريدون بطريقة ملتوية مأكرة، لا يظهر فيها أثر الهجوم السافر الملىء بالحق، الذى كان السمة الغالبة لكتابات المتقدمين منهم . والسبب فى ذلك أن مبادئ الإسلام أصبحت فى تناول الكثيرين، وأن ما يكتبه هؤلاء سيقراً بواسطة كثير من المسلمين الذين يتقنون لغات الغرب، ومن اليسير عليهم أن يظهروا زيفه، ويكشفوا خطأه مما يعرض سمعة الكاتب العلمية إلى السقوط، فأمسكوا عن مهاجمة الإسلام صراحة خوفاً على سمعتهم العلمية، لا اقتناعاً بالحق واكتفوا بمحاولة التأثير على طلابهم فى ساحات الدرس إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد وجد فى مراكز الدراسات الإسلامية عدد ممن اهتدوا إلى الإسلام، ولهم مكانتهم العلمية فى حقل الاستشراق، وكذلك كان لليقظة التى عمت العالم الإسلامى والمصالح المتبادلة بين الشرق والغرب أثر كبير فى أن يحسب هؤلاء ألف حساب وحساب حين يكتبون عن الإسلام .

عدد المسلمين الآن : لعلنا نتساءل بعد أن عرفنا كيف تكونت الجاليات الإسلامية فى أوروبا والمنابع التى جاءت منها، والجالية الإسلامية فى إنجلترا بالذات أقول لعلنا نتساءل . كم عدد المسلمين الآن فى هذه البلاد؟ . والحق أنه ليس هناك إحصاء ثابت لعدد المسلمين هناك، ولكننا نستطيع على ضوء ما عرفناه من أحوالهم والعيش معهم عدداً من السنين أن نقول إن عدد المسلمين فى إنجلترا الآن يتراوح ما بين المليون والمليون ونصف مليون مسلم، وأن الغالبية العظمى منهم قادمون من باكستان وبنجلاديش والهند .

وقد يتساءل البعض هل كل المسلمين في تلك البلاد من الوافدين من البلاد الإسلامية؟ أم أن هناك من المسلمين من ينحدر من أصل إنجليزي، والجواب عن هذا التساؤل أن هناك آلافاً عدة من الإنجليز الذين اعتنقوا الإسلام واتخذوه منهجاً لهم في الحياة، وقد كان إقبالهم على الإسلام في البداية بطيئاً جداً، إلا أن العقدين الأخيرين من هذا القرن قد شهدا تحول عدد كبير من أبناء الإنجليز إلى الإسلام، ولا زال هذا التحول في اضطراد مستمر .

نوعيات المقبلين على الإسلام : والمتنوع للنوعيات البشرية التي تقبل على الإسلام من بين الإنجليز يجدهم يمثلون كل المستويات الفكرية والاجتماعية، والأعمار المختلفة مع كثرة الشباب من الجنسين الذكور والإناث، فأنت تجد من بين هؤلاء الأستاذ في الجامعة والطالب وصاحب العمل والعامل، والرجل والمرأة، والكاتب والمفكر والرجل العادي، وهناك أعداد كبيرة تعيش مع الناس، ولا تكشف إسلامهم إلا إذا ساقتك الصدفة للالتقاء بهم، ومن هذا القبيل أن أحد الشباب تقدم لعدد من الجامعات بطلبات التحاق بقسم الدراسات العليا في إحدى كليات الزراعة وجاءه خطاب من إحدى الكليات بلندن يدعوه لمقابلة الأستاذ المشرف وحدد له الاسم واليوم والمكان والساعة، وفي الوقت والمكان المحددين كان الشاب يدق باب الحجر، فأذن له بالدخول واستقبله أحد الأساتذة المتخصصين في علم الحشرات ودار الحوار بينهما حول الموضوع الذي جاء الشاب من أجله، ثم أحضر الأستاذ كأسين زجاجين وتهيأ لتقديم تحية للضيف الشاب، وأبصر الشاب بجانب الأستاذ زجاجة مغلقة بغطاء مفضض، ونحن في الشرق قد تعودنا على أن ننظر إلى الزجاجات المغلقة بهذه الطريقة على أن بها شراباً محرماً، فاعتذر الشاب عن المشاركة في الشراب قائلاً باللغة الإنجليزية (I do not Drink wine) أنا لا أشرب الخمر، فطمأنه الأستاذ قائلاً له إنها ليست خمراً وإنما عصير فاكهة (This is not wine itis Frouit Joes) . ثم أفرغ من الزجاجات في الكأسين وقدم أحدهما للشاب الذي لم يتعود مذاق هذا العصير من قبل، فنحن نفضل في بلادنا أن نأكل الفاكهة طازجة ولم نكن تعودنا ذلك بعد، وكان ذلك منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .

ولما رفع الشاب الكأس وامتنص رشفة منها وجد طعمها لم يألفه من قبل، فاضطرب ووضعها على المنضدة ثم اتجه إلى الأستاذ يسأله (Are you sure this is not wine) . هل أنت متأكد أن هذه ليست خمراً، فأجابه الأستاذ: أنا متأكد إنها ليست ليست خمراً أنا أعرف أنك مسلم لا تشرب الخمر، وأنا مسلم كذلك لا أشربها :

(yes iam sure I Know you are muslim you dont drink and lam muslim to)

وكانت المفاجأة للشباب الذي فتح فاه من الدهشة، ولكن الأستاذ ابتدره قائلاً: (Do not speak one word لا تنطق بكلمة واحدة. ثم أصطحبه معه إلى منزله، وهناك وجد حجرة مخصصة للصلاة، وحينها أوشك على الانتهاء من الموضوع لحق بهما ثلاثة من أصدقاء أستاذ علم الحشرات، وصلوا العصر جماعة، وكان هذا الأستاذ يتردد فيما بعد على المسجد كما يجلس الطفل المتديء يحاول أن يتعلم كيف يقرأ سورة الإخلاص وسواها من آيات القرآن الكريم وينطقها نطقاً عربياً سليماً، وكنت تلمح السعادة تغمر آفاق وجهه كلما أحس من نفسه تقدماً في استظهار سورة وقراءتها قراءة عربية صحيحة .

هذا مثل من أمثلة كثيرة تجده منتشراً بين رجال الجامعات ومن في مستوياتهم الثقافية والفكرية، وياحبذا لو استطعنا ان نتعرف على هذه النماذج في المؤسسات العلمية والجامعات لنستعين بهم إذا احتجنا إلى خبرات علمية لإنجاز بعض المشروعات في بلادنا وما أكثرها، فإن ذلك سيكون من ورائه خير لنا ولهم وإعزاز لرابطة الإسلام التي تجمعنا وإياهم .

أما المثل الآخر فقد بدأت وقائعه في ساحات المركز الإسلامي في لندن، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٦٧ الميلادي حين زار المركز رجل وامرأة، وطلب الرجل الحديث إلى أحد المسؤولين، وبدأ حديثه قائلاً: إنه زار الأردن، وأبصر المسلمين يصلون، فتذوق طعماً جديداً لم يستشعره من قبل، وإنه يرجو أن يجد غذاءً يشبع به هذا الإحساس الجديد، وتعبيره بالإنجليزية هكذا؛

(I have been Jurdon to I have seen Muslims Praying I tested some thing new, I want Food)

ولما نصح بأن يواصل القراءة عن الإسلام في بعض الكتب المقترحة لتزويده بمعلومات أكثر أجاب قائلاً: (No Sir; I want a Life Example to talk to him and talk to me) وترجمتها: «لا يا سيد إنني أريد مثلاً حياً يتحدث إلى وأتحدث إليه، وهنا تم الاتفاق على اللقاء من وقت لآخر حسبما تواتى ظروف العمل مع توجيهه للالتقاء ببعض المسلمين من الإنجليز الذين أوتوا حظاً وافراً من المعرفة، وقبل أن ينصرف طلب في أدب جم أن يؤذن له بحضور صلاة الجمعة في اليوم التالي، واستجيب إلى طلبه على الرحب والسعة، وأقبل في اليوم التالي وهو مطبق على خير وجه قول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. وأخذ مكانه في المسجد إلى جانب المصلين فاستمع إلى تلاوة للقرآن الكريم، وألقيت الخطبة، فلما تهيأنا للصلاة وكان قد طلب إليه أن يظل جالساً ولا حرج عليه ولكنه قام للمشاركة في الصلاة معنا وكذلك فعل لما أتينا بالنافلة بعد الصلاة، وقبل أن ينصرف أقبل شاكرًا وهو يقول في أدب

جم : (Would you please Let me know which Chapter was decided to day)

قل لى من فضلك أى سورة كانت تقرأ اليوم ، فأخبر أن القراءة كانت من سورة آل عمران بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ثم غاب الرجل عن بصرى فترة ، وذات يوم وأنا داخل المسجد لأداء صلاة العصر إذا بى أبصره جالساً ينتظر الصلاة وبعد أن أدينا الصلاة أقبلت عليه محيياً وأن أقول كيف حالك يا مستر : ثم انتظرت ليذكر لى اسمه ، فأجابنى قائلاً : اسمى الآن عبد القادر ، ودار بيننا حديث طويل أخبرنى فيه أنه قام برحلة إلى المغرب العربى وهناك فى مدينة (مكناس) التقى بأحد الشيوخ الأتقياء ، واعتنق الإسلام على يديه ، وكانت السعادة والبهجة تطلان من خلال كلماته ، وهو يحدثنا عن رحلته إلى النور الذى قذفه الله فى قلبه ، وكتب له الهداية إلى الإسلام ، فانعكس ذلك سلاماً فى نفسه ، وطمأنينة فى قلبه ، وإشراقاً فى أسارىره .

ولم يلبث ان عاد بعد أيام ، وبصحبتة بعض الشباب الذين فتح الله قلوبهم للإيمان ، وطلب أن يتلقوا دروساً فى القرآن والحديث كل أسبوع ، وأتخذت الترتيبات لذلك ، وأخذوا يترددون على مبنى المركز فترة من الزمن زاد فيها عددهم ونها ، ورأوا أن يتخذوا لهم مقراً فى أحد أحياء لندن يباشرون منه نشاطهم فى دعوة الناس إلى الإسلام ، وكان أمرهم عجباً حقاً فى تلك الفترة فقد حصلوا من بلدية لندن على الإذن باستعمال إحدى المباني التى تقرر إزالتها ولكنها أرجئت إلى حين بعد أن هجرها سكانها فلم يكن بها إلا الجدران والأبواب ، فتعاونوا على إعادة الكهرباء إليها وإدخال المياه ، وإجراء الإصلاحات اللازمة لاستئناف الحياة بدون أن يكلفهم ذلك شيئاً لأنهم تولوا تنفيذ ذلك بأنفسهم كل فى مجاله ، وسرعان ما أخذوا فى استقبال الزائرين من المسلمين وغير المسلمين ، وقد زارهم فى مقرهم هذا الشيخ صالح القزاز الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامى وبصحبتة الأستاذ على حافظ صاحب مجلة أخبار العالم الإسلامى الذى كتب عن هذه الزيارة فى حينها ، ثم زارهم شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - وأخذ عددهم يتزايد بشكل ملحوظ ، وتزوج فتيانهم من فتياتهم ، وبدأ التفكير فى ضمان جو إسلامى خالص للنشئ الجديد ، فبدأ لهم أن يقيموا قرية إسلامية فى قلب انجلترا فأخذوا يعدون العدة لذلك .

وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا يملكون شيئاً إلا أنهم كانوا على يقين أن ذلك الأمل سيتحقق ، وأعدوا كتباً بفكرتهم بعثوا بها إلى عدد من حكام العالم الإسلامى يدعوهم إلى معاونتهم على تحقيق الفكرة التى ييغون من ورائها أن يهيئوا لأنفسهم جو إسلامياً خالصاً يعيشون فيه فى قلب الحضارة الغربية ، وقد حقق الله لهم ما أرادوا بفضل صدق إيمانهم وإخلاصهم ، فاشترى قرية فى مقاطعة «نورج» . بشرق انجلترا ، بها عدد من الأبنية اتخذوا

إحداها مسجداً، وأقاموا في واحد منها مطبعة لنشر الكتب الإسلامية وطبعها، واتخذوا لهم مساكن فيها، ثم أخذوا يستغلون الأرض لتربية الطيور والأغنام التي تهيم لهم مصدراً للطعام الحلال بعيداً عن أى شبهة، وقد تركتهم منذ أكثر من خمس سنوات، وهم يستعدون لاستغلال مساحة الأرض البالغة حوالى سبعين فداناً في الزراعة، وقد أعانهم الله فافتتحو مسجداً في عاصمة المقاطعة التي تبعد عدة كيلومترات عن القرية حضرت الصلاة الأولى فيه مع ساحة المرحوم الشيخ عبد الله المحمود الرئيس العام للمركز الإسلامى بالشارقة، والذي قدم لهم ثمن القرية البالغ ستين ألف جنيه استرليني تبرعاً من سمو الشيخ سلطان القاسمى حاكم الشارقة .

وحسبكم أن تعلموا أن هؤلاء الإخوة قد انتقلوا بنشاطهم إلى أمريكا وغيرها من بلاد أوروبا، ومنها قرطبة بأسبانيا وقد تحدثوا إلى بما يدور في خواطرهم عن الإسلام في أسبانيا وأنهم يريدون أن يجد العالم مسجد قرطبة وقد أفتتح للصلاة بعد هذه القرون العدة من تعطيل الصلاة فيه وأعتقد أنهم بدأوا الطريق لتحقيق هذا الهدف .
ومن المؤلف إذا حضرت صلاة الجمعة في مسجد لندن أن ترى أعداداً منهم يشاركون في الصلاة .

وأصبحت قريتهم مقصد كثيرين من رجال الدعوة والمشتغلين بالعمل الإسلامى ، فقلما يمر أحدهم بلندن إلا ويتطلع لرؤية هذا النموذج ويقدم لهم المعونات المادية والأدبية وأعتقد أن رابطة العالم الإسلامى تستضيف عدداً منهم في موسم الحج من كل عام ، ولهم مجلة فصلية باسم الإسلام تصدر باللغة الإنجليزية .
ومن ميزاتهم أنهم كلما وجهوا لأمر من الأمور وعرفوا أنه من سنن الإسلام أخذوا أنفسهم به وحرصوا عليه .

بقى ان تعرف أن الشخص الذى بدأ هذا التحرك كاتب ومؤلف مسرحى كان يكتب للإذاعة والتلفزيون من قبل ، فلما اعتنق الإسلام وقف قلمه على الإسلام والدعوة إليه ، ولست أنسى يوماً التقيت فيه بمدير المركز الإسلامى فى وشنطن الدكتور محمد عبد الرؤوف فإذا به يخبرنى عن مقال فى جريدة (الهيرالد تريبيون) الأمريكية عن الإسلام كتبه رجل يسمى . إيان دلاس ، ويبدى إعجابه الشديد بما فى المقال من معلومات قيمة وصحيحة عن الإسلام ثم يعلق قائلاً : إننا حينما نبعث لأصحاب هذه الصحف لا ينشرون لنا ولكن حينما يأتيهم اسم غريب ينشرون له بدون تأخير وكانت سعادته وسعادتى بالغة حينما أخبرته أن إيان دلاس هذا هو عبد القادر المسلم الذى نتحدث عنه .

وهكذا أصبح المجتمع الإسلامي في انجلترا يتكون أولا من المهاجرين من البلاد الإسلامية عربية وغير عربية، وقد شهدت السنوات الأخيرة استقرار أعداد ضخمة من المثقفين من البلاد العربية في انجلترا من أطباء ومهندسين وعلماء ورجال أعمال وسواهم .
وثانيا من أهل البلاد الأصليين الذين أقبلوا على اعتناق الإسلام بكثرة ملحوظة .



احتمال المشاق في سبيل الرغائب

قال عمر بن عبد العزيز :
إن لى نفسا تواقه ، وإن نفسى تآقت إلى أشرف منازل الدنيا ، فلما بلغته
وجدتها تتوق إلى أشرف منازل الآخرة .
«ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعدل خلفاء
بنى أمية» .

وقال حكيم :

لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين : إما فى الغاية من طلب
الدنيا ، وإما فى الغاية من تركها . ولا ينبغي له أن يرى إلا فى مكانين : إما مع
الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنما ، ولا
الغنم غنما إذا ساق غرما .

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حظه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخفا أصبت حليما أو اصابك جاهل

مَنْزِلَةٌ

شَاطِرٌ

الملك عبد العزيز آل سعود

بين

نصره لله ونصر الله له

للسيخ إبراهيم الصميم محمد حسن الجمك
المدرس بالمعهد الثانوي التابع للجامعة

إن المتتبع لسيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود رحمهم الله ليلمس أن توفيق الله العلي القدير كان دائما يلازمه، ولم يكن نصره سبحانه وتعالى، وتأيدته له، وعنايته به، إلا لنشره دعوته، ولتثبيت عقيدته، وأي دعوة أحب إلى الله جل وعلا، وإلى رسوله ﷺ من إعلاء شأن الدين والتمسك بكتابه الكريم، والسنة الشريفة، وأي عقيدة أسمى من عقيدة التوحيد، التي سار عليها الملك عبد العزيز في كل حياته، حتى أفناها في سبيل ذلك .

قال رحمه الله :

«إنني والله لا أحب إلا من أحب الله حبا خالصا من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمني أن أكون ملكا أو فقيرا» .
وقال أيضا :

«والله ثم والله إنني لأفضل أن أكون على رأس جبل، آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده من أن أكون ملكا على سائر الدنيا وما فيها»^(١).

ونصر الله وتأيدته لا يكونان لذات شخص، ولا لإظهار إنسان؛ فكم من قادة وأبطال ملكوا كل مقومات الحرب، والقتال من قوة وعتاد، وشجاعة وبسالة، لم تلحظهم عناية الله؛ لأن ما قاموا به لم يكن لنصرة الله، ولا لتثبيت كلمته، ولا للدعوة إلى دينه، وإنما لإشباع رغبة، وإظهار شخصية، ولتحقيق هدف دنيوي، فارتدت إليهم سهامهم فخارت قواهم من حيث لا يدرون، ولا يعرفون لذلك سببا، ولم يعرفوا الاستقرار، والاطمئنان والهدوء، ومنوا بالهزيمة والخذلان :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس محمود العقاد : (ص : ١٩) «من أحاديث وأقوال الملك عبد العزيز آل سعود» .

فنصر الله وعنايته إذا لاحظت إنسانا أو مجتمعا، فليس في حاجة إلى القوة الزائدة، وليس في حاجة إلى كثرة العدد والمعدات، وإنما هو في حاجة إلى إيمان عميق، وقرب منه سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع، والإخلاص لوجهه الكريم، ثم بعد ذلك الاستعداد والأخذ بالأسباب .

وما أرى الملك عبد العزيز إلا قد أخذ بكل هذه الأسباب، فكم من موقعة دخلها، ومن معركة خاضها، وكان العدو الذي أمامه أكثر عدة، وسلاحا ونفرا، ولكن نصر الله كان معه، فتنهى المعارك بالتأييد والغلبة . ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الأنفال : ١٠)

ولعلنا نذكر دائما تلك الحفنة من التراب التي أخذها الرسول ﷺ من الأرض، ثم رمى بها القوم، حينما أراد الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد تجمعوا حول بيته طوال الليل، ينتظرون خروجه لقتله، وقد كانوا مدججين بالسلاح، في جمع غفير من مشركي أهل مكة، تجمعوا على الباطل، وعلى إطفاء كلمة الله، فلم تغن عنهم أعدادهم، ولا وفرة ما كان معهم من وسائل القوة، وكأنها حفنة التراب هذه، كانت محملة بمادة كيماوية، تنشر سحابة ضبابية، تحجب الرؤية عندما تتدخل المقادير، فتمنع النور أن يصل إلى الأبصار .

﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾

(يسن : ٩) .

وحفنة التراب موقعة أخرى، ورمية ثانية، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يؤكد لنا أن نصره لعباده المخلصين لا يكون بما يقدمون، ويستطيعون من قوة، ومن رباط الخيل وحده، وإنما النصر والفوز من عنده سبحانه وتعالى ؛ فنحن ما نزال نقرأ ونسمع ونلتمس العلل والأسباب، ونذكر يوم بدر والرسول الأعظم ﷺ يدعو الله، ويتضرع إليه، ثم يسجد لربه جل وعلا، ويطيل السجود، ثم يرفع بصره إلى السماء، وقد رمى ﷺ القوم بحفنة من التراب وقال :

«شاهت الوجوه»^(١)

ثم يستمر في تضرعه ومناجاته قائلا :

«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك

هذه العصابة، لا تُعبد في الأرض بعد»^(٢)

(١) حياة محمد : لهيكل : (ص : ٢٧٩) .

(٢) سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب .

ولقد مَنَّ الله على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ بالنصر على أعدائه، مع الفارق الكبير في العتاد والعدة، فكان هذا تأييداً منه سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ الذي يدعو إلى سبيله، وينشر دعوته، ويجاهد لتكون كلمة الله هي العليا .

يقول عز من قائل :

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميعٌ عليمٌ ﴾ (الأنفال: ١٧) .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرياً ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ . (الأنفال: ٩-١٠)

﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فنبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنانٌ ﴾ . (الأنفال: ١٣)

وليست عناية الله، ونصره سبحانه وتعالى، خاصين بزمن الرسول ﷺ بل هما لكل زمان ومكان، ولكل من يدعو إلى الله، وإلى كل من تمسك بدينه القويم، وشريعته الغراء إلى يوم القيامة: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضوا الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (المجادلة: ٢٢) .

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ﴾ . (فصلت: ٣٠-٣٣) .

وإن الملائكة على استعداد للقتال فى صفوف الداعين إلى الله المخلصين لدعوته، والمتمسكين بشريعته، إلى أن تقوم الساعة، إذا استغاث بالله داع إلى سبيله، ومتبع لشريعته، ومنفذ لأحكام كتابه، وسنة نبيه .

﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ . (الأحزاب: ٦٢) .

ولقد قال الذين رأوا الملك عبد العزيز، عقب كل معركة ينصره الله فيها، أو عندما يأتيه خبر نصر، وتأييد له من الله فى مكان ما، إنه كان يخرّ ساجداً لله، شاكراً له حسن

تأييده، ورعايته له بما أولاه من نعمة الانتصار، وكثيرا ما كانت دموع الفضل والعرفان بما منّ الله عليه من كرمه، تنهمر من عينيه رحمه الله .

لا يصلح كل شخص لأن يقوم بمهمة فينجح في أدائها، ويوفيهما حقها، إلا إذا كان خليقا بأن يتحمل متاعبها وآلامها، ثم إنه لا يستطيع أن يتحمل أعباءها إلا إذا كان عنده قدرة فائقة، يتفوق بها على أقرانه والمناوئين له .

لقد أعطى الله الإمام عبد العزيز آل سعود العقل الراجح والذهن الثاقب، وهياً لدعوته سبحانه وتعالى، فعمل على نشر التوحيد وإقامة الحدود، ودعا إلى أخوة الإسلام وإلى الجهاد في سبيل الله، فاستطاع أن يوحد البلاد تحت راية الإسلام، وأن يجمع المسلمين على التضحية والفداء، حتى استقرت الأمور في هذه البلاد .
قال الملك فيصل رحمه الله :

وما أحسب أن شبه الجزيرة العربية رأيت من وحدها، ولمّ شتاتها إلا في الزمان الأول من تاريخنا الإسلامي، ومن أعاد إليها الأمن والنظام تحت راية الإسلام الخالدة، فنفذ شريعته الغراء، وأقام حدوده وقوانينه فيها، وكانت من قبل بقاعاً تسودها الفوضى، ويهددها الخوف في طرقاتها وأرجائها، وتتألف من مقاطعات، وإمارات شتى، في مساحات واسعة إلا الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله^(١).

لقد حمل مشعل النور والهداية التي دعا إليها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وهي الدعوة الصحيحة التي كان عليها الأوائل من الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - والتي دعا إليها الرسول الأمين ﷺ ثم حملها الشيخ آل سعود، وجعل منهم القادة والأئمة، فأخلصوا لله سبحانه وتعالى، وبنوا الملك له جل وعلا، وجاهدوا، وصابروا، وصبروا، فكانوا بين الجهاد المستميت، والتمسك بعقيدة التوحيد، والتفانى في سبيلها، وثبتوا أمام الطغاة، والجاهلين بأمر الدين الصحيح، والمؤلّيين عليهم الدول والأمصار، فلم يهنوا، ولم يضعفوا، واستشهدوا في ساحات الجهاد هنا وهناك، بعيدا عن بلادهم وأوطانهم، وصمدوا للفتن والخلافات التي كثيرا ما أثارها الأعداء والحاقدون .

وقفوا أمام الصليبية العالمية التي يقض مضجعها دعوة الإسلام الصحيحة، والتي يرون فيها توحيد صفوف المسلمين، وتأليف قلوبهم، ووعيا صادقا لدينهم .

(١) من مقال : للملك فيصل - رحمه الله - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز: لخير الدين الزركلي (ج : ١ ص :

قال الدكتور/ مصطفى الحفناوى : يوضح لنا دور فرنسا، التي كانت تتزعم دائما الدور الصليبي في الشرق، والتي كانت تتولى دور إضعاف الدين الصحيح، حتى لا يتحد المسلمون، فهي ترى في اتحادهم على الطريق المستقيم قوه، لا يمكن لأى قوة دنيوية أن تقف أمامها، فبدأت في محاولة تأليب الباب العالي بتركيا على دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله .

قال الدكتور / الحفناوى :

«عشرت أثناء بحثى بملفات وزارة الخارجية الفرنسية، حين كنت مستشارا صحفيا بها، على مكاتبات متبادلة بين الوزارة وسفرائها في الشرق أثناء الحملة الفرنسية على مصر، وعلى وثائق تلقى الضوء على شدة اهتمام فرنسا بل أوروبا جميعها بأمر محمد بن عبد الوهاب داعية الجزيرة العربية، ومحاولة تأليب الباب العالي عليه، للتقليل من شأن دعوته، التي كان يقوم بها حينئذ لجمع العالم الإسلامي، وتكتله مرة ثانية ضد الحروب الصليبية، التي بدأت تشنها بزعامة فرنسا لغزو الشرق الإسلامي مبتدئة بمصر»^(١).

لقد استجاب لهم الباب العالي بتركيا، من غير وعى أو تفكير، فأرسلت الجيوش تلو الجيوش، واجتمعت الفئة الضالة والجاهلة بأمر هذا الدين الحنيف، فقتلت وخربت، وأفسدت، لكن الله ردهم مدحورين منهزمين، وبقيت كلمة الله تسرى في طريق النور، تتحدى الظلام والانقسامات والخلافات، حتى حمل لواءها الرجل الصالح الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - رحمهما الله - فقد جاهد وكافح وسط فتن وخلافات، وابتلاء واختبار، ثم دفعه رحمه الله إلى ابنه الشاب عبد العزيز، الذي كان على موعد مع القدر، كى ينفذ أمر الله سبحانه وتعالى .

كانت مقومات الملك عبد العزيز آل سعود فريدة، فقد خصه الله بصفات نادرة، حتى يستطيع أن يقوم بدوره فيجاهد، ويكافح لتكون كلمة الله هي العليا، كما أرادها الله، لا كما يريدونها أصحاب الغايات، للوصول بها إلى حكم، ليحققوا من ورائها ما يريدون، ويستحلوا به سلطانا، يجدون فيه متعة، ورغبات دنيوية فانية .

هذه الصفات منها ما هي خُلُقِيَّة، ومنها ما هي خُلُقِيَّة :

أما الصفات الخُلُقِيَّة : فلقد كان - رحمه الله - طويلا بائن الطول، قالوا عنه : يبلغ سته أقدام وأربع بوصات، مفتول الساعد، شديد العصب، متين البناء، ضخم الجسم،

(١) كتاب آل سعود : لأحمد على : (٤١، ٤٢) .

رأسه كبير يناسب هذا البناء الشامخ، خفيف العارضين، عريض المنكبين، رحب الذراع؛ ولهذا الجسم من القدرة الفائقة على التحمل الشيء الكثير، فقد بلغ من القوة الجسمية لغا عظيما .

قال فيه صاحب كتاب صقر الجزيرة :

إذا وقف المرء تجاهه، شعر بضآلته تجاه جسمه الصلب الوثيق الفارع، وإذا نظر إلى وجهه، زادته هيبة غير رابعة عن التحديق فيه، فيختلس النظر إليه، يتملى محياه الباسم، وطلعته القوية البارزة، وتفيض مهابته على مجلسه، فلا يطيق أحد الكلام إلا إذا مد له جبل تواضعه وسماحته، بل إن بعض من يحضرون للسلام عليه، يفاجأون بمهابته، فما يستطيعون النطق بحرف، فيبسم لهم، ويهدىء منهم، ويستدرجهم إلى البوح بما في أنفسهم، ويدنو إليهم، ويسألهم عن حالهم، حتى يتكلموا، ويشعروا كأنهم بمحضر صديق أو أب رحيم، ويفارقونه، وما يزال في نفوسهم رنين صوته العذب، وذكريات عن تواضعه، وسماحة نفسه، ورجاحة عقله، وصفاء قلبه، وحسن نيته، وطيب سريره^(١).
وتلك - لعمري - صفات العبقرية .

ولقد قالوا في تحمل هذا الجسم الشامخ ما وقع في وقعة «كنزان»: فقد هاجمه الأعداء في الليل، وانهمز جنده، فرجع معهم، وفي أثناء سيره لحق به اثنان من خدم أخيه سعد، كانا مرافقين لأخيه، فسأل عن أخيه فقيل: قتل !!
فقال: سعد لم يقتل... أصيب، وترك... وأنا يجب أن أرجع إليه .
فقالوا له :

إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه وقتلوه...
ولكنه عاد، ولما عرف الأعداء شخصية سعد، قالوا: عبد العزيز لن يترك سعدا، وسوف يعود إليه، فتركوه ملقى على أرض المعركة، وكمنا حواليا، ينتظرون قدوم عبد العزيز .

فلما رأى بياض سعد في الليل، نزل عن فرسه، وحمله، وصار يقبله، فأطلقوا النار عليه، فأصاب الرصاص حزامه المملوء بالرصاص حول وسطه، فانفجرت أربع أو خمس رصاصات منها، وشقت بطنه، شقا تدلت منه أمعاؤه، فأسرع إلى ربطها بعمامته، ولما عاد إلى خيمته طلب قماشا وشاشا، ولما فك الحزام، وجد أن الجرح مفتوح حوالى ١٥

(١) صقر الجزيرة : لأحمد عبد الغفار عطار: (٣: ٥٠٣) .

سنتيمترا، وكان الشحم على الامعاء، فأعيدت الامعاء والشحم، وربط الشاش على الإصابة، ولو كان جسمه عاديا ما تحمل كل هذه الطلقات، ولأثرت فيه تأثيرا كبيرا، ولكنه تحمل لقوته، ومناعة جسمه، وكان كلما سئل عما أصابه أجاب قائلا: إن الإصابة بسيطة في جلد الفخذ، حتى لا يضعف من الروح المعنوية في جنده .

ولقد قالوا : إنه خطب في تلك الليلة امرأة من الأحساء وتزوج . . . ولم يكن ذلك رغبة في الزواج، ولكن لإيهام أعوانه أن إصابته خفيفة^(١).

وقالوا : إنه لكز جملا له في بعض غزواته - وهو في سن العشرين - فركض الجمل، ووقع رحمه الله على الأرض في الزحام، فوطئته جمال رجاله، ولكنه استطاع أن يركب، ويحارب في اليوم الثاني عدوا جبارا يفوقه أضعافا في الرجال والعتاد .

وقف مرة على ظهر فرس له، وكان نائرا غاضبا، فأثر فيه تأثيرا كبيرا، ولقد أعطاه الله ساعدين قويين لا يكلان، زادهما المران قوة، فقد تدوم المعركة ساعات متواليات، ويده فيها تتحرك، فتلقى بالأعداء، تصيب هذا، وتعجز ذاك، ويفر من أمامه الجبان والشجاع على السواء، وهو بطول قامته ماشيا، أوراكبا .

ومما تفرده به الملك عبد العزيز، وما لا نسمع بمثله إلا عن قليل ممن أعطوا قوة الجسم، وتحمله فوق المعتاد، أنه لا يحتاج للنوم كما يظهر كثيرا، ولا ينام إلا حين لا يرى أحدا غيره ساهرا، وإذا نام، فلا ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات، ولو خير لجلس الليل كله، يتحدث إلى أحد رجاله، من الذين يروق له حديثهم، وتلد له عشرتهم .

وتلك - لعمري - صفات العبقرية .

أما الصفات الخلقية : فقد تجمعت فيه كل الصفات الكريمة، التي تعارف عليها الناس، فنراها متأصلة فيه، ومكتملة بلا حدود، ولقد برز فيها، وفاق الخاصة والعامه، وأصبحت وكأنها علمٌ عليه وحده؛ لأنها نابعة من وجدانه وقلبه، ومن ذكائه النادر، لقد كان فريدا في كل ما كان يقوم به، وقد استفاد مما لاقاه في صغره، وقد ترك عاصمة ملك آبائه وأجداده، واتجه إلى الصحراء القاتلة متحملا شظف العيش، وقسوة الأيام، يتنقل من مكان إلى مكان، إلى أن وصل إلى الكويت، وهناك كانت العبرة والعظة .

ولقد ترك فيه أعظم الأثر الروح الدينية العالية، والعقيدة الصافية الصحيحة، التي آلت إلى الإمام الوالد - رحمه الله - وهي التي توارثها عن الأجداد، وعض عليها بالنواجذ،

(١) شبه الجزيرة العربية : (ج : ٣ : ص : ٩٢٣) .

واسلمها إلى ابنه عبد العزيز الذي توسم فيه الخير، فعاهد الله على الحفاظ عليها، وبناء الدولة من أجلها، وظلت تنبع من كوامنه، وقلبه وعقله، ولم يفضل عليها أبدا غيرها .
«والله ثم والله إن العجوز القابعة في وكرها، والتي لا تملك من الثياب إلا الأطمار البالية، وهي تعبد الله وحده عبادة خالصة، هي أحب إلى قلبي من أي إنسان بلغ من العظمة والشأن ما بلغ، إذا كان لا يؤمن بالله إيمانا صادقا خالصا، ولا يعمل بما جاء في كتاب الله»^(١).

من هذا المنبع الأصيل، ومن هذا البيت العريق، ومن الدين القويم، استمد الإمام عبد العزيز كل صفاته، فجاءت نموذجا لا يبارى .

كان رحمه الله كريما، وهي أول صفة يجب أن يتحلى بها أصحاب المبادئ والقيادات، وإذا تحلى المرء بهذه الصفة، فقد هانت بعدها كل الصفات؛ لأن الكرم أول انطلاق للإنسان ليمحوبها الحرص على الحياة، ويقضى على الاستماتة في سبيلها، وإذا هان المال في عين الإنسان، فليس في الدنيا عزيز يقلل من همته .

لقد كان الإمام كريما إلى حد الإسراف في الجود والعطاء، فهو سمح لا قيمة للمال عنده ما دام ينفق في سبيل الله، وفي أوجه الخير، وإنه ليصطحب معه دائما في سيارته بدرًا من الريالات، يوزعها على الفقراء في طريقه في ذهابه إلى مقر عمله الرسمي، وفي عودته .

أعطى ذات مرة فقيرا صرة من المال، فأخبره السائق أنها صرة من الجنيهات لا الريالات الفضية، وبها ٣٠٠ جنيه ذهبي، فنادى السائل، ولما أقبل قال له رحمه الله :

«أردت أن أهبك ريالات، وما نويت إلا هذا، ولكن الله هو الذي وهبك هذا الذهب، فاشكر الله وحده، واشتر بها أخذت نخيلا، واعمل ولا تكسل»^(٢).

ولقد عتب عليه أحد رجاله يوما، وسأله أن يفكر بالإقتصاد قليلا، فقال له :
«وهل أغنت عن عبد الحميد ملايينه، إن أجدادى لم يحملوا في خزائهم فلسا، وأنا أسير سيرتهم، وأفعل ما فعلوا» .

قال له يوما بعض الناس : «إنك تعطي كثيرا!! فلو اقتصدت !!» .
فقال :

«إن الله عودنى عادة أن يتفضل عليّ وعودتُ عباده عادة أن أوسع عليهم، فأخاف أن

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس العقاد : (ص : ٢٠) .

(٢) مع عاهل الجزيرة العربية : (٢٩) .

أقطع عادتي، فيقطع الله عادته عني، وأنا لن أبني بها قصرا، ولن أشتري بها مزرعة. كل ما يرد أنفقه على المسلمين؛ وهذا حق لهم»^(١).

وسمعت من أحد كبار العلماء الأفاضل، وهو واحد من ثلاثة، أتوا إلى الملك عبد العزيز، ليعرضوا عليه مشروع نشر بعض كتب السلف، من التفسير والحديث والمذهب الحنبلي والتاريخ الإسلامي، وكان - رحمه الله - يعرف جهدهم، وخبرتهم، مما اطلع عليه من تحقيق وتأليف لهم، وحدث في أثناء وجودهم معه أن جاء أول مبلغ من البترول، وكان مبلغا لا يستهان به في ذلك الوقت، فقسمه ثلاثا، وأعطاهم الثلث قائلا :
«انثروا ما استطعتم من كتب السلف» .

إن كرمه وجوده كان مضرب المثل . فقد روى الذين أرخوا لسيرة جلالته : أنه كان جوادا سمحا لين العريكة سريع النجدة والنخوة، فقد كان يرى في المال أنه حطام الدنيا، والحطام فان والروح باق خالد .
ولقد نصحه أصدقاؤه بالكف عن البذل والسخاء والكرم، فقال له :
«ما أغنت قارون خزائنه» .

والمال كالعلم يربو بالانفاق، وأي إرباء خير من أن يمحوه عن المحتاجين الآمهم، ويأسو كلومهم^(٢).

وأما الشجاعة فهي صفة متأصلة في عبد العزيز منذ صغره، وهي فائقة فيه، فلم ير له نظير في إقدامه على المخاطر، وغزواته التي غزاها دليل قوى على شجاعته، فليس في نجد والأحساء على سعة مساحتها أرض لم يقاتل عليها .

وهذه الشجاعة البالغة لازمتها منذ أن كان صبيا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وقد أخذ الغضب منه مأخذه، وهو يرى الأعداء يحيطون بالرياض بلده الحبيب، وعاصمة ملك الآباء والأجداد، وقد أخذ الحماس منه مأخذه، ورأى رجلا من الأعداء، قد قُتل فرسه، وراح يحمل على عاتقه كل ما خف حمله، طالبا النجاة، ولكن عبد العزيز الصبي الشجاع الغيور على وطنه، ومسقط رأسه، وثب على الرجل وضربه بسيفه ضربة أودت بحياته^(٣).

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ٣ : ص : ٩١٩) .

(٢) صقر الجزيرة : (ج : ٣ : ص : ٥١٣) .

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٥٩) .

وينقل عنه رحمه الله :

أنه أحسن استعمال البندقية، وركوب الخيل كأحد الفرسان، وهو في سن الصبا، وأنه كان في السابعة حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد فترة طويلة .

ومواقفه البطولية كثيرة، ولا يخلو يوماً من مواقف مشهورة نذكر منها موقفه في معركة «الحريق»^(١) فقد هاجمها - رحمه الله - من بطن الوادي، وكان أهل الحريق متمنعين بأعلى الجبل، وعندما هاجمهم ومعه جيشه، أمطروهم بوابل من الرصاص من أعلى الجبل، ومن جوانبه، ففر جيش الملك عبد العزيز، وكان هو في المؤخرة يمشى على رجليه، ومعه سائسه يقود فرسه، وعندما قابله جيشه منهزماً، أخذ ييث فيهم النخوة، ولكن القوم لم يلتفتوا إليه، فما كان منه إلا أن سلّ سيفه، وضرب عضد فرسه، وقطعه .

وقال : «... لا تقولوا ما رأينا عبد العزيز، فالذي يريد أهله فهم أمامه، والذي يريد طريقى، فأنا هاجم وحدى» .

هجم عليهم وحده، مخالفاً بذلك قومه، فتوقفوا وصاروا ينظرون إليه، فلما وجدوه سائراً وحده، رُدّت إليهم روحهم المعنوية، وهجموا معه، ولم يتوقفوا إلا في داخل البلد، وهم محتلوهُ^(٢).

ورغم شجاعته الفريدة التي كان نسيج وحدها، وانتصاراته المتوالية، فإنه لم يركن إلى قوته، وإنما كان دائماً يركن إلى إيمانه القوى، فهو يؤمن بالله، ويؤمن بأن له أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، وكان حينما ينتهي من معركة بالنصر، يدخل خيمته ويسجد لله، ويطيل السجود شاكراً لله على تفضله عليه بالرعاية والتأييد .

كان رحمه الله لا يميل - رغم شجاعته - إلى سفك الدماء، وكان يتجنب بقدر الإمكان إشعال الحرب، ويدفع في سبيل تجنبها أى ثمن لدرجة أن المحيطين به كانوا يشكون - بعض الأحيان - في شجاعته .

لقد كان يميل إلى الأناة والروية، حتى قال له بعض قواده، وقد طال حصارهم لعدة، وهو يتعجل الهجوم :

«سوف نتهم بالجبن!!» .

فاجابه : «الرأى الرأى ! الأناة... الأناة!!» .

(١) وقعة بين جبلين .

(٢) مقال للأمير عبد الله الفيصل حفيد الملك عبد العزيز : «شبه الجزيرة» : (ج : ٣ : ص : ٩٢٢) .

أما إذا كان لابد من الحرب، فهو الفارس المغوار، الذي لا يشق له غبار، ولكن أعظم من الشجاعة أن يملك الإنسان نفسه فلا يتهور، فما أكثر الشجعان الذين أدت بهم شجاعتهم إلى ما لا تحمد عقباه، لكن الملك عبد العزيز كان أملاً لها، ولا يدعها تكون عليه، بل دائماً كانت له .

كثيراً ما سنحت الفرصة لينتقم من أعدائه، وكثيراً ما أتى له بالجلادين والسفاحين، والدم يتقطر من سيوفهم، بل وكثيراً ما حاصر المعتدين في أماكنهم، وكان في إمكانه أن يشعل فيهم النار جزاء صنيعهم، ولكنه كان يقدر على أن يتحكم في نفسه، وأن يكظم غيظه، وأن يعفو عنهم، بل وأن ينزلهم منزلة أولاده وأهله، وهو يحمد الله على أن أعانه على وجهة الخير التي جبله عليها .

لقد كان بين الملك عبد العزيز والحكام في تركيا عداء مستحکم في ذلك الوقت، وإبان الحرب العالمية الأولى انتهز الانجليز الفرصة فأشاروا على الملك بأن يقوم بعمل ضد تركيا وهي مشغولة بالحرب، فأبى أن ينتهز هذا الموقف لصالحه، فدل ذلك على الحزم والصرامة والنخوة والعفو .

وهذا تفصيل ما حدث .

فلقد كان الانجليز يؤلبون العرب على تركيا، التي انضمت إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وحاربت الانجليز، وبالرغم من أن تركيا لا تزال يتساقط من يديها دم الجريمة في حق آل سعود وعبد العزيز، فقد حضر مبعوث الانجليز السير يرسى كوكس، ودار بينه وبين عبد العزيز الحديث التالي :

قال السير :

أتذكر يا طويل العمر ما قاسيت من نجدات الترك لعدوك ابن الرشيد؟

قال :

ما حان لي أن أنسى !! .

قال السير :

ألا ترى ما يراه الناس من تحفز العراق والشام والحجاز للثورة على الترك؟ .

قال :

أرى !! .

قال السير :

ألا تكون رايتهم رايتك، ولك بعد ذلك ملك العرب، وإن شئت فخلافة الإسلام؟ .

قال رحمه الله :

لا !! .

قال السير :

ألا تنتهز الفرصة فتنقم؟ .

قال :

لا . . . لن يقول الناس : ثار عبد العزيز على دولة تسمى بدولة الخلافة في عهد

محتها(١).

وذلك - لعمري - أروع ما أعطى الله من جمال التخلق بخلق الدين الحنيف .

إن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أول من رسم السياسة الواضحة الخالية من المداهنة والمرادغة، وإلباس الباطل ملابس الحق، والقول «لا» حينما يجب أن يقول «نعم» والقول «نعم» حينما يجب أن يقول «لا» .

كلام لم يحدث منه ذلك أبدا، بل كان صادقا في أحلك الأيام التي لوداهن أوراوغ لقضى على كثير من المشاكل، لكنه لم ينحرف أو يترك جانب الصدق الواضح والخالي من كل ما يشوبه .

كان يكره المراءاة والكذب والخداع، فإذا ابتلى بمن يتحلون بهذه الصفات ظل بهم حتى يجبروا على أن يظهرها ما أخفوه، ويُعرفوا على حقيقتهم، ولذلك فإن المولى سبحانه وتعالى كان دائما ناصره ومؤيده عليهم .

وهذا ما أجبر كل من اتصل به من الحكام والملوك على احترامه وتقديره، ولقد كان له قدرة عجيبة في عمق تفهمه للأمر، ودقة إجابته عما يُسأل، وإقناع من أمامه بوجهة نظره، حتى يضطره إلى التسليم له بما يريد .

ولقد شهد له كل من رأوه وجالسوه، من أهل الخبرة والمعرفة، سواء أكانوا من العرب الأذكياء، أم من غيرهم ممن لهم دراية بأخلاق الرجال .

قال الدكتور : فون وايزل الكاتب النمساوي، وقد خبر الملك عبد العزيز وجالسه

فكتب الكثير عنه، ومما قاله :

«حسبى أن أقول إنى معجب به، فقد خيل إليّ وأنا أحادثه أنى أمام بسمر كمنشئ

الوحدة الألمانية . ولا أظنكم تخالون أنى أبالغ في القول» .

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٢٦) .

لقد عاش الملك عبد العزيز في الصحراء، وتعلم في البيئة والبادية، وعاشر الأحداث الجسام، لكنه كان يزن كل ما عرفه بميزان ما تعلمه من الشريعة الغراء، واخضاع كل الحوادث لما عرف وتعلم من مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ ولم يذهب إلى الشرق أو الغرب، لكنه أدهش الناس بتفكيره وآرائه .

قال الدكتور • فون :

«وقد اتضح لى أن ابن سعود يشبه الساسة الانجليز كثيرا في سياسته وخطه . فهو مثلهم لا يضيع الوقت بإعداد النظريات ورسمها . لكنه يصبر متحينا الفرصة إلى أن تسنح فينتهزها» .

وقال أيضا :

«وفى ابن سعود ميزة أخرى هي أنه كريم صادق، وحادثته مرتين في شئون مختلفة، كان بعضها دقيقا جدا، فلم الحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق» .
«نعم كان سياسيا أحيانا في أجوبته، فلا يقول كل ما يعرفه، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة» .

ويكمل الرجل الألماني حديثه فيقول :

«والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع، فإنى لما قابلت القناصل في جدة . قالوا لى :
إذا قال لك ابن سعود شيئا، فثق أنه يقول لك الحقيقة التى لا تشوبها شائبة^(١).
والفضل ما شهد به الأعداء .

أما الإمام - رحمه الله - فقد قال، وعمل بما قال، وكان يعرف جيدا أن مقت الله وغضبه على المؤمن أن يقول ما لا يفعل، وكان يعى قول الحق سبحانه وتعالى :
﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ . (الصف : ٢-٣) .

قال رحمه الله :

«أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف آداب - تنظيم - الكلام وتزويقه، ولكنى أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق» .

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٣٠٣) .

«أنا لست من رجال القول الذين يرمون القول بغير حساب ، فأنا رجل عمل إذا قلت فعلت ، وعيب علىّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل ، وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن اتعوده أبداً»^(١).

لقد أجمع كل الذين عرفوا الملك عبد العزيز، سواء أكانوا من الأصدقاء أم من غيرهم ، على ما يميزه من صفات ، وعلى ما وهبه الله مما يميزه به عن غيره ، والتي أثارت الإعجاب والدهشة ، ولعل المستر تشارلز رجل الاقتصاد الأمريكي ، الذي ما أظنه إلا موفداً من قبل الإدارة الأمريكية لمهمة ، أرسل من أجلها رسالة إلى الرئيس الأمريكي المستر فرانكلين روزفلت في عام ١٣٥٨هـ ، وهذه الرسالة نضيفها إلى الكثير ممن قابلوا الملك عبد العزيز وكتبوا عنه ، وبالرغم من قصر المدة التي عاشها تشارلز في المملكة إلا أنه استطاع أن يعي كل الوعي هذه الشخصية الفذة :

يقول مستر تشارلز :

«إن الملك عبد العزيز شخصية إسلامية كبرى يعمل من أجل دينه وعقيدته ، وهو أعظم من ظهر في جزيرة العرب منذ عهد الرسول ﷺ وإنه رجل إداري قدير في إدارة شئون دولته وبلاده ، وقد سار على نهج السلف الصالح ، وطبق تعاليم الشريعة الإسلامية»

ولقد استطاع استرداد حكم نجد ، موطنه الأصلي ، وهو في سن يقارب التاسعة عشرة سنة ، وبعدها أخذ يضم باقي أجزاء الجزيرة العربية بشكل تدريجي ، وفي فترات زمنية متلاحقة ، حتى أصبح بعد ذلك أقوى قوة في الجزيرة العربية .

إنه رجل حلیم ، ويعتمد في معاملاته على الحلم ، وما تبعه من صفات ، وبالحلم والأخلاق كان يدير شئون بلاده ، وكانت هذه الصفات هي نهجه في معاملاته مع أبناء شعبه .

ثم يكمل رسالته فيقول :

«إنني التقيت ببعض خصوم الملك السابقين ، فوجدتهم الآن من أكبر أعوانه ، ومن أكبر المطيعين ، والمؤيدين له ، ويعود هذا إلى معاملة الحلم ، وهي النهج والأسلوب الذي كان يعامل به خصومه بعد انهزامهم أو استسلامهم» .

(١) المصحف والسيف : (ص : ١١٠) .

«إن الملك كان يقول : إن هدفي هو مصالحتهم والتوافق معهم ، وكلى أمل في أن يعيشوا في جو من السعادة والاطمئنان»^(١) . . .

ليس من السهل أن تلتبس الثناء على إنسان من مسئول أوربي أو أمريكي إلا إذا كان يستحق هذا الثناء، وعن جدارة، وحكمهم على إنسان إنما يكون بعد دراسات مستوفاة، واختبارات قلما تخطيء، أو يخيب ظن الواحد منهم؛ فلهم من الذكاء والتجربة ما يجعلهم صادقين في حكمهم، نافذين في نظراتهم .

ولقد زار الملك عبد العزيز إبان جهاده، وبعد استقراره في حكم البلاد كثيرا من الرؤساء والكتاب والمسؤولين فكلهم أجمعوا على أن الملك عبد العزيز من الشخصيات النادرة التي لا يوجد الدهر بثلها إلا نادرا، بل لقد أجمعوا على أن من النادر جدا أن يعطى رجل القوة والتوفيق بمثل ما أوتى الملك عبد العزيز .

وهذا ما نلمسه فيما كتبوا عنه وصرحوا به :

قال د . جرمانوس المستشرق المجرى :

«الملك الذي جرد السيف في سبيل دينه وعقيدته، يجمع في طبيعته روح الحرب . وروح السلم، لا يقاتل الناس، ولا يعتدى عليهم، وإنما يحارب الجهل، ويقاوم الجمود، ويكافح التأخر»^(٢) .

وقال الكاتب الأمريكي روي لبيكيتشر :

«كان أبرز ما ظهر من صفات ابن سعود بعد استيلائه على الرياض : القوة، والشجاعة، والحيوية البالغة، والجاذبية الخلابية، والشخصية المحبوبة، وصواب الفكرة، والإستقامة التامة، مضافا إليها خلق المقدر على العفو عن أعدائه من جهة، والشدة بل القسوة من جهة أخرى عند الاقتضاء»^(٣) .

وقال تونشل :

«من عادة ابن سعود أن يعالج الأمور بحنكته وسياسته السلمية، فإذا اضطر إلى امتشاق الحسام لم يتردد»^(٤) .

(١) المتوكل على الودود : لمحمد منير البديوي : (ص : ٣٤١ ، ٣٤٢) .

(٢) شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص : ٧١٨) .

(٣) ، (٤) مختارات من موضوع «في كلمات للسياسيين وكبار الكتاب الأجانب» شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص :

٧١٥-٧٢٢) .

وقال الكاتب الانجليزي كنث وليمز :

«من النادر أن تجد رجلا تجمعت فيه المزايا التي تجمعت في ابن سعود: موفق ظافر، ومصالح ومبدع مبتكر، وتقى ورع صالح، وإنسان لطيف مهذب، وجواد سخى سمح، وراسخ وطيد متين، وذكى حاذق لبيب، وشجاع جرىء مقتحم، نبيل في تواضعه، جليل في احتشامه»^(١).

وقال حاكم كندا لورد أوف اثلود :

«شهدت بنفسى عندما زرت المملكة العربية السعودية، ماذا صنع الملك عبد العزيز لرفاهية شعبه، لقد استقر بفضل السلام والأمن في البلاد التي كانت من قبل تمزقها المنازعات الداخلية .

واتيح لى أن أشهد كيف تم الاعتراف به ملكا وزعيما على شعبه الذى أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء فى جميع المناحى الاجتماعية والثقافية»^(٢).

وكان للكاتبات الغربيات مجال كبير فى الكتابه عن الملك عبد العزيز، فقد تناولن شخصيته وسيرته بكثير من الدراسة والتحليل، بل إن بعضهن تكلفن المشاق لرؤية هذا البطل العظيم ومن كتبن عنه الكاتبة الفرنسية أندريه فيوليس فى مارس ١٩٣٧م قالت :
«حاد النظرات، كثير الحذر فى حديثه، ينظر إلى محدثه ويدرسه دراسة سريعة، هذا هو ملك الجزيرة العربية، الذى قام بما يشبه المعجزات، وأسس ملكه بين عشية وضحاها، بغير وجل، وهو بعيد المطامح طويل التروى، لا يجب المجازفة، ويعتقد أن الإستعداد للأمر ودراسته هما الوسيلتان للنجاح»^(٣).

ولقد تناول الكُتَّابُ العرب شخصية الملك عبد العزيز وسيرته العطرة على طول وعرض الوطن العربى بالإكبار والإجلال جزاء ما قدم للإسلام ولبلاد المسلمين من تضحية وفداء .

قال عبد الرحمن عزام :

«تميز الملك عبد العزيز، فوق خصال الشجاعة والكرم والعقل، بتبسطة فى الحديث، وعدم التكلف فيه، والمؤانسة لزائره، وهو فى جزيرة العرب ليس ملكا فحسب، بل رئيس أسرة، ومن عجيب شأنه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياه فى ساحته .

(١)، (٢)، (٣) مختارات من موضوع «فى كلمات للسياسيين وكبار الكُتَّاب الأُجانب» شبه الجزيرة (ج: ٢) : ص:

وكان مما يعجبني ، وقد تشرفت بأن كنت ضيفاً له مرتين ، أن أرى على مائدته أوفى الصيد معه ، أولئك الذين قاتلهم أو قتل آباءهم من قبل ، يعاملون معاملة الإخوة والأبناء»^(١).
وقال الكاتب المشهور محمود أبو الفتح في عام ١٩٣٠ م :

«ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب ، بل هو من أعظم رجال التاريخ . . . ولست أنا الذي أصدر هذا الحكم ، وإنما أصدره انكليزي عرف عبد العزيز من زمان طويل ، وتتبع سيرته منذ كان فتى شريداً طريداً إلى أن أصبح الملك المطلق في جزيرة العرب»^(٢).

وقال عونى عبد الهادى في عام ١٩٣٦ م :
«شيئان هائلان في الجزيرة . . .

الصحراء وابن سعود عبارة عن عالمٍ في رجل . ملّم كل الإلام بدخائل مُلكه ، مؤمن متدين إلى حد عظيم . قالوا : إن الذي يصغى إليه وهو يقرأ كتاب الله في الليل لا يملك نفسه من البكاء»^(٣).

وقال القائد عزيز على المصرى وهو من أعظم القادة العرب في العصر الحديث :
«اهتمام ابن سعود بالأسلحة الحديثة وشجاعته ، وقدرته على تحمل المشاق ، وبعده عن الترف ، وذكأؤه ، وصدق عزيمته ، وسخاؤه ، كل هذا يجيز أن نتنظر منه العظائم»^(٤).
هذا إجماع من كل الذين عنوا بدراسة شخصية هذا الرجل الموهوب الموفق ، وما أكثرهم من جميع الأجناس والبلاد ، وما اعتقد أن رجلاً حاز إعجاب جميع الناس بمثل ما ناله الملك عبد العزيز آل سعود فهو جدير بأن يقتدى به ويتخذ مثلاً أعلى في سيرته وأعماله .
وإذا كان الكُتّاب والمفكرون والساسة في جميع أنحاء العالم قد شغلهم ظهور هذه الشخصية الفذة ، فقد أجمعوا على الحب والتقدير والإعجاب بما قام به الملك عبد العزيز ، فقد تسابق رؤساء الدول الكبيرة إلى اللقاء به ، ورؤيته عن قرب ، وإلى الاجتماع به للصدقة ، ولصالح العالم ، ولمعرفة رأيه في كثير من المشاكل الدولية ، ولقد حرص الرئيس الأمريكى فرانكلن روزفلت رئيس الجمهوريات الأمريكية على رؤيته والتحدث إليه ، ففى

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص : ٧٣٩).

(٢) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨).

(٣) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨).

(٤) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٧).

إبان الحرب العالمية الثانية طلب الاجتماع بالملك عبد العزيز، وكان روزفلت بمصر والحرب لا تزال مستمرة، والمانيا موجهة كل عتادها إلى منطقة الشرق الاوسط، لذلك فقد كان أمر هذه المقابلة في غاية السرية خوفا من الطائرات، ووافق الملك، فجاء أحد الطرادات الامريكية إلى جدة، وأبحر الملك عبد العزيز ومن معه إلى قناة السويس، ثم إلى البحيرات المرة قريبا من مدينة الاسماعلية، حيث كان الرئيس ينتظره على سطح طراد آخر .

رحب الرئيس روزفلت بالملك عبد العزيز، وقال :

«إن على رؤساء العالم أن يتحینوا الفرص، ليتحدث بعضهم إلى بعض، ويتفاهموا، ويتعاونوا على حل ما استعصى عليهم من أمورهم» (١).

ولقد أعجب روزفلت بابن سعود إعجابا لا حد له، فلقد بهرته شخصية الزعيم العربي الأكبر، وقد طابق ما سمع عنه ما رأى الآن، بل ما رآه كان أعظم بكثير مما سمع، وقال له :

«كنت أود أن أجمع بك قبل هذا» .

ولقد أبدى الرئيس سرورا وفهما لكل ما عرضه عليه الملك عبد العزيز من أمور دولية، واقتنع بوجهة نظر الملك، ووافق على كل ما ذكره، ووعد بحل كل مشكلة عرضها عليه، وكان في مقدمة ما عرضه عليه استقلال سوريا ولبنان - وكانتا لا تزالان ترزحان تحت الحكم الفرنسي .

ولقد قال المقربون من الرئيس روزفلت :

إن الرئيس روزفلت لم يكن يتوقع أن يرى في ابن سعود الذي طلب مقابلته ما رآه فيه، ولقد رأى أنه رجل ذو مهابة خارقة وقوة عظيمة، فلقد ولد جنديا وقضى حياته كلها في خوض المعارك، وهو عربي من أوله إلى آخره، وفي كل وقت (٢).

ولما رجع الرئيس روزفلت إلى أميركا قال في الكونجرس عن الملك - رحمه الله :

«فقد وعيت مثلا عن مسألة الجزيرة العربية، تلك المشكلة بحذافيرها، مشكلة

المسلمين، ومشكلة اليهود، وعيت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة» (٣).

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٥٨) .

(٢) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٣) .

(٣) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٥) .

ولقد علقت مجلة «تايم» الأمريكية على تلك المقابلة فقالت :
«لعل الكثيرين دهشوا لاجتماع هاتين الشخصيتين المختلفتي النشأة والتربية ، ولكن
الواقع أن مقابلة الرئيس الأمريكى الذى نشأ فى هايد بارك ، ودرس فى جامعتى جرتون
وهارفارد ، وعاهل بلاد العرب الذى لم يدرس إلا فى مدرسة الإسلام والقرآن الكريم ، ولم ير
إلا الصحراء المحيطة به من كل جانب ، هذه المقابلة كانت ناجحة إلى حد بعيد ، وقد
استمرت المحادثات بينهما فترة طويلة ظهر خلالها بوضوح مقدار ما يمكنه كل منهما للآخر من
صداقة وتقدير» (١).

كان مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ، قد رغب فى اللقاء مع الملك عبد العزيز
وكان قد اجتمع بالرئيس الأمريكى ، فسهلت له الدبلوماسية البريطانية هذا اللقاء ، فهياؤا
كل شىء ليتم اللقاء فى الفيوم ، وكانت السرية قد خفت برحيل الرئيس الأمريكى إلى
بلاده ، فركب الملك عبد العزيز ومن معه الطراد إلى مدينة الإسمايلية ، ومنها اتجه الركب
ليلا إلى القاهرة ، واخترقوا وسطها إلى الجيزة ، فطريق الفيوم الصحراوى ، حتى وصلوا إلى
مكان الإقامة وهو فندق الفيوم على بحيرة قارون وذلك فى يوم الجمعة ٣ ربيع الأول عام
١٣٦٤هـ ، وفى اليوم التالى حضر إلى الملك عبد العزيز فى الفندق الملك فاروق ، وكان معه
الرئيس السورى شكرى القوتلى ، وفى اليوم الثالث وصل إلى الفندق رئيس الوزراء
البريطانية ، ومعه وزير الخارجية ، وآخرون من كبار السياسيين ، والقادة العسكريين ، فانفرد
بهم وقتا غير قصير ، وكلهم أبدى إعجابهم بتفكير الملك ، وعرض آرائه ، فكان موضع
إعجاب وتقدير . ثم عاد إلى بلاده بعد أن وعد الملك فاروق - رحمه الله - بزيارة خاصة
لمصر (٢).

وهكذا كلما تطرقنا لصفة من الصفات التى تحلى بها الملك عبد العزيز آل سعود ،
وجدنا أنه قد فاق فيها أقرانه ، وقد ضرب لنا على الطريق العملى أمثالا وأمثالا ملاء بها حياته
المباركة .

(١) نفس المصدر : (ج : ٤ : ص ١١٦٧) .

(٢) لقد برّ الملك عبد العزيز بوعده ، وزار مصر زيارة رسمية وشعبية فى صفر عام ١٣٦٥هـ وقوبل من الشعب
المصرى والحكومة بما لا لم يقابل به أحد من قبل لا فى السابق ولا فى اللاحق من التكريم والحفاوة والترحيب والحب
والإخلاص ، وسيظل كل هذا عنوانا على تقدير مصر لما قام به الملك عبد العزيز من أعمال عظيمة ، وبخاصة ما قام به تجاه
الحرمين والأراضى المقدسة ، وستفرد لهذه الزيارة بحثا آخر إن شاء الله .

فمن هذه الصفات الشجاعة التي أصبحت جزءاً من حياته - رحمه الله - في كل المجالات التي صادفته، والحزم الذي لازمه في كل ما قام به من أعمال، والصراحة التي كانت نبراسه في كل ما تحدث عنه صغراً أو كبيراً، والخشونة التي عاشها منذ صغره، وكان لها أثرها البعيد في كل ما قابله من مصاعب ومتاعب، والغيرة على الشرف، وعلى حدود الله وشريعته، وهي من أوائل ما دعاه إلى القيام بما قام به من حروب وقاتال، والنجدة لكل من طلب مساعدته، وهذا ما جعله يستجيب لنداء الشيخ مبارك فيذهب إليه في أحوال أوقات، والنظام وقد تعلمه من مواظبته على الصلاة، وإقامتها في أوقاتها الخمسة المنتظمة في اليوم والليلة، ومحافظته الدائمة عليها، وعلى كل عمل قام به فكان عمله منتظماً طيلة حياته لم يغيره، والطاعة، وتظهر واضحة في أمثاله لكل ما يأمر به والده الإمام عبد الرحمن - رحمهما الله - وتقديره لكل واجب عليه، والإيمان بالحق الذي يطالب به، وحب الانجاز في حدود التبعات وهو الذي جره إلى أعظم عمل قام به وهو فتح «الرياض» .

إن هذه الصفات كلها متمثلة فيه، ولم تتخل عنه واحدة، حتى أصبحت من خصائصه، ولقد قالوا إن هذه الصفات، وهذه الخصائص قد تجمعت بعد الوفاة السنين من تجارب الأمم في تعبئة الجيوش، حتى عرف الناس أخيراً أنها لازمة للقائد، والجندي الموهوب في أمثل حالاته، فما من خاصة منها يستغنى عنها القائد الكامل الذي يتحلى بأجمل الصفات .

وإنها متكاملة ومتأصلة كلها في الملك عبد العزيز آل سعود، وقلما تتجمع إلا فيمن وهبهم الله من الصفات ما لم يهبها سبحانه وتعالى لغيرهم .
ومن تفرد بهذه عن غيره، فهو جديراً أن يوصف بالعبقرية، ولقد أصبح من المسلم به، أن الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - كان عبقرياً .



أحمد بن محمد

البربر

الله سلاوي

تَحْقِيقُ جُزْءِ الضَّعْفَاءِ وَالمُتْرُوكِينَ

للإمام الدارقطني
-٢-

للسيخ عبد الرصيم محمد القسقرى
مؤاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد :
فان علم الحديث يحتاج إلى معرفة الرواة الذين أوصلوا السنة النبوية إلينا من حيث

جرحهم وتعديلهم ولما كان كتاب الإمام الدارقطني من الأصول المهمة في هذا الفن والذي
طوته ايد الاهمال في عدم اخراجه عزمت على نشره في مجلة الجامعة الإسلامية ليتسنى لأكبر
قدر ممكن من طلاب العلم الوقوف عليه والاستفادة منه .

وها أنذا اطرح الحلقة الثانية من كتاب الضعفاء والمتروكين لخاتمة الحفاظ ارجوان
اكون قد وفقت على اقل تقدير في تصحيح النصوص الواردة في كتاب المصنف .

وقد سبق وان قمت بتحقيق كتاب أسئلة البرقاني للإمام الدارقطني تحقيقاً واستفدت
فيه من كتاب الضعفاء .

وسيقدم الكتاب المذكور للطبع بعد الانتهاء من الدراسة العلمية حول المصنف
وكتابه السؤالات .

ارجو الله ان يوفقني في اخراجه وان ينفع به طلاب العلم . انه على كل شىء قدير .

حرف الحاء

- ١٥١ - الحارث بن عبد الله الأعور. كوفي همداني (١).
- ١٥٢ - الحارث بن عمران. أبو سهل الجعفرى. كوفي عن محمد بن سوجه وهشام بن عروة (٢).
- ١٥٣ - الحارث بن نبهان الجرمى. بصرى عن عاصم بن بهدله. وأيوب السختياني والأعمش. ليس بالقوى (٣).
- ١٥٤ - الحارث بن شبيل البصرى. عن أم النعمان. مقل. وليست بمعروفة (٤).
- ١٥٥ - الحارث بن سريج البقال. بغدادى. عن ابن عيينه. ويحيى القطان. ويزيد ابن زريع، غمزه يحيى بن معين. وهو كما قال (٥).
- ١٥٦ - الحارث بن حصيره. يغلوا فى التشيع (٦).
- ١٥٧ - الحارث بن حجاج بن أبى الحجاج. مجهولان (٧).
- ١٥٨ - حكم بن ظهير الفزارى. عن عاصم. وعلقمه بن مرثد السدى. يروى عنه مروان الفزارى. يقول ابن أبى خالد.
- ١٥٩ - حكم بن عبد الله بن سعد الأيلى. قرشى. عن القاسم بن محمد وابن أبى مليكة والزهرى وابن أبى على. متروك (٨).
- ١٦٠ - حكم بن عبد الله. أبو مطيع الخراسانى. بلخى. عن إبراهيم بن طهمان. وأبى حنيفة.
- ١٦١ - حكيم بن جبير. كوفي عن سعيد بن جبير. والنخعى والشعبى.

(١) قال ابن حجر: كذبه الشعبى فى رأيه ورمى بالرفض. وفى حديث ضعف - على - تقريب التهذيب ٦٠
(٢) ضعيف رماه ابن حبان بالوضع من التاسعة - ق - تقريب التهذيب ٦٠
(٣) متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٦١
(٤) لسان الميزان ١٥٢/٢
(٥) لسان الميزان ١٤٩/٢
(٦) ميزان الاعتدال ٤٣٢/١
(٧) قال ابن حجر: قال الدارقطنى مجهولان لسان الميزان ١٤٩/٢
(٨) قال الذهبى: ضعفه ولم يترك ديوان ٧١

- ١٦٢ - حماد بن عمرو النصيبى . أبو اسماعيل عن الأعمش . وزيد بن رفيع (١) .
- ١٦٣ - حماد بن عيسى . غريق الجحفة (٢) .
- ١٦٤ - حماد المالكى . قدرى . عن الحسن . كذاب .
- ١٦٥ - حميد بن عطاء وقيل ابن عامر المكتب ، عن عبد الله بن الحارث ، متروك .
- ١٦٦ - حفص بن عمر الفرخ العدنى ، عن الحكم بن ابان (٣) .
- ١٦٧ - حفص بن عمر بن أبى سليمان أبو عمران الإمام النجار الواسطى .
- ١٦٨ - حفص بن سليمان بن المغيرة أبو داود . هو القارى وهو حفص بن أبى داود سليمان .
- ١٦٩ - حبيب . كاتب مالك . متروك .
- ١٧٠ - حبيب الاسكاف . أبو عميره كوفى عن أنس (٤) .
- ١٧١ - حبيب بن حبان . هو ابن أبى الأشرس . ضعيف .
- ١٧٢ - حجاج بن بصير . بصرى . أجمعوا على تركه .
- ١٧٣ - حجاج بن فروخ . واسطى ، عن العوام بن حوشب ، وابن جريج متروك .
- ١٧٤ - حبان بن على العنزى . عن الأعمش . وليث بن أبى سليم . ضعيف وأخوه مندل ضعيف أيضا .
- ١٧٥ - حرام بن عثمان مدنى . عن ابنى جابر (٥) .
- ١٧٦ - حبه بن جوين العرنى . عن على رضى الله عنه (٦) .
- ١٧٧ - حصين بن مخارق . متروك .
- ١٧٨ - حصين بن عمر أبو عمر الاحمسى . كوفى عن مخارق بن عبد الله . واسماعيل بن أبى خالد (٧) .

(١) انظر ميزان الاعتدال ١/٥٩٨ .

(٢) قال ابن حجر : حماد بن عيسى بن عبيده غرق بالجحفة سنة ثمان ومائتين . تقريب التهذيب ٨٢ .

(٣) قال ابن حجر : حفص بن عمر الفرخ بالفاء وسكون الراء والحاء المعجمة . تقريب التهذيب ٧٨ .

(٤) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٤٥٦ .

(٥) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه ميزان الاعتدال ١/٤٦٨ .

(٦) قال الذهبى : قال الدارقطنى ضعيف ديوان ٤٩ .

(٧) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت - تقريب التهذيب ٧٦ .

- ١٧٩ - حمزة بن أبي حمزة النصيبى . عن أبى الزبير . وعمر بن دينار^(١) .
- ١٨٠ - حسام بن مصك أبو سهل . بصرى . عن قتادة^(٢) وعبد الله بن بريده .
- ١٨١ - حديج بن معاوية الكوفى . يغلب عليه الوهم . عن أبى اسحاق .
- ١٨٢ - حسان بن سياه . كوفى . عن ثابت وعاصم بن أبى النجود .
آخر ما وجد فى كتاب البرقانى .
- ١٨٣ - حسن بن دينار وقيل ابن واصل وقيل ابن دينار زوج امه عن الحسن وابن سيرين وأيوب^(٣) .
- ١٨٤ - حسن بن عمارة كوفى^(٤) .
- ١٨٥ - حسن بن زياد اللؤلؤى^(٥) .
- ١٨٦ - حسن بن على الهاشمى ، عن الأعرج . عن أبى هريرة^(٦) .
- ١٨٧ - حسن بن أبى جعفر . وفى نسخة حسن بن أبى جعفر الجفرى . بصرى . يروى . عن أيوب . ومحمد بن جحادة . وأبى الزبير^(٧) .
- ١٨٨ - حسن بن يحيى الخشنى شامى . عن هشام بن عروه . متروك .
- ١٨٩ - حسين بن عبد الله بن ضميرة . عن أبيه عن جده مدنى^(٨) .
- ١٩٠ - حسين بن علوان . عن هشام بن عروة . والأعمش . كذاب .
- ١٩١ - حلبس بن محمد المصرى . الكلبي . عن الثورى^(٩) .
- ١٩٢ - حسين بن قيس الرحبى . ويقال حنش . عن عكرمه . وعن عطاء واسطى^(١٠) .
- ١٩٣ - حسين بن خالد الأشقر . كوفى . عن شريك وقيس وجعفر الأحمر وهريم بن سفيان . ليس بالقوى .

(١) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٦٠٦ .
(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٤٧٧ .
(٣) قال ابن حجر : تركه وكيع وابن حنبل . لسان الميزان ٢/٢٠٣ .
(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٧١ .
(٥) قال الذهبى : كذبه ابن معين ديوان ٥٧ .
(٦) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٧١ .
(٧) ميزان الاعتدال ١/٤٨٢ .
(٨) قال البخارى : منكر الحديث التاريخ الكبير ٢/٢٨٨ .
(٩) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك الحديث . ميزان الاعتدال ١/٥٨٧ .
(١٠) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٥٤٦ .

باب الخاء

- ١٩٤ - خالد بن القاسم أبو الهيثم مدائني من الحفاظ . عن كعب بن سعيد وهشيم^(١) .
- ١٩٥ - خالد بن الياس مدني . عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وهشام بن عروة^(٢) .
- ١٩٦ - خالد العبدي بصري . أكثر روايته عن الحسن . متروك .
- ١٩٧ - خالد بن يزيد بن أبي مالك . شامي . عن أبيه . وأبوه من الثقات .
- ١٩٨ - خالد بن محدوج . أبو روح واسطي . عن أنس^(٣) .
- ١٩٩ - خالد بن عمرو الأموي . كوفي . عن الثوري والناس من ولد سعيد بن العاص^(٤) .
- ٢٠٠ - خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين . بصري عن أبيه عن جده .
- ٢٠١ - خليل بن دعلج . شامي . عن قتادة والحسين^(٥) .
- ٢٠٢ - خارجه بن مصعب سرخسي عن العالم^(٦) .
- ٢٠٣ - خصيب بن جحدر . بصري عن أبي صالح . وعمرو بن دينار والنعمان ابن نعيم لا يعرف إلا برواته .
- ٢٠٤ - خصيب عنه خالد بن اسماعيل . أبو الوليد المخزومي مدني .
- ٢٠٥ - خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت . مدني ضعيف .

(١) قال يعقوب بن شبويه : خالد المدائني صاحب حديث متقن . متروك الحديث . ميزان الاعتدال ٢٣٨/١ .
(٢) قال ابن حجر : متروك الحديث من السابعة - ت ق - تقريب التهذيب ٨٧ .
(٣) قال الذهبي : ديوان ٨٣ . ميزان الاعتدال ٦٤٢/١ .
(٤) رماه ابن معين بالكذب من التاسعة - د ق - تقريب التهذيب ٨٩ .
(٥) قال النسائي : ليس بثقة الضعفاء والمتروكون ٣٧ .
(٦) قال النسائي : متروك الحديث الضعفاء والمتروكون ٣٧ .

حرف الدال والذال

- ٢٠٦ - داود بن المحبر يضع بصرى كان ببغداد متروك .
٢٠٧ - داود بن عبد الجبار أبو سليمان . كوفى . عن إبراهيم بن جرير وسلمه بن المجنون (١) .
٢٠٨ - دجين بن ثابت أبو الغصن بصرى عن أسلم مولى عمر . وعن هشام بن عروه (٢) .
٢٠٩ - دينار أبو سعيد عقيصا . كوفى عن على مناكير . رماه أبو بكر بن عياش بالكذب .
٢١٠ - دهثم بن قران قدم المدينة عن يحيى بن أبى كثير ونحران لا يعرف الا به مجهول (٣) .
٢١١ - درست بن زياد القشيرى . بصرى عن يزيد الرقاشى وابان بن طارق . لا يروى عنه غيره (٤) .
٢١٢ - درست بن حمزة بصرى . عن مطر الوراق (٥) .
٢١٣ - ذؤيب بن عمارة بن عمرو السهمى . عن مالك والمدنيين (٦) .

حرف الراء

- ٢١٤ - ربيع بن بدر . ويقال عليلة بن بدر . بصرى عن الأعمش . ويونس بن عبيد . منكر الحديث . عن مالك والمدنيين (٧) .
٢١٥ - ربيع بن حبيب . أخو عابد كوفى عن نوفل بن عبد الملك عن أبيه عن على .

(١) قال الذهبى : تركوه . ديوان ٩٢ .

(٢) قال الذهبى : بصرى لا يحتج به . ديوان ٩٥ .

(٣) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ٩٨ .

(٤) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة - دق - تقريب التهذيب ٩٧ .

(٥) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٥ .

(٦) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٨ .

(٧) قال الذهبى : تركه الدارقطنى وغيره ، ديوان ١٠٠ .

- ٢١٦ - فاما الربيع بن حبيب الرقاشى . فهو بصرى مقل يروى عن المصريين لا يترك^(١) .
- ٢١٧ - ربيع بن سهل بن الدكين . كوفى عن سعيد بن عبيد . وعبد الله بن شريك العامرى .
- ٢١٨ - رشدين بن سعد أبو الحجاج . بصرى . ضعيف .
- ٢١٩ - رشدين بن كريب مدنى^(٢) .
- ٢٢٠ - رشيد الهجرى . عن أبيه عن عبد الله بن عمرو^(٣) .
- ٢٢١ - روح بن أسلم . أبو حاتم بصرى عن حماد بن سلمة .
- ٢٢٢ - روح بن عطاء بن أبى ميمونه عن أبيه .
- ٢٢٣ - روح بن مسافر . كوفى عن أبى إسحاق . وحبيب بن أبى ثابت . كناه لؤى . أبو المعطا .
- ٢٢٤ - روح بن غطيف جزرى . عن الزهرى . وعمرو بن مصعب الكوفى .
- ٢٢٥ - رباح بن عبيد الله بن عمر القرشى . قال بعضهم أبو بكر مدنى .
- ٢٢٦ - ركن بن عبد الله الشامى . عن مكحول . مقل .
- ٢٢٧ - رواد بن الجراح أبو عصام عسقلانى . عن الثورى وسعيد .

حرف الزاي

- ٢٢٨ - زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . عن أبيه منكر الحديث .
- ٢٢٩ - زيد بن الحسن بصرى . يحدث عن مالك بن أنس بمنكير .
- ٢٣٠ - زيد بن جبيرة بن محمود بن أبى جبيرة الانصارى . عن أبيه لا يعرف أبوه إلا به . وعن داود بن الحصين^(٤) .
- ٢٣١ - فهد بن عوف أبو ربيعة ويقال زيد . بصرى عن حماد بن سلمة^(٥) .

(١) وثقه الإمام أحمد وابن معين ، ميزان الاعتدال ٤٠/٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ٥١/٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ٥١/٢ .

(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ١١٢ .

(٥) قال الذهبى : زيد بن عوف ولقبه فهد . قال الدارقطنى ضعيف . ميزان الاعتدال ١٠٥/٢ .

- ٢٣٢ - زياد بن المنذر أبو الجارود . كوفي عن أبي الطفيل ، وأبي جعفر محمد بن علي (١) .
- ٢٣٣ - زياد بن أبي حسان . أبو عمار بصري عن أنس وعن عمر بن عبد العزيز (٢) .
- ٢٣٤ - زياد بن ميمون أبو عمار عن أنس (٣) .
- ٢٣٥ - زياد بن أبي زياد الجصاص عن الحسن وابن سيرين وأبي عثمان النهدي (٤) .
- ٢٣٦ - زياد بن المنذر . وإنما هو منذر بن زياد الطائي . بصري عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر حديث منكر وله أيضا مناكير (٥) .
- ٢٣٧ - زكريا بن حكيم الحبطي . كوفي عن الشعبي .
- ٢٣٨ - زكريا بن يحيى الكسائي . الكوفي عن يحيى بن سالم الأسدي . متروك أيضا .
- ٢٣٩ - زنفل أبو عبد الله العرنى . عن ابن أبي مليكة .
- ٢٤٠ - زبير بن سعيد الهاشمي النوفلي . مدني حمل عنه ابن المبارك وجريير بن حازم . يعتبر به بما رواه عن عبد الله بن علي بن زيد بن ركانه فأما ما يرويه عن محمد بن المنكدر فإنه يترك (٦) .

حرف السين

- ٢٤١ - سلمة بن صالح الأحمر . كوفي سكن واسط وبغداد عن أبي إسحاق وحماد بن أبي سليمان . ومالك بن أوس الحدثاني (٧) .
- ٢٤٢ - سلمه بن وردان . مديني عن أنس (٨) .
- ٢٤٣ - سليمان بن عبد الله بن سليمان . أبو بكر الهذلي . بصري عن الحسن وابن سيرين .

-
- (١) قال الإمام أحمد متروك . ديوان ١١٢ .
- (٢) قال الذهبي : تركه الجماعة . ديوان ١١١ .
- (٣) قال الذهبي : يقال له زياد بن أبي حسان وزياد بن أبي عمار هالك اعترف بالكذب . ديوان ١١٢ .
- (٤) قال الذهبي : تركوه ١١٢ .
- (٥) قال الذهبي : قال الدارقطني : منذر بن زياد الطائي ، متروك وهم فيه من قبله فقال زياد بن المنذر ، ميزان الاعتدال . ١٨١/٤ .
- (٦) قال ابن حجر : لين الحديث من السابعة - د ت ق - تقريب التهذيب ١٠٦ .
- (٧) قال الذهبي : تركوه ، ديوان ١٢٨ .
- (٨) قال ابن حجر : ضعيف من الخامسة - بخ ت ق - تقريب التهذيب ١٣١ ديوان ١١٦ .

- ٢٤٤ - سرى بن اسماعيل الكوفى . عن الشعبى . ضعفه يحيى القطان وغيره .
 ٢٤٥ - سرى بن عاصم بغدادى . عن أيوب وحفص بن غياث . وغندر والناس (١)
 ٢٤٦ - سليمان بن أرقم أبو معاذ . عن الزهرى وابن سيرين وقيل أن داود عن الزهرى
 حديث الصدقات أنه هو .
 ٢٤٧ - سليمان بن الحكم بن عوانه . واسطى . عن الأعمش .
 ٢٤٨ - سليمان بن خالد واسطى . عن قتاده وطلحة بن مصرف . هو أخو العلاء بن
 خالد والعلاء يعتبر به .
 ٢٤٩ - سليمان بن داود الخولانى . عن الزهرى .
 ٢٥٠ - سليمان بن داود أبو أيوب الشاذكونى . بصرى .
 ٢٥١ - سليمان بن زيد أبو ادام . عن ابن أبى أوفى (٢) .
 ٢٥٢ - سليمان بن سفيان مدينى . أبو سفيان . عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى .
 سمع منه أبو عامر العقدى ومعمربن سليمان (٣) .
 ٢٥٣ - سليمان بن سفيان الجهنى مداينى . عن قيس بن الربيع عن ورقاء (٤) .
 ٢٥٤ - سليمان بن عمرو النخعى . أبو داود كوفى (٥) .
 ٢٥٥ - سليمان بن يسير . أبو الصباح كوفى . عن النخعى والحكم وقيس بن رومى
 وقال سليمان بن بشير (٦) .
 ٢٥٦ - سليمان بن أبى سليمان القافلانى . أبو محمد بصرى . عن الحسن وابن سيرين
 روى عنه عبيد الله بن موسى . فقال سليمان الخوزى (٧) .

(١) قال الذهبى : متهم ، ديوان ١١٦ .
 (٢) قال ابن معين : ليس بثقه ، التاريخ ٢/٢٣١ .
 (٣) قال ابن معين : ليس بثقه ، التاريخ ٢/٢٣١ .
 (٤) قال الذهبى : ضعفه ، ديوان ١٣١ .
 (٥) قال الذهبى : كذاب ، ديوان ١٣٢ .
 (٦) ميزان الاعتدال ٢/٢٢٨ .
 (٧) قال الذهبى : متروك الحديث بصرى مقل ، ميزان الاعتدال ٢/٢١٠ .

- ٢٥٧ - سالم بن عبد الأعلى أبو الفيض . كوفي عن نافع وغيره (١) .
- ٢٥٨ - سالم الخياط . عن الحسن وابن سيرين (٢) .
- ٢٥٩ - سليمان بن أبي سراج (٣) .
- ٢٦٠ - سلم بن سالم البلخي . عن عبيد الله بن عمر . وابن جريج والثوري (٤) .
- ٢٦١ - سليمان بن مسلم الخشاب . مكى . عن ابن جريج والمكيين (٥) .
- ٢٦٢ - سلام بن أبي خبزه بصرى . عن العالم
- ٢٦٣ - سلام بن سليمان وقيل ابن سلمان وقيل ابن سالم الطويل . المدائنى . متروك
- عن زيد العمى .
- ٢٦٤ - سعد بن طريف الاسكاف . كوفي عن عكرمه والاصبغ (٦) .
- ٢٦٥ - سعد بن سنان وقيل سنان بن سعد . عن أنس . روى عنه يزيد بن أبي حبيب (٧) .
- ٢٦٦ - سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبرى . أخو عبد الله (٨) .
- ٢٦٧ - سعيد بن سلام العطار . أبو الحسن بصرى نزل مكة عن الثورى والعالم (٩) .
- ٢٦٨ - سعيد بن سنان أبو مهدي . حمصى . عن أبي الزاهرية (١٠) .
- ٢٦٩ - سعيد بن زون بصرى . عن أنس (١١) .
- ٢٧٠ - سعيد بن زربى أبو معاوية بصرى . عن ابن سيرين وأبي المليح متروك .

-
- (١) ميزان الاعتدال ١١٢/٢ .
- (٢) هو سالم بن عبد الله الخياط ، قال ابن حجر : صدوق سىء الحفظ من السادسة ، تقريب التهذيب ١١٥ .
- (٣) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٣١
- (٤) ديوان ١٢٧ .
- (٥) ميزان الاعتدال ٢٢٣/٢ .
- (٦) ميزان الاعتدال ١٢٢/٢ .
- (٧) قال ابن حجر : صدوق له افراد من الخامسة - دت ق - تقريب التهذيب ١١٨ .
- (٨) قال ابن حجر : لين الحديث من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ١١٨ .
- (٩) قال الذهبى : قال الإمام أحمد ، كذاب ، وتركه الدارقطنى ، ديوان ١٢١ .
- (١٠) قال الذهبى : هالك - ق - ديوان ١٢١ .
- (١١) سعيد بن زون بضم الزاى وسكون الواو وبعدها نون - ضعيف عندهم - ديوان ١٢٠ .

- ٢٧١ - سعيد بن عبد الجبار الحمصي . العطار . عن أبي بكر بن أبي مريم والحمصيين^(١) .
- ٢٧٢ - سعيد بن واصل أبو عمرو والحريش . ويقال أبو عمر بصرى عن شعبة^(٢) .
- ٢٧٣ - سعيد بن راشد أبو محمد السماك المازني . بصرى عن عطاء والزهرى^(٣) .
- ٢٧٤ - سهيل بن ذكوان واسطى . عن عائشة^(٤) .
- ٢٧٥ - سكين بن عبد العزيز العطار . بصرى^(٥) .
- ٢٧٦ - سوار بن مصعب^(٦) .
- ٢٧٧ - سويد . أبو حاتم بصرى . عن قتادة^(٧) .
- ٢٧٨ - سدیر بن حكيم الصيرفي . كوفي له مقاطيع .
- ٢٧٩ - سيف بن محمد بن أخت الثورى . كوفي عن الأعمش . وحصين والثورى^(٨) .
- ٢٨٠ - سيف بن هارون البرجمي . عن اسماعيل بن أبي خالد . كوفي أخو سنان . وسنان يعتبر به^(٩) .
- ٢٨١ - سيف بن عمر الأسيدى . كوفي عن العالم . الكوفيين والبصريين والحجازيين^(١٠) .
- ٢٨٢ - سيف بن أبي المغيرة كوفي . عن مجالد وغيره^(١١) .

(١) قال النسائي ليس بثقة الضعفاء والمتروكين ٥٢ .
(٢) قال النسائي : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٤ .
(٣) قال النسائي : متروك بصرى الضعفاء والمتروكين ٥٤ .
(٤) قال الذهبي : متروك ، ديوان ١٣٧ .
(٥) قال ابن حجر : صدوق يروى عن الضعفاء . تقريب التهذيب .
(٦) قال أحمد والدارقطني : متروك ، ديوان ١٣٨ .
(٧) هو سويد بن ابراهيم ، ميزان الاعتدال ٢٤٧/٢ .
(٨) قال ابن حجر : كذبوه من صغار الثامنة - ت - تقريب التهذيب ١٤٢ .
(٩) قال ابن حجر : ضعيف افحش ابن حبان القول فيه من صغار الثامنة ، تقريب التهذيب ١٤٢ .
(١٠) قال ابن حجر : ضعيف في الحديث . عمدة في التاريخ ، تقريب التهذيب ١٤٢ .
(١١) قال الذهبي : ضعفه الدارقطني ، ديوان ١٤٠ .

حرف الشين

- ٢٨٣ - شبيب بن سليم بصرى . له مقاطع .
٢٨٤ - شبيب بن شبيه أبو معمر الخطيب . بصرى . عن البصريين وهشام بن عروة^(١) .

حرف الصاد

- ٢٨٥ - صالح بن بشير المرى . رجل صالح قل ما يوافق فيما يرويه عن الحسن والجريرى .
٢٨٦ - صالح بن حسان مدنى . عن محمد بن كعب القرظى . وعروة^(٢) .
٢٨٧ - صالح بن حبان . كوفى عن ابن بريده روى عنه زهير وسماه واصل وهم فى اسمه ليس بالقوى .
٢٨٨ - صالح بن محمد بن زايده أبو قدامه الليثى . مدنى ضعيف .
٢٨٩ - صالح بن موسى بن عبد الله الطلحى . كوفى عن منصور وعبد العزيز ابن ربيع وهشام وعبد الله بن الحسن بن الحسن أبو ثقة روى عنه أبو اسامة وعيسى بن داود .
٢٩٠ - صالح بن أحمد بن مقاتل القيراطى . حدثونا عنه .
٢٩١ - صلة بن سليمان واسطى . يترك حديثه عن ابن جريج وشعبة ويعتبر بحديثه عن اشعث بن عبد الملك الحمرانى .
٢٩٢ - صالح بن سهل أبو سهل . كوفى سكن البصرة عن حصين بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو .
٢٩٣ - صلت بن دينار . أبو شعيب المجنون بصرى متروك .
٢٩٤ - صفذى بن سنان . بصرى اسمه عمر عن يونس وخالد^(٣) .
٢٩٥ - صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية شامى ضعيف .

(١) قال الذهبى : ضعفه ، ديوان ١٤٢ .
(٢) قال الذهبى : ضعفه أبو حاتم والناس ، ديوان ١٤٧ .
(٣) ميزان الاعتدال ٣١٦/٢ .

باب الضاد والطاء

- ٢٩٦ - ضحاك بن حمزة واسطى سكن الشام (١) .
٢٩٧ - ضحاك بن نبراس . بصرى . عن ثابت ويحيى بن أبى كثير (٢) .
٢٩٨ - ضرار بن سرد . أبو نعيم كوفى (٣) .
٢٩٩ - ضرار بن عمرو . ببغداد والبصرة عن يزيد الرقاشى يروى عن بكر بن حبيش القاص متروك أيضا .
٣٠٠ - طلحة بن عمرو . المكى عن عطاء وابن المنكدر (٤) .
٣٠١ - طلحة بن زيد الشامى . عن الأوزاعى والوضين بن عطاء (٥) .
٣٠٢ - طريف بن سليمان . أبو عاتكة . كوفى عن أنس (٦) .
٣٠٣ - طريف بن عيسى جزرى (٧) .
٣٠٤ - طريف بن عبيد الموصلى . حدث عنه الشافعى أبو بكر (٨) .
٣٠٥ - طريف بن شهاب السعدى . أبو سفیان . ضعيف .

حرف العسین

- ٣٠٦ - عبد الله بن زياد بن سمعان . مدنى متروك ، وسعيد بن سمعان ثقة تابعى مدنى .
٣٠٧ - عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى . أبو عباد مدنى وأخوه يحيى متروك .
٣٠٨ - عبد الله بن مسلم بن هرمز . مكى . عن مجاهد وعطاء (٩) .

-
- (١) قال الذهبى : يضع الحديث قاله الدارقطنى ، ديوان ١٥٢ .
(٢) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٨ .
(٣) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٩ .
(٤) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .
(٥) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .
(٦) قال النسائى : ليس بثقة ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .
(٧) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .
(٨) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .
(٩) قال ابن حجر : ضعيف من السادسة - يخ مد ت ق - تقريب التهذيب ١٨٩ .

- ٣٠٩ - عبد الله بن واقد . أبوقتادة الحراني (١) .
- ٣١٠ - عبد الله بن سلمة الأفتس . عن الأعمش وهشام (٢) .
- ٣١١ - عبد الله بن جعفر بن نجيح المدني . والد على كثير المناكير .
- ٣١٢ - عبد الله بن ميسرة الكوفي عن الشعبي وإبراهيم بن أبي حره يكنية هشيم أبا إسحاق ، وأبو عبد الجليل وغيره يكنيه أبا ليلي (٣) .
- ٣١٣ - عبد الله بن عامر الأسلمي . مدني ضعيف .
- ٣١٤ - عبد الله بن بشير الشامي . عن عبد الله بن بسر وأبي كبشه صحابيان وقيل أن اسم أبي كبشه عمر بن سعيد .
- ٣١٥ - عبد الله بن حكيم أبو بكر الداھري . أصله بواسط عن هشام بن عروة (٤) .
- ٣١٦ - عبد الله بن محرر بصرى سكن الشام . عن الزهري وقتادة (٥) .
- ٣١٧ - عبد الله بن عبد القدوس . كوفي . سكن الرى . عن الأعمش (٦) .
- ٣١٨ - عبد الله بن عمرو بن حسان الواقعي بصرى . يكذب عن شريك .
- ٣١٩ - عبد الله بن لهيعة بن عقبة وربما نسب إلى جده يعتبر بما يروى عنه العبادة ابن المبارك والمقرى وابن وهب .
- ٣٢٠ - عبد الله بن مسور . أبو جعفر المدايني . يرسل عن النبي ﷺ وعن ابن مسعود وابن عباس .
- ٣٢١ - عبد الله بن محمد بن سنان الدوحى . متروك حدث بالدينور وولى قضاءها
- ٣٢٢ - عبد الله بن خراش كوفي عن العوام بن حوشب (٧) .
- ٣٢٣ - عبد الله بن حمدان بن وهب الدينورى . حدثونا عنه (٨) .

(١) قال ابن حجر : متروك من التاسعة ، تقريب التهذيب ١٩٣ .

(٢) قال النسائي متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٥ .

(٣) قال الذهبي : عبد الله بن ميسرة أبو ليلي وهو أبو إسحاق وأبو جرير وأبو عبد الجليل كناه بهذه الأربعة هشيم يدلسه ، ميزان الاعتدال ٥١١/٢ .

(٤) ميزان الاعتدال ٤١٠/٢ .

(٥) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ١٨٧ .

(٦) صدوق رمى بالرفض وكان أيضا يخطئ من التاسعة - خت ت - تقريب التهذيب ١٨٠ .

(٧) ضعيف واطلق عليه ابن عمار الكذب .

(٨) قال الذهبي : متهم ، ميزان الاعتدال ٤١٢/٢ .

- ٣٢٤ - عبيد الله بن زحر. عن علي بن زيد نسخة باطلة .
- ٣٢٥ - عبيد الله بن الوليد الوصافي . كوفي عن عطية^(١) .
- ٣٢٦ - عبيد الله بن تمام بن قيس . بصرى عن التيمى وداود بن أبى هند ويونس مقلوبه^(٢) .
- ٣٢٧ - عبيد الله بن أبى حميد . وهو ابن غالب بصرى عن أبى المليح^(٣) .
- ٣٢٨ - عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عبد الرحمن بن عبد الله العمرى عن أبيه وعمه سعيد وأخوه القاسم . متروك .
- ٣٢٩ - عبد الرحمن بن قيس الزعفرانى . أبو معاوية بصرى خرج إلى نيسابور . عن شعبة والثورى وحميد ومحمد بن عمرو^(٤) .
- ٣٣٠ - عبد الرحمن بن مالك بن مغول . كوفي عن أبيه وعبيد الله بن عمر^(٥) .
- ٣٣١ - عبد الرحمن بن مسهر . أخو على بن مسهر عن أبى سعد البقال وهشام بن عروه . وأخوه ثقة .
- ٣٣٢ - عبد الرحمن بن يزيد بن تميم . شامى أبو أسامة يغلط في نسبه يروى عن الزهرى واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الدمشقى واسماعيل هذا ثقة .
- ٣٣٣ - عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى . ليس بالقوى .
- ٣٣٤ - عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث أبوشيبه^(٦) واسطى عن النعمان بن سعد . عن أبيه . لا يعرف إلا به .
- ٣٣٥ - عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزرمى . أخو إسحاق وإسحاق متروك أيضا ولهما أخ ثالث يسمى حسن له مقاطيع يعتبر به .
- ٣٣٦ - عبد الرحمن بن أبى المليكى . ابن أخى بن أبى مليكة عن ابن أبى مليكة والزهرى^(٧) .

(١) قال الذهبى : ضعفه، ديوان ٢٠٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ٤/٢ .

(٣) قال النسائى : متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .

(٤) قال النسائى : ضعيف مدنى، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .

(٥) قال الذهبى : يأتى بالطامات، ديوان ١٩٠ .

(٦) قال ابن حجر : ضعيف - دت - تقريب التهذيب .

(٧) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة - زق - تقريب التهذيب ١٩٩ .

- ٣٣٧ - عبد الرحمن بن إسحاق . يعرف بعباد . يرمى بالقدر ضعيف الحديث روى عن الزهري . روى عنه ابراهيم بن طهمان واسماء وعباد والبصريون رروا فقالوا عبد الرحمن بن إسحاق^(١) .
- ٣٣٨ - عبد الرحيم بن زيد العمى . بصرى عن أبيه . أبوه صالح^(٢) .
- ٣٣٩ - عبد الواحد بن زيد القاضي . بصرى عن الحسن وثابت^(٣) .
- ٣٤٠ - عبد الواحد بن قيس .
- ٣٤١ - عبد الواحد بن ميمون . أبو حمزة مدنى . عن عروة^(٤) .
- ٣٤٢ - عبد الوهاب بن مجاهد . مكى . عن أبيه وعطاء^(٥) .
- ٣٤٣ - عبد الوهاب بن الضحاك العرضى . حمصى عن اسماعيل بن أبى عياش له مقلوبات وبواطيل .
- ٣٤٤ - عبد الأعلى بن أبى المساور . كوفى عن حماد والشعبى^(٦) .
- ٣٤٥ - عبد العزيز بن ابان . أبو خالد القرشى كوفى عن الثورى^(٧) .
- ٣٤٦ - عبد العزيز بن عمران أبو ثابت الزهري مدنى^(٨) .
- ٣٤٧ - عبد العزيز بن عبد الرحمن البالى عن خصيف^(٩) .
- ٣٤٨ - عبد الحميد بن سليمان مدنى . أخو فليح عن أبى حازم وأخوه ثقة .
- ٣٤٩ - عبد الحميد بن الحسن الهلالى . كوفى حدث بالبصرة عن أبى إسحاق . وعبد الملك بن عمير^(١٠) .
- ٣٥٠ - عبد الصمد بن سليمان الواسطى . الأزرق ، ضعيف عن الضعفاء عن سليمان بن أبى سراج وخصيب بن جحدر مترك .

(١) قال ابن حجر صدوق روى بالقدر من السادسة - خت يخ م ع - تقريب التهذيب ١٩٨ .
(٢) انظر تقريب التهذيب : ٢١٢ ، تهذيب التهذيب ٤٠٨/٣ .
(٣) انظر لسان الميزان ٨٠/٤ .
(٤) قال النسائى : ليس ثقة الضعفاء والمتر وكين ٦٩ .
(٥) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٦٩ .
(٦) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٠ .
(٧) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .
(٨) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .
(٩) قال النسائى : ليس بثقة الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .
(١٠) قال ابن حجر : صدوق يخطىء من الثامنة - ت - تقريب التهذيب ١٩٦ .

- ٣٥١ - عبد الرزاق بن عمر. الشامي ضعيف .
- ٣٥٢ - عبد الجبار بن عمر الايلي . ضعيف .
- ٣٥٣ - عبد الغفار بن القاسم . أبو مريم كوفي ضعيف حدث عنه شعبة ولعله لم يخبره .
- ٣٥٤ - عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد . أبو الصباح الواسطي له عن أبي هاشم الرماني نسخة .
- ٣٥٥ - عبد الخالق بن زيد بن واقد دمشقي . عن أبيه وأبوه ثقة روى عن حزام بن حكيم ومكحول (١) .
- ٣٥٦ - عبد المنعم بن ادريس بن سنان . سكن بغداد عن أبيه وأبوه متروك عن وهب ابن منبه (٢) .
- ٣٥٧ - عبد المنعم بن نعيم أبو سعيد بصري رياحي . عن يحيى بن مسلم مجهول لا يعرف إلا به وعن الأعمش (٣) .
- ٣٥٨ - عبد الكريم بن أبي المخارق . أبو أمية البصري . عن نافع وابن سيرين والحسن . يروى عنه ابن أبي ليلى . ويروى عنه وعن الجزري الثوري . وابن جريج يرويان عنه وعن عبد الكريم الجزري (٤) .
- ٣٥٩ - عبد الملك بن هارون بن عنتره الكوفي . روى عن حبيب بن أبي ثابت وأبي إسحاق (٥) .
- ٣٦٠ - عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي . عن البصريين والكوفيين .
- ٣٦١ - عبد السلام بن أبي الجنوب . عن الزهري وخالد بن قدامة .
- ٣٦٢ - عبد القدوس بن حبيب . شامي أبو سعيد عن الشعبي وعكرمة والحسن والزهري (٦) .
- ٣٦٣ - علاء بن زيدل . بصري عن أنس .

(١) قال النسائي : ليس بثقة ، ديوان ١٨٥ .

(٢) انظر ديوان ١٥ - ٢٠١ .

(٣) قال الذهبي : مقل ضعفه الدارقطني ، ديوان ٢٠١ .

(٤) قال ابن حجر : عبد الكريم بن أبي المخارق ضعيف من السادسة وقد شارك الجزري في بعض المشايخ فربما التبس به على

من لا فهم له ، تقريب التهذيب ٢١٧ .

(٥) قال الذهبي : تركوه ، ديوان ٢٠١ .

(٦) قال الذهبي : متروك لقي التابعين ، ديوان ١٩٧ .

- ٣٦٤ - علاء بن زيد . أيضا . متروك من أهل البصرة .
- ٣٦٥ - عمر بن هارون البلخي . ضعيف .
- ٣٦٦ - عمر بن رباح الضرير بصري . ويقال عمر بن أبي عمر عن ابن طاوس وهشام بن عروة^(١) .
- ٣٦٧ - عمر بن حفص أبو حفص بصري . عن ثابت ويزيد الرقاشي .
- ٣٦٨ - عمر بن اسماعيل بن مجالد . بغدادى عن أبيه وأبى معاوية ويحيى الأموى .
- ٣٦٩ - عمر بن موسى بن وجيه الوجيهي . كوفى عن أبى الزبير وأبى إسحاق وقتادة يروى عنه يحيى بن يعلى الاسلمى . فيقول : عن عبيد الله بن موسى وقيل انه عمر هذا^(٢) .
- ٣٧٠ - عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقى . عن سعيد بن عبد العزيز وسعيد بن بشير بواطيل .
- ٣٧١ - عمر بن صالح بن أبى الزاهرية واسطى عن أبى حمزة .
- ٣٧٢ - عمر بن غياث وقيل عمرو كوفى . عن عاصم وعبد الملك بن عمير^(٣) .
- ٣٧٣ - عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفى . عن أبيه عن جده وأبوه لا يعرف إلا به ، وروى أيضا عن زياد بن علاقه عن المنهال بن عمرو^(٤) .
- ٣٧٤ - عمر بن محمد بن صهبان . مدنى عن الزهرى وأبى حازم^(٥) .
- ٣٧٥ - عمر بن قيس . سندل مكى . عن الزهرى وعطاء وعمرو بن دينار .
- ٣٧٦ - عمر بن راشد اليمامى . عن يحيى بن أبى كثير .
- ٣٧٧ - عمير بن عمران الحنفى . عن علاء بن خالد والعلاء يعتبر به .
- ٣٧٨ - عمارة بن جوين . أبو هارون العبدى متلون خارجى وشيعى يصلح أن يعتبر له بما يرويه عنه الثورى والحمادان^(٦) .

(١) انظر ميزان الاعتدال ١٩٧/٣ .

(٢) انظر ميزان الاعتدال ٢٢٤/٢ .

(٣) انظر ميزان الاعتدال ٢١٦/٢ .

(٤) قال الذهبى : قال الدارقطنى ، متروك ، ميزان الاعتدال ٢١١/٣ .

(٥) قال الذهبى : قلت هو عمر بن صهبان نسب إلى جده ، ميزان الاعتدال ٢٢٠/٣ .

(٦) قال الذهبى : قال الدارقطنى ، متلون خارجى وشيعى فيعتبر بما روى عنه الثورى ، ميزان الاعتدال ١٧٣/٣ .

- ٣٧٩ - عمارة بن زاذان الصيدلاني . بصرى عن ثابت وأبى غالب جزور^(١) .
 ٣٨٠ - عباد بن جويريه بصرى . عن الأوزاعى .
 ٣٨١ - عباد بن كثير بصرى . نزل مكة عن الحسين .
 ٣٨٢ - عباد بن كثير . رملى فلسطينى . عن البصريين وعن قتيلة عن ابنها .
 ٣٨٣ - عمرو بن جابر أبو زرعة . مصرى تابعى عن جابر .
 ٣٨٤ - عمرو بن جميع . كوفى . وكان بحلوان .
 ٣٨٥ - عمرو بن عطية العوفى . ضعيف .
 ٣٨٦ - عمرو بن أبى روق^(٢) .
 ٣٨٧ - عطيه بن الحارث . ضعيف .
 ٣٨٨ - عمرو بن الحصين العقيلى . متروك عن الأعمش ويحى بن سعيد وابن

جريح .

- ٣٨٩ - عمرو بن زياد الثوبانى . يضع الحديث .
 ٣٩٠ - عمرو بن عثمان الكلابى . ضعيف .
 ٣٩١ - عمرو بن واقد دمشقى . عن عمر بن يزيد البصرى ويونس بن مسرة^(٣) .
 ٣٩٢ - عمرو بن الأزهر بصرى . قاضى جرجان كذاب . عن البصريين .
 ٣٩٣ - عبيد بن القاسم كوفى ضعيف .
 ٣٩٤ - عبيد بن إسحاق العطار . كوفى ضعيف .
 ٣٩٥ - عمرو بن جرير أبو سعيد البجلي . كوفى . عن محمد بن عمرو واسماعيل بن

أبى خالد^(٤) .

- ٣٩٦ - عمرو بن قائد بصرى . قد روى عن بصريين ومكيين ومدنيين .
 ٣٩٧ - عمرو بن شمر أبو عبد الله . كوفى . عن جابر وعن جعفر بن محمد .
 ٣٩٨ - عمرو بن عبيد أبو عثمان . بصرى عن الحسن .

(١) قال الإمام أحمد : كذاب ، ديوان ١٦٠ .

(٢) قال الذهبى : اسم أبيه عطيه ضعفه الدارقطنى ، ديوان ٢٣٥ .

(٣) قال ابن حجر : متروك من السادسة - دق - تقريب التهذيب ٢٦٣ .

(٤) قال الذهبى : متهم واه ، ديوان ٢٣٤ .

- ٣٩٩ - عمرو بن ثابت بن هرمز. أبو المقدام. كوفي (١).
- ٤٠٠ - عمرو بن خالد أبو خالد الواسطي. كذاب. عن أبي هاشم الرماني وزيد بن علي.
- ٤٠١ - عثمان بن عبد الرحمن يعرف بالوقاصي مدني. عن الزهري وابن أبي مليكة.
- ٤٠٢ - عثمان بن مقسم البري بصري. أبو سلمه عن يحيى بن سعيد وهشام بن عروة (٢).
- ٤٠٣ - عثمان بن عمير أبو اليقظان. كوفي. عن أبي الطفيل وسعيد بن جبير.
- ٤٠٤ - عثمان بن مطر بصري. عن ثابت.
- ٤٠٥ - علي بن يزيد الدمشقي. أبو عبد الملك بن القاسم.
- ٤٠٦ - علي بن أبي علي اللهبي. مكى. عن ابن المنكدر وجعفر بن محمد والزهرى.
- ٤٠٧ - علي بن حزور. وهو ابن أبي فاطمة. كوفي عن أصبغ بن نباته وأبي مریم الحنفى (٣).
- ٤٠٨ - علي بن ظبيان. كوفي عن عبيد الله بن عمر وأبي حنيفة.
- ٤٠٩ - عاصم بن سليمان الكوزى. بصري كذاب. عن هشام وغيره.
- ٤١٠ - عيسى بن أبي عيسى الحنات. مدني. عن الشعبي وأخوه موسى بن أبي عيسى صالح الحديث واسم أبي عيسى ميسره (٤).
- ٤١١ - عيسى بن ميمون. عن القاسم بن محمد وهشام بن عروه.
- ٤١٢ - فأما عيسى بن ميمون المكي. فهو ثقة يعرف بابن دايه يروى عن ابن أبي نجيج سكن البصرة.
- ٤١٣ - عيسى بن قرطاس. كوفي عن عكرمه والنخعي.
- ٤١٤ - عيسى بن هاشم البري. أبو معاوية.
- ٤١٥ - عيسى بن المسيب. كوفي. عن عطية والشعبي.

(١) قال الذهبي : تركوه، ديوان ٢٣٤ .

(٢) قال الذهبي : كذبه جماعة ديوان ٢١١ .

(٣) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف، ويقال له علي بن أبي فاطمة يدللس بذلك، ميزان الاعتدال ١١٨/٣ .

(٤) قال الذهبي : عيسى بن أبي عيسى ميسرة المدني الحنات وهو الخياط. والخياط، ميزان الاعتدال ٣٢٠/٣ .

- ٤١٦ - عيسى بن مهران المستعطف . بغدادى . رجل سوء ومذهب سوء . روى عنه ابن جرير الطبرى (١) .
- ٤١٧ - عنيسة بن سعيد أخو الربيع السمان اشعث بن سعيد . ضعيف . عن الزهرى .
- ٤١٨ - عيسى بن ميمون بصرى . أبو عبيدة عن يزيد الرقاشى ويحيى بن أبى كثير .
- ٤١٩ - عنيسة بن عبد الرحمن القرشى . أظنه بغدادى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن نافع .
- ٤٢٠ - عقبه بن عبد الله الرفاعى . الاصم بصرى عن عطاء بن أبى رباح والحسن .
- ٤٢١ - عطاء بن عجلان بصرى . عن أنس وأبى ضمرة (٢) .
- ٤٢٢ - عباس بن بكار الضبى بصرى . كذاب .
- ٤٢٣ - عباس بن الفضل الانصارى موصلى . ضعيف .
- ٤٢٤ - عطف بن خالد المخزومى مدنى . ضعيف (٣) .



(١) قال الخطيب : كان من شياطين الرافضة ومردتهم وقع إلى كتاب من تصنيفه فى الطعن على الصحابة وتضليلهم واكفارهم وتفسيقهم فوالله لقد وقف شعرى عند نظرى فيه ، وعظم تعجبنى مما أودع ذلك الكتاب من الاحاديث الموضوعه . تاريخ بغداد ١٦٧/١١ .

(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى . ضعيف لا يعتبر به وقال مرة متروك ، ميزان الاعتدال ٧٥/٣ .

(٣) فى أصل المخطوط عطف بن خالد العزرمى ، والتصويب من كتب الرجال ، انظر ميزان الاعتدال ٦٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٤٠ .

المروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم :

ما تعدون المروءة؟

قالوا :

العفاف وإصلاح المعيشة .

وقيل للأحنف :

ما المروءة؟

قال :

العفة، والحرفة .

وقال :

لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيء الخلق .

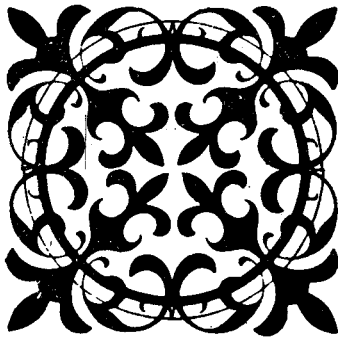
وقال العتبي عن أبيه :

لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس :

أن يكون عالما، صادقا، عاقلا، ذا بيان، مستغنيا عن الناس .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل





رسائل لم يحملها البريد

أختي العزيزة هل !

أستاذ مساعد بكلية الشريعة

أختي العزيزة هل :

في رسائل التسع السابقة كان حديثي إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على «لم» النافية الجازمة للفعل المضارع، وقد انتهى ذلك الحديث واكتمل، أما في رسالتي العاشرة هذه فسوف أحدثك عن شيء جديد هو حالي مع لا النافية للفعل المضارع .

لقد جئت أنا همزة الاستفهام مع لا النافية هذه على صور متعددة وصيغ مختلفة كان أكثرها وروداً ﴿أفلا تعقلون﴾ ، فقد جاءت هذه الصيغة في أربع عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ الآية (٤٤) من سورة البقرة .

وقد نزلت هذه الآية في أحبار اليهود من زمن الرسول ﷺ ، كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وعمل الخير واتباع ما جاء في التوراة - وفيها صفة الرسول ﷺ والأمر بتصديقه - ثم هم لا يتبعون ما جاء فيها، مع أنهم يقرءونها ويعلمون ما اشتملت عليه .

وفي هذه الآية ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الأحبار ويوبخهم وينعى عليهم أن يجمعوا بين هاتين الحالتين : أن يأمروا الناس بالبر وأن يتركوا هم أنفسهم فعله، مع أنهم يتلون التوراة وفيها النهي عن هذا الوصف الذميمة، غير أن معنى الإنكار والتوبيخ عام يشمل كل ما يسلك سبيل أولئك الأحبار فيخالف عمله قوله : يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويأتيه .

وقد ختمت هذه الآية بقوله تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ، يخاطب الله سبحانه وتعالى به أحبار اليهود أولئك، وينكر عليهم انتفاء العقل عنهم وقبح إدراكهم وسوء تفكيرهم، ويوبخهم على ذلك ويقرع . إذ لو كان فيهم إدراك سليم وفهم مستقيم لمنعهم ذلك من قبح ما ارتكبوه من أمر غيرهم بالبر وإمساك أنفسهم

عنه، فحالمهم هذه حال من سلب عقله، لأن العاقل يسعى أولاً إلى تحصيل الخير لنفسه، ثم بعد ذلك إلى تحصيل الخير لغيره .

الآية الثانية قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الآية (٧٦) من سورة البقرة .

تبين هذه الآية الكريمة أن منافقي اليهود في المدينة زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون للذين آمنوا إذا لاقوهم قد آمنوا بما أمتم به، ويذكرون لهم أن سبب إيمانهم ما وجدوه في التوراة من نعت النبي ﷺ والتبشير به، وإذا خلا اليهود بعضهم إلى بعض بعيداً عن المؤمنين أخذ الفريق الذي لم يؤمن ولم يوافق ينكر على الفريق الآخر المناق أن يحدثوا المؤمنين بأن التوراة قد ذكرت صفة النبي ﷺ وبشرت به، لأن عاقبة ذلك أن يكون للمؤمنين في هذا الحديث حجة عليهم عند ربهم، ثم يخطمون إنكارهم قائلين لهم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكرون عليهم عدم التعقل ويوبخونهم على غروب الفهم السليم عنهم ﴿ فيما يزعمون ﴾ ، ويقرعونهم على انتفاء الإدراك القويم ﴿ فيما يظنون ﴾ ، إذ لو كان لديهم بصر في الأمور وحسن إدراك للعواقب ما حدثوا ذلك الحديث الذي يكون حجة للمؤمنين على المنافقين عند الله يوم يقوم الحساب .

الآية الثالثة قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الآية (٦٥) من سورة آل عمران .

جاء في تفسير ابن كثير : (ج ١ ص ٣٧٢) : عن ابن عباس رضی الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده . فقالت الأخبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ . . . الآية . أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهودياً وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . اهـ ماجاء في تفسير ابن كثير .

فهذا الاستفهام ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك اليهود والنصارى ادعاء كل منهم أن إبراهيم عليه السلام كان على شريعته، والحال أن شريعتيهما متأخرتان عنه في الوجود، فكيف يكون إبراهيم على إحداهما مع تقدمه عليهما .

وهو أيضا استفهام توبيخ على ذلك الادعاء، لأنه ادعاء من لا يعقل، إذ أن العقل يمنع من ذلك لاستحالته، فما هو إلا غلط وخلط ومكابرة .

الآية الرابعة قوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ الآية (٣٢) من سورة الأنعام .

﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله جل وعلا على المكذبين بالبعث القائلين ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ ويوبخهم على انتفاء العقل عنهم وعدم التدبر والتفكير في حال الدنيا وحال الآخرة :

في أن الحياة الدنيا لعب وهو، ليس لها نفع يدوم، وليس من ورائها طائل، فالانصراف إلى اللعب واللهو فيها اشتغال بما لاغنى فيه ولا فائدة من ورائه .

وفي أن الحياة الآخرة هي خير للذين يتقون الله بطاعته واجتناب معاصيه، فالآخرة هي التي تدوم وتبقى، لا يدركها فناء ولا موت، فالاشتغال بأعمالها والانصراف إلى ما ينفذ فيها هو ما يقتضيه العقل السليم والنظر الثاقب .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿وقطعناهم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨)﴾ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ - الآيتان (١٦٨-١٦٩) من سورة الأعراف .

تقدم ما تضمنته هاتان الآيتان الكريمتان في الرسالة التاسعة عند بيان معنى الاستفهام في قوله تعالى ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ . . . الآية .

أما الاستفهام الذي جاء في قوله تعالى : ﴿أفلا تعقلون﴾ فهو استفهام إنكار وتوبيخ لهؤلاء الخلف من اليهود الذين ورثوا التوراة عن أسلافهم يأخذون العرض الأدنى والرشا الخسيسة على أحكامهم المخالفة لما جاء في التوراة ويقولون سيغفر لنا الله .

إنكار وتوبيخ لهم أن لم يدركوا أن ما عند الله في الدار الآخرة خير للذين يتقون ربهم فيحكمون بين الناس بالعدل ، خير لهم من هذا العرض الأدنى والرشا الخسيسة التي يستعجلونها في هذه الدنيا بالحكم على خلاف ما أمر الله ، والقضاء بين الناس بالكذب المفترى على التوراة .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما

يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴿١٦﴾ - الآيتان (١٥ - ١٦) من سورة يونس .

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أن كفار قريش الذين لا يؤمنون بالبعث كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم حين يتلو عليهم آيات من القرآن واضحات نيرات ليس فيها لبس ولا غموض ، كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا القرآن الذى تتلوه علينا أو بدل بعض آياته وغير من أنماطه ، فيقول لهم الرسول ﷺ لا أستطيع أن أفعل ذلك من قبل نفسى ، فأنا لا أتبع إلا ما يوحى إلى من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تحريف ولا افتراء ، أنا عبدٌ مأمورٌ مبلغٌ ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم .

وفي الآية الثانية أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار محتجا عليهم موبخا لهم : لو شاء ربي ما تلوت هذا القرآن عليكم ولا أعلمكم به على لسانى ، فأنا أتلوه عليكم بمشيئته تعالى ، فما هذا التكذيب الذى تكذبون ، لقد لبثت فيكم من قبل هذا أربعين سنة أو تزيد ، تشهدون لي بالأمانة والصدق ، لم تأخذوا على نقيصة ولا غمصاً ، فكيف أصبح فجاءة كاذبا على الله بهذا القرآن . لقد ضاعت عقولكم ، وسقم فهمكم ، وساء تفكيركم ، وضل عنكم الهدى والرأى أيها المكذبون .

فلا استفهام فى قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المشركين ويوبخهم على أن لم يعقلوا أن من لبث فيهم عمراً طويلاً لم يأخذوا عليه نقيصة ، ولم يرتكب فيهم إثماً ، ولم يأت شيئاً من هذا اللهو والعبث - لا يمكن بعد هذا أن يفترى على الله الكذب ، وأن يدعى أنه رسول ، وأن يجيء بهذا القرآن العظيم من عنده .

الآية السابعة فى قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرني أفلا تعقلون ﴾ . (٥١) - الآيتان (٥٠ - ٥١) من سورة هود .

﴿ أفلا تعقلون ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر هودٌ عليه السلام على قومه ويوبخهم أن لا يعقلوا أن من ينصح قومه وهم أقرب الناس إليه لا يبتغى من وراء ذلك أجراً منهم ، وإنما يبتغى ثواباً من عند الله الذى خلقه - ينبغى أن يصدقوه حين ينصح لهم أن ينبذوا الأصنام ، وأن يستجيبوا إلى ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده ، وأن يؤمنوا بأنه رسول الله إليهم .

الآية الثامنة قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ . الآية (١٠٩) من سورة الكهف .

تتضمن هذه الآية الكريمة : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ، فلم يكونوا نساء ولا ملائكة ولا أعرابا ، فإرسالنا إياك ليس بدعا بين الرسل . ثم ينكر الله سبحانه وتعالى على المكذبين بمحمد ﷺ ويوبخهم على أن لم يسيروا في الأرض فينظروا الدمار والهلاك والعذاب الذى حل بالأمم التى كذبت الرسل ، فيعتبروا ويؤمنوا وينالوا بإيمانهم نعيم الآخرة الذى هو خير وأبقى .

وفى ختام هذه الآية يقول جل وعلا ﴿أفلا تعقلون﴾ ، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المكذبين ويوبخهم على أن لم يكن لهم عقول تتدبر وتفكر ، وتنظر فى عواقب الأمور وتبصر ، فترى كيف كان عاقبة المكذبين بالرسل من قبل ، فتؤمن بدل أن تكفر ، وتصدق برسول الله ﷺ بدل أن تكذب هذا التكذيب القائم على الجهل والعناد وسوء الفهم وضياح العقل السليم .

الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ الآية (١٠) من سورة الأنبياء .

﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على كفار قريش ويوبخهم على إغفالهم التعقل والتفكير وتركهم النظر والتدبر فيما جاء فى هذا القرآن العظيم الذى أنزله جل وعلا إليهم وفيه موعظة وتذكرة لهم .

الآية العاشرة فى قوله تعالى : ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم﴾ (٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ . (٦٧) الأيتان : (٦٦) - (٦٧) من سورة الأنبياء .

تتضمن هاتان الأيتان الكريمتان أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه الذين يعبدون الأصنام موبخا لهم : أتعبدون أصناما لا تستطيع أن تأتى بشيء من الخير ، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ولا عنكم شيئا من الضر ، وتركون عبادة الله القادر على كل شيء ؟ ! . ثم أظهر تضجره منهم ومن أصنامهم فقال : قبحاً لكم ولهذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، وختم قوله بهذا الاستفهام ﴿أفلا تعقلون﴾ ، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر عليهم ويوبخهم ألا يعقلوا ويفهموا قبح ما يفعلون ، قبح عبادة أصنام لا تعقل ولا

تملك القدرة على القول، ولا تستطيع أن تجلب لهم أولئفسها الخير، ولا أن تدفع عن نفسها
أوعنهم الشر، وقبح ترك عبادة الخالق الرازق القادر على كل شىء .
الآية الحادية عشرة في قوله تعالى : ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة
قليلا ما تشكرون (٧٨) وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون (٧٩) وهو الذى يحيى
ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ . الآيات (٧٨ - ٨٠) من سورة
المؤمنون .

تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله جل وعلا قد أنشأ للناس السمع
والأبصار والأفئدة، وجعل فيها من المنافع الدينية والديوية ما يفوق العدّ والوصف، فهى من
أعظم النعم التى أنعمها الله تعالى على عباده، فكان حقاً عليهم أن يُعملوا هذه الأعضاء
فيما خلقها الله جل وعلا من أجله، فيسمعوا آياته التى تسمع، ويبصروا آياته التى تبصر،
ويستدلوا بقلوبهم على أن الذى خلق هذه الآيات كلها واحد لا شريك له، فيشكروا له عز
وجل هذه النعم ومن شكر النعم الإقرار بالمنعم بها ونفى الند والشريك له، ولكن الناس
قليلا ما يشكرون الله تعالى وهو الذى خلقهم فى هذه الأرض وبثهم فيها وإليه يرجعون
ليجازيهم على أعمالهم . وهو الذى يحيى ويميت، وهو الذى جعل الليل والنهار يتعاقبان فى
دقة وإحكام، ويختلفان على تقدير وانتظام، وفى ذلك عبرة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .
وفى ختام هذه الآيات قال تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر
الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون، ينكر عليهم ألا يكون عندهم عقل
يفكر وينظر ويستبصر وقلب يفقه، ويوبخهم على أن لم يتدبروا آيات الله التى يسمعون،
وآياته التى يبصرون، ومنها آية الليل ليسكنوا فيه وآية النهار المبصر ليبتغوا فيه من فضله،
يتعاقبان بدقة ويختلفان بانتظام، ويتواليان بحساب فلا خلل ولا اضطراب، يوبخهم على
أن لم يتدبروا ذلك فيدركوا أن الله الذى خلق هذه الآيات وهو الذى يحيى ويميت هو الواحد
الذى لا شريك له، وهو القادر على أن يعيد الحياة مرة ثانية إلى من أماته بعد إحيائه أول
مرة .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما
عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ . الآية (٦٠) من سورة القصص .
تتضمن هذه الآية الكريمة أن ما تُعطونه أيها الناس من أشياء حسنة طيبة تفرحون بها
وتستمتعون، وأشياء جميلة تتخذونها زينة لكم تتباهون بها وتفخرون، أمدها قليل لا يطول
ولا يعمر وسرعان ما تولى وتدبر .

أما ما عند الله من الثواب الذى أعده لعباده المؤمنين فهو الدائم الباقي لا يفنى ولا يندثر .

وقوله تعالى فى ختام هذه الآية ﴿ أفلا تعقلون ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر عليهم ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن نعيم الآخرة الذى لا انقضاء له ولا فوت ، ولا فناء معه ولا موت ، خير لهم من طيبات هذه الحياة الدنيا وزينتها ، تلك التى لا تدوم لهم ولا يدومون لها . فأين العقول السليمة التى تحسن الاختيار ، فتؤثر نعيم دار القرار على نعيم دار الزوال .

الآية الثالثة عشرة فى قوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ﴾ (٦٦) ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون (٦٧) ومن عمره نكسه فى الخلق أفلا يعقلون ﴾ . الآيات (٦٦ - ٦٨) من سورة ياسين . تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله سبحانه وتعالى لو يشاء أن يعمى الكافرين جزاء كفرهم لأعماهم فما استطاعوا أن يبصروا الطريق الذى يريدون ولا الجهة التى يسلكون .

ولو يشاء أن يقعدهم فى مساكنهم وأن يفقدهم قواهم فى منازلهم جزاء كفرهم لفعل ، فما استطاعوا ذهاباً إلى أمام ولا رجوعاً إلى خلف . ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يطمس على أعينهم ولا أن يمسخهم على مكانتهم رحمة منه تعالى بهم وإمهالاً لهم .

وتتضمن أيضاً أن كل من يطيل الله عمره ينكسه فى الخلق فيرده بعد أن بلغ أشده إلى حال شبيهة بحال الطفولة فى ضعف البنية وقلة التمييز والإدراك فلا يعلم من بعد علم شيئاً .

وفى ختام الآية الثالثة قال تعالى ﴿ أفلا يعقلون ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الكافرين ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن الله القادر على أن ينكس العمر فى الخلق قادر - لو يشاء - أن يطمس على أعينهم وأن يمسخهم على مكانتهم جزاء كفرهم ، فالله على كل شىء قدير .

الآية الرابعة عشرة فى قوله تعالى : ﴿ وإن لوطا لمن المرسلين ﴾ (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) ؛ إلا عجوزاً فى الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا يعقلون ﴾ (١٣٨) . الآيات (١٣٣ - ١٣٨) من سورة الصافات .

قوله تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على كفار مكة ويوبخهم أن يغرب عنهم العقل وأن يغيب عنهم التدبر والتفكير وإنهم ليمرون على ديار قوم لوط ليلا ونهارا وهم في طريقهم إلى الشام للتجارة، فلا يعتبرون بتدمير تلك الديار على أهلها قوم لوط جزاء كفرهم وتكذيبهم رسولهم، وانغماسهم في المعاصي الخبيثة التي كانوا يفعلون .

أختى العزيزة هل :

أكتفى بهذا الذي كتبت من هذه الرسالة، وأسأله تعالى أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والنفع والسداد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أختك

همزة الاستفهام

المراجع

١ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض ج ١ ص ١٨٢ / ج ١ ص ٢٧٢ / ج ٢ ص ٤٨٤ / ج ٤ ص ١٠٨ / ج ٤ ص ٤١٧ / ج ٥ ص ١٣١ / ج ٥ ص ٢٣٢ / ج ٥/٣٥٢ / ج ٦ ص ٢٩٩ / ج ٦ ص ٣٣٦ / ج ٦ ص ٤١٧ / ج ٧ ص ١٢٧ / ج ٧ ص ٣٤٥ / ج ٧ ص ٣٧٤

٢ - تفسير أبي جعفر بن جرير الطبري - الناشر : شركة الحلبي بمصر - الطبعة الثالثة : ج ١ ص ٢٥٨ / ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٣ ص ٣٠٤ / ج ٧ ص ١٨٠ / ج ٩ ص ١٠٧ / ج ١١ ص ٩٥ / ج ١٢ ص ٥٧ / ج ١٣ ص ٨٠ / ج ١٧ ص ٤٢ / ج ١٨ ص ٤٦ / ج ٢٠ ص ٩٦ / ج ٢٣ ص ٢٥ / ج ٢٣ ص ٩٧ .

٣ - تفسير أبي السعود - الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة : ج ١ ص ٩٧ / ج ١ ص ١١٧ / ج ٣ ص ١٢٥ / ج ٣ ص ٢٢٨ / ج ٤ ص ١٢٨ / ج ٤ ص ٤٠٤ / ج ٦ ص ٧٦ / ج ٦ ص ١٤٦ / ج ٧ ص ٢٠ / ج ٧ ص ١٧٧ / ج ٧ ص ٢٠٥ .

٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين - الناشر : الحلبي

بمصر :

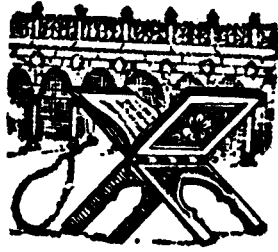
ج ١ ص ٤٧ / ج ١ ص ٦٨ / ج ٢ ص ٢٢ / ج ٢ ص ٢٠٦ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٢ ص ٤٨٧ / ج ٣ ص ١٢١ / ج ٣ ص ١٤٦ / ج ٣ ص ٥٥٢ .

٥ - تفسير ابن كثير - الناشر : الحلبي بمصر :

ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٢ ص ٢٦٠ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٣ ص ٢٥١ / ج ٤ ص ٢٠ .

٦ - تفسير الكشاف للزخشري - الناشر : الحلبي بمصر :

ج ١ ص ٢٧٧ / ج ٢ ص ٢٧٥ / ج ٣ ص ٤٠ / ج ٣ ص ٣٢٩ .



رديلة السعاية

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوّة . فقال لأصحابه : إذا شتمت فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك : إياك . أن تمدحني فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إليّ بأحد ، وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلني يا أمير المؤمنين .

الشاعر الإسلامي

أحمد محرم في رأي النقاد

-٢-
للككتور صلاح الدين محمد عبد التواب
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

لم يكن ديوان (مجد الإسلام) للشاعر أحمد محرم هو كل ما صدر عن ذلك الشاعر الذي أجله معاصروه فقد كان له بجانب ذلك ديوان كبير في جزأين (صدر الجزء الثاني منه في سنة ١٩٢٠م) وهو في شعره يصدر عن نزعة إنسانية محبة للحق وللخير وللتألف، وقد أذكى من هذه النزعة في نفسه ما استقاه من دينه الإسلامي دين الفطرة الخالصة . . فهو في كل ما يعبر عنه إنما يصدر عن تلك النزعة التي كانت تثب لتعلن عن نفسها دائماً في شعره، من مثل قوله في حائثه المشهورة التي يحث فيها على نبذ التناحر والشقاق والعودة إلى حياة الحب والإخاء :

فيم التناحر والخلائق أخوة
والدهر سمح والحياة خصيبة
أنظّل في الدنيا يفرق بيننا
ما بالننا نشقى لتنعّم عصبية
والعيش حق للجميع مباح؟
والرزق جمّ والبلاد فساح
بُغضٌ ويجمعنا وغى وكفاح؟
ملكّت، فلا رفق ولا إسجاح؟

ومن مثل قوله في الدعوة إلى الإتحاد وضم الصفوف: (١)

ليس الشقاء بزائل عن أمة
من لى يشعب في الكنانة لا القوى
متألب بيغى الحياة كأنه
حتى يزول تفرق وتحزب
تنشق منه ولا الهوى يتشعب
جيش على أعدائه يتألب

ثم هاهو ذا يؤكد أنه لا عز ولا قوة ولا إستقرار إلا في التمسك بالدين وقيمه والعمل

بمبادئه فيقول: (٢)

(١) ديوان محرم ج-٢ ص ١٢٥ .

(٢) ديوان محرم ج-١ ص ١١٣ .

هل الدين إلا معقل نحتمى به
هو الدين إن يذهب فلا عز بعده
ولا دين حتى ينزعوا عن ضلالهم
وحتى يصونوا للكتاب زمامه
هنالك يقوى منهم ما تضععا

إذا دلف العادى إلينا فأسرعا
وإن جدَّ ساعينا على إثر من سعى
ويصبح منهم موطن الغى بلقعا
وحتى يكونوا ساجدين وركعا
ويثبت من بنيانهم ما تزععا

* * *

ومن أجل الدعوة إلى قيام جامعة عربية قوية^(١) كانت صرخة الشاعر محرم:

أمم العروبة جاء يومك فاعلمى
لك في فم الأحداث دعوة صارخ
فدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى
ضمي القوى وتجمعى في وحدة
هذا زمان ليس يفهم أهله
كثرت لغات العالمين وهذه
والعدل أكثر ما يكون حديثه
أم العروبة جد جدك فانظمى
لك أن تسودى تحت رايتك التى

وإلى مكانك فانضى وتقدمى
ينفى القرار عن الشعوب النوم
وخذى السبيل إلى المقام الأعظم
عربية تحمى اللواء وتحتمى
إلا حديث النار أو لغة الدم
أوفى بياناً فى اللسان وفى الفم
أنشودة الجانى ودعوى المجرم
من عقدك المنثور مالم ينظم
خفقت لها الدنيا فسودى وأسلمى

* * *

بهذه الروح العالية المتوثبة . . . وبتلك الشاعرية الفياضة المتدفقة جاء شعر أحمد محرم، سواء ما جاء منه فى الديوان بجزئيه أو ما هتف به فى ديوانه (مجد الإسلام) وهو يمضى فى إتجاه جيل بأكمله أتى بعد البارودى وهو جيل الشعراء المحافظين، حيث حرص ذلك الجيل على رصانة الشعر وقوته وسلامة قافيته مع الإحتفاظ بالنغم الموسيقى واللفظ المنتقى ووضوح المعنى وإشراق الصورة، والسير على نهج الأقدمين فى نظام القصيدة وأغراض الشعر إلا ما اقتضته ظروف البيئة والعصر .

(١) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د: محمد محمد حسين ص ١٧٥ - ١٧٦ .

ولقد برز من الأدباء والنقاد في عصرنا الجديد من قَدَّرَ شاعرية أحمد محرم . . من أمثال خليل مطران الذي كان ينعت أحمد محرم «بشاعر العربية الفحل وأديبها الكبير». (١) .

كما يقول ولي الدين يكن: «أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب، وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم، وصار ملكة في طبعه، وليس في طبع الشعراء طبع أدل من طبعه وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء، بل فاق كثيرا من القدماء في معانيه، فكذلك أحمد محرم وحافظ فاقتا النظراء، بل فاقتا كثيرا من القدماء في ألفاظها وتراكيبها. . وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: أن خليلا أبلغ شعراء زماننا، وأن محرمًا وحافظ أفصحهم» (٢) .

أما رأي (أحمد زكي أبوشادي) في الشاعر أحمد محرم فيأتي من خلال تعقيبه على الكلام السابق لولي الدين يكن فيقول: «بيد أن الشعر ليس مسألة فصاحة ألفاظ، ومهما يكن الجرس الموسيقي رائعاً في شعر محرم، ومهما تكن فصاحته ناصعة وديباجته مشرقة، فليس شيء من هذا بالذي يكفي وحده ليخلق له منزلة فنية، وإنما الذي خلق له تلك المنزلة - قبل كل اعتبار آخر - حرارة عاطفته، وحرارة إيمانه القوي، وتذوقه الجمال، وتحليق خياله، وذكائه الخارق الذي يجعل تأملاته عميقة نافذة» (٣) .

ثم يعود (أبوشادي) بعد تعقيب على بعض أشعار أحمد محرم فيقول: وشاعرنا المعلم الحكيم المربي لأمته، المدافع عن بيضة الإسلام . . والمتصرف في فنون البلاغة تصرفاً أجله أمثال الرافعي وعبد المطلب والجارم، كما تأثر به جيل لاحق من أمثال أحمد رامي وعلي محمود طه وعزيز أباظه - هو هو عينه الشاعر المستقل الرومانطيقي، المفصح عن شخصيته النبيلة في جميع شعره، شأن الشاعر الحر المطبوع، وقد نوه الشاعر الجهير حسن كامل الصيرفي في عبقريته فقال: «إني لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل، وإلى جانب هذه الموسيقى التي يتساءل عنها في قصيدة (وجودي) والتي يلمس تأثيرها في أنفاس قرائه فيقول:

(١) شعراء العرب المعاصرون: أحمد زكي أبوشادي ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) شعراء العرب المعاصرون ص ٤٩ - ٥٠ .

أمن أدبي تبيت الطير تبكى فما أدبي : أشدُّ وأم رنين ؟

تتجلى تلك الديباجة العالية وتلك الجزالة السامية التي يقدرها فيه أدباؤنا ولن أكون إلا محققاً حين أقول أنه كان يمتاز على حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه، إلا أن مرض الشرق الذي يظمىء الفنان الموهوب، والالتفات الدائم إلى صوتٍ أو صوتين دون أن يلتفت إلى بقية الأوتار الجميلة التي تؤلف أنشودة الخلود حالاً دون التقدير الكافي لشاعرية أحمد محرم»^(١).

ولعل الشاعر الناقد حسن كامل الصيرفي يثير في قوله السابق إلى بعض الآراء الأخرى التي تغمط الشاعر أحمد محرم حقه ولا تقدره قدره ولا تنظر إلى شعره عامة أو إلى شعره في ديوانه (مجد الإسلام) خاصة نظرة عدل وإنصاف .

ولقد كان الدكتور شوقي ضيف من الذين لا يرون في ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم ما يستحق أن يقدر له من حيث الشاعرية . . . وكان أن عرض نماذج لبعض أشعاره ثم عقب عليها في النهاية بقوله: ^(٢) «وأكبر الظن أنه وقد اتضح لنا الآن صوت «محرم» في هذه الإلياذة بكل سماته وخصائصه، فهو لا يكتب ملحمة كالملاحمة التي كتب فيها «هومير وس» إلياذته، إنما يكتب أو قل ينظم سيرة الرسول، وفرق بين نظم السير والشعر القصصي، ذلك لأن الأول عمل آلي، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعراً، أو قل: يحوله نظماً، وهو لذلك لا يعالج حرباً ولا ملحمةً يعيشها وإنما يعالج سيرةً مطولة فيها الحرب وفيها غير الحرب .

ثم هذه الإلياذة الإسلامية كما سماها «محرم» لا تتناول حرباً واحدة من حروب الرسول، وإنما تتناول مجموعة كبيرة من حروبه، وهي تقف عند كل حرب فتعرضها علينا عرضاً تاريخياً صادقاً ما أمكن، فيكون تاريخ ولا يكون شعر، ولا يكون شاعر له انطلاقاته الواسعة، ومن أين يكون الشعر والشاعر وقد حدد نفسه بحقائق التاريخ يحصيها في إيجاز بالغ، حتى وكأنه يؤلف متناً من متون التاريخ، فلا شرح ولا حاشية من خيال وحلم يمثل لنا مشاهد الموقعة وكأنها تبعث من جديد بتفاصيلها، إنما هي المشاهد نفسها تصاغ من جديد» .

(١) شعراء العرب المعاصرون أحمد زكي أبو شادي ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) دراسات في الشعر العربي المعاصر. د. شوقي ضيف ص ٥٤ - الطبعة السادسة .

ثم في معرض المقارنة بين «الإلياذة» لهوميروس ، وديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم يقول الدكتور شوقي ضيف : «وهذا هوميروس لم ينظم الآلاف المؤلفة من إلياذته في حرب طروادة كلها التي ظلت عشر سنوات طويلاً ، وإنما نظمها في حوادث سنتها الأخيرة ، وأفسح لخياله في العدو والانطلاق ، فإذا هويطينا هذا العمل الخالد ، ولست أقصد الحقيقة التاريخية كما هي ، وإنما أقصد حقيقة فنه التي لا تنحرف بالتاريخ ولا تختلف معه ، ومع ذلك فهي أروع منه ومن حقائقه الجافة . . . وهل من شك في أن «الإلياذة» محرم جافة جفافاً شديداً وأنه لم يستطع أن يدخل على التاريخ المرقم في سيرة الرسول الزكية حياة وجمالاً؟ . . . أنها لا تزال كما هي في كتب السيرة ، لولا أن خصائصه كشاعر غنائي تظهر من حين إلى حين ، ولكن الكثرة يظل فيها التاريخ ويظل فيها الإحصاء ، وتظل الأرقام ، يظل كل ذلك كما هو بدون أى تعديل أو اختلاف» (١) .

ثم يعود الدكتور شوقي ضيف ليضيف : «والخلاصة أن إلياذة (محرم) ليست كما يظن حدثاً جديداً في أدبنا بل هي عمل مسبق ، وأن من الخطأ أن نسميها أو يسميها صاحبها إلياذة ، وإنما هي مجموعة من القصائد في سيرة الرسول وغزواته ، وهي أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر مثيرة ولا صور حية ناضرة ، فلا تقرؤها حتى تحس أنها زاخرة بالفتور ، وسرعان ما يملؤك السأم والملل ، وهي لذلك شئ بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي الجاف» (٢) .

تلك بعض أقوال الدكتور شوقي ضيف في نقده لشعر أحمد محرم وبخاصة ما جاء في ديوان (مجد الإسلام) . . . ولى في هذا النقد ملاحظات . وأولى هذه الملاحظات أن الشاعر أحمد محرم لم يدع أن شعره في ديوانه من الشعر القصصي ولم يرفيه أحد ذلك حتى ينقده الدكتور شوقي ضيف على أنه من الشعر القصصي . . . وواضح أن شعر محرم من ذلك النوع الغنائي الذي يبعث الشاعر فيه مشاعره وإحساساته إزاء ما تأثر به من مواقف وأحداث تستدعي الوقوف والتأمل ثم التعبير بما تجود به القريحة وما تفيض به الشاعرية ثم إنه لم تكن هناك في شعر محرم تلك الآلية التي تحول التاريخ شعراً كما يقول الدكتور ضيف ، وأين تلك الآلية عندما يقف الشاعر أحمد محرم - مثلاً - عندما تهزه من أعماقه تلك البطولات الفذة التي تجلت في مواقف شهداء بدر حيث يقول فيهم : (٣)

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) ديوان مجد الإسلام ص ٥٤ .

والثم بأفياء الجنان تراها
فانشق وصف للمؤمنين شذاها(١)
من نور رب العالمين سناها
عزا لهم من دونه أو جاها
موتا إذا نشروا البنود طواها
المصطلين من الحروب لظاها
يغنون عند إلههم محياها
دينا ولا عبدوا سواه إلهها
لا يتغنون لدى الجهاد سواها

فسل الصخور: أما عرفن قواها؟
بيضا شواهد ما تنال ذراها
وتقيم من أجدادها وعلاها

* * *

بلغ المدى بعد المدى فتناهى
ملء الحوادث يدفعون أذاها
وجعلتموه شريعة نرضاها
فدم الشهيديين عن معناها
بلغت من المجد العريض مناها

* * *

ولئن كنت قد أطلت في ذكر هذا النموذج الفذ من شعر أحمد محرم في ديوانه مجد الإسلام، فإنما لأتحسس ما لاحظته الدكتور شوقي ضيف من تلك الآلية التي تحول التاريخ إلى نظم حتى لكأنه يؤلف متناً من متون التاريخ، أو كما وصف هذا الشعر في مكان آخر بأنه جاف جفافاً شديداً، وأن إلياذة «هومير وس» أروع منه ومن حقائقه الجافة !!! .

لم أجد تلك الآلية وقد تتبعت ديوان مجد الإسلام ولم أجد ذلك الجفاف الشديد وإنما وجدت الشعور المتدفق الفياض وجدت تلك الصور الحية النابضة ووجدت تلك العبارة

(١) ضاع: فاح وانتشر .

القوية المؤثرة والألفاظ الجزلة الأسرة ووجدت الفكرة المثلى والحقيقة السامية . . كل أولئك في إطار شعري إمتزج بإحساس الشاعر فأبرزه صادقاً في عاطفته حاراً في إيمانه مؤثراً في تعبيره رائعاً في تصويره . . ولنستمد مثل قوله في شهداء بدر:

هم في حمى الإيمان أول صخرة فسل الصخور أما عرفن قواها؟
أوفى قوله:

من رام تفسير الحياة لقومه فدم الشهيديين عن معناها
لولا الدماء تراق لم نر أمة بلغت من المجد العريض مناها

* * *

فهل تخلو حقاً تلك الأبيات وغيرها كثير - والديوان كله حافل بمثل تلك العاطفة القوية وذلك الشعور المتدفق - هل تخلو تلك الأبيات وأمثالها من المشاعر المثيرة والصور الحية الناضرة كما يقول الدكتور شوقي ضيف . . ؟ .

وهل حقاً يحس القارئ لديوان أحمد محرم (مجد الإسلام) أن هذا الشعر زاخر بالفطور وسرعان ما يملؤه السأم والملل من هذا الشعر التعليمي الجاف؟ .

أرى أن هذا النقد لم يضع الشاعر أحمد محرم في وضعه الصحيح وكأني بالشاعر محرم وقد أحس بأنه لم يوضع في موضعه ولم يقدر حق تقديره كأني به أسمعته وهو يقول قبل وفاته في عام ١٩٤٥ م:

ظمئت، وفي في الأدب المصطفى
ظلمت أبى ونفسي، أن مثلى
كريم تدفع الأخلاق عنه
أقول فيفزع الشعراء صوتي
لربي ما علمت وعند قومي
وضعت وفي يدي الكنز الثمين
لغال في النوابغ لا يهون
ويمنع ركنه الأدب الحصين
وما أنا في بنى وطني ظنين
ديوني حين تلتمس الديون

* * *

وأذكر ما قاله أحمد زكي أبوشادي في تقديره لشاعرية أحمد محرم ضمن الذين قدروه:
«إن أحمد محرم بنظمه ونثره عاطفة وتصويراً ونقداً . . لثروة غالية للأدب العربي الحديث
جديرة بأن تدرس من جميع جوانبها وبأن ينوه بنفائسها تنويهاً أجلاً في أقطار الضاد
جميعها» (١).

(١) قضايا الشعر المعاصر ص ٥٩ .

وَصِيَّةٌ لِمَتَخَرِّجٍ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ زُرَيْبَانَ الْغَامِدِيِّ
وَكَلِيلِ عَمَادَةَ سُنُونِ الطُّلَّابِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

هذه القصيدة القاها الشاعر في حفل التخرج الذي اقامته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في نهاية العام الدراسي الماضي ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ

هبّت رياح القوافي بعدما سكنت
فلك المعاني ببحر العلم يدفعها
رست على شاطئ العرفان يعرفها
ألفت بضاعتها، فالسابقون شروا
فقدم النثر ألواناً متنوعة
والمزن بالخير قد هلت سحائبها
وأينعت من ثمار العلم أطيبها
اليوم تجنى ثمار العلم يانعة
يوم بجامعة الإسلام في بلد
يوم بجامعة الإسلام يشهده
مواكب من بنى الإسلام قد حملت
في كل أرض بدت آثاره وغدت
العلم ما جاء في آي الكتاب وما
وطالب العلم محتاج لأربعة
ومن تفتته فقد بانت خسارته
تقوى الإله أساس العلم فاحض بها
كذاك إخلاص علم في متابعة

وبشرت أن في طياتها مطرا
موج المحبة لا يرضى لها ضررا
أهل البيان وحذاق من الشعرا
من كل فن، ولم يظفر بها الفقرا
وأورد الشعر عذبا بعدما صدرا
وأخرجت ودقها هتانة دررا
تنبي بطيب الذي يسقى ومن بذرا
ويفرح اليوم من ضحى ومن صبرا
قد ضم خير الورى أكرم به بشرا
ضيف أجاب لداعى العلم قد حضرا
من مهبط الوحي علماً نفعه انتشرا
تعيد من تالد الإسلام ما انحسرا
في سنة المصطفى، فاعلم وكن حذرا
من الشروط وإن لم يوفها خسرا
يلقى الذي قد مضى من سعيه هدرا
من يتخذها سبيلاً يدرك الظفرا
لأكرم الخلق كنز للذي ادخرا

كذا التواضع شرط للتعلم من
وآية العلم في فعل يصدقه
إن ضل قوم بما نالوا وأدركهم
فطالب العلم في رضوان خالقه
كلاهما عاش في الدنيا وسار بها
والفرق شتان بين السالكين فذا
وكم من الهالكين اليوم يقذفه
يظن من جهله أن السعادة في
وأن لذاتها تبقى له أبدا
حتى إذا ما تمادى في غوايته
وسره كثرة الأصحاب تصحبه
أتته من ربه عقبي ضلالتة
والمال مال به نحو الهلاك له
وخانه المال والأصحاب ما ثبتوا
تحول العز ذُلًا، والرضى سخطاً
فيا سعادة من رام النجاة غدا
ويا شقاوة من ضل الطريق وقد
يا طالب العلم، بعض الناس قد زهدوا
ولو وعوها تمام الوعي لاطلعوا
من كل نافع علم للورى جمعت
وللعلم رجال لا يصددهم
يستسهل الصعب من رام الوصول إلى
فاصبر وشمّر لنيل العلم مدكرا
(لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله
ويبتلى المرء كي تقوى عزيمته

حاز التواضع نال الخير واشتهرا
يبقى لصاحبه من بعده أثرا
من وزره بين طيات الثرى وسرى
يثاب حياً وميتاً بعدما قبرا
ونال مما بها - في عمره - وطرا
يسير في دربه ناجٍ وذا عثرا
هواه نحو الردى يوماً وما شعرا
ما يشتهييه من الدنيا ولو حظر
ولا مرد إلى المولى ولا وزرا
وغره ما يرى من صحة وثرى
وإن تذكره بالرحمن ما ادكرا
تبدل الصفو من لذاته كدرا
وقد رأى منه من قبل اللظى شررا
كبيرهم - حين حل الخطب - قد صغرا
وصار في الناس من بعد الثنا خبرا
فما توانى عن الخيرات أو قصر
بانة له عبر كبرى فما اعتبر
علم الشريعة، قالوا: علم اندثرا
فيها من العلم ما في غيرها اندرا
وبينت سره لكن لمن بصرا
عن نيلها عائق عنها ولو عسرا
أوج المعالى ويمشى السهل والوعرا
ما قيل من شاعر ماضى وقد اثرا
لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبرا)
ويذبل الزهر حتى يخرج الثمرا

وكن شكوراً إذا أعطى له شكراً
 وألجأ إلى الله فيما قل أو كثراً
 ما خاب من عامل الرحمن واتجراً
 من المهالك أو ما يوجب الضرراً
 بما نهى الله عنه أو به أمراً
 وإن فيه لأصحاب الحجاء عبراً
 ما حل بالناس مما أفسد الفطراً
 بين الشباب الذى قد حقق النظراً
 ربح المعاصى ولو أعصارها كبراً
 يحيون من سنة الإسلام ما فترا
 فى جيلهم سيرة الصديق أو عمراً
 قد ضمه الروح لما جاءه بحراً

فاصدق مع الله فى قول وفى عمل
 واعمل بعلمك فى سر وفى علن
 نعم التجارة لا تخشى خسارتها
 لا خير فى العلم إن لم ينج صاحبه
 لا خير فى العلم إن لم يدر صاحبه
 فيما يراه الفتى من دهره عجب
 يكاد قلب الغيور اليوم يصدعه
 لكن يعزيه ما قد لاح من رشد
 على الطريق استقاموا لا ترزعهم
 للحق ساروا رسول الله قدوتهم
 فليحفظ الله فيهم دينهم لنرى
 أزكى الصلاة على خير البرية من

* * *

فى الشدائد يعرف الاخوان

قيل : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقاً لك؟

قال : لا أدرى ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقائى ، وإنما

أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

وقال الشاعر :

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ولدى الشدائد تعرف الاخوان

قال غيره :

فإن أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

من تراثنا الشعري

مناسبة القصيدة :

لما استوزر باديس بن حيوس الصنهاجي صاحب غرناطة اليهودي يوسف بن إسماعيل المعروف بابن تغزلة ، استغل هذا اليهودي منصبه في الدولة فقرب إخوانه اليهود ومكثهم من مناصب الدولة ، وأطلق أيديهم في الأموال فاستغلوا خيرات البلاد ، واستخفوا بالمسلمين وأذلّوهم ، فأحفظ هذا المسلك من اليهودي ابن تغزلة وإخوانه الشاعر الزاهد أبا إسحاق إبراهيم بن مسعود التجيبي الإلبيري الأندلسي فأنشأ هذه القصيدة يخاطب فيها صنهاجة ويغريها باليهود ويحرّض على ذبحهم والضغط عليهم لقاء ما اقترفوا من ذنب وما نكثوا من عهد ، وما أذلوا من نفوس .

وقد كان لهذه القصيدة ما أراد صاحبها ، فقد وثبت صنهاجة على اليهود يومئذ واعملت فيهم سيوفها وفيهم الوزير يوسف بن تغزلة .

وفيما يلي نص القصيدة :

ألا قل لصنّهاجة أجمعين	بدور التّدى وأسدّ العرين
لقد زلّ سيدكم زلّة	تقرّ بها أعين الشامتين
تخيّر كاتبه كافراً	ولو شاء كان من المسلمين
فعزّ اليهود به وانتخوا	وتاهوا وكانوا من الأزدلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى	فحان الهلاك وما يشعرون
فكم مسلم فاضل قانت	لأرذل قردي من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم	ولكن منّا يقوم المعين
فهلّا اقتدى فيهم بالألسى	من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يستأهلون	وردّهم أسفل السافلين
وطافوا لدينا بأخراجهم	عليهم صغارٌ وذلٌّ وهون
وقمّوا المزابل عن خرقه	ملوّنةً للثّار الدّفين
ولم يستخفّوا بأعلامنا	ولم يستطيلوا على الصّالحين

وَلَا جَالِسُوهُمْ وَهُمْ هُجْنَةٌ
 أَبَادِيْسُ أَنْتَ أُمْرُوْهُ حَاقِوْ
 فَكَيْفَ اخْتَفَتْ عَنْكَ أَعْيَانُهُمْ
 وَكَيْفَ نُحِبُّ فِرَاحَ الزِّنَا
 وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُتْرَقَى
 وَكَيْفَ اسْتَنْمَتَ إِلَى فَاسِقِي
 وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي وَحْيِهِ
 فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا
 فَقَدْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ
 تَأْمَلُ بَعِيْنِيكَ أَقْطَارَهَا
 وَكَيْفَ انْفَرَدْتَ بِتَقْرِيْبِهِمْ
 عَلَيَّ أَنْكَ الْمَلِكُ الْمُتْرَضَى
 وَأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الْوَرَى
 وَإِنِّي اِحْتَلَكْتُ بَغْرِنَاطَةَ
 وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَاهَا
 وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَاتَهَا
 وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيْعَ الْكِسَا
 وَهُمْ أُمْنَاكُمْ عَلَي سِرِّكُمْ
 وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دِرْهَمًا
 وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
 وَقَدْ لَابَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ
 وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِهَا
 وَرَحَّمَ قَرْدُهُمْ دَارَهُ
 فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ
 وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمَنْ دِينِنَا
 وَلَوْ قُلْتَ فِي مَالِهِ إِنَّهُ

وَلَا وَاكْبُوهُمْ مَعَ الْأَقْرَبِيْنَ
 تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْيَقِيْنَ
 وَفِي الْأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ
 وَهُمْ بَغَّضُوكَ إِلَى الْعَالِيْنَ
 إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدُمُونَ
 وَقَارَنْتَهُ وَهُوَ بِيْسَ الْقَرِيْنَ
 يُحَذِّرُ عَنْ صُحْبَةِ الْفَاسِقِيْنَ
 وَذَرَّهُمْ إِلَى لَعْنَةِ السَّلَاعِيْنَ
 وَكَادَتْ تَمِيْدُ بِنَا أَجْمَعِيْنَ
 تَجْدِهِمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِيْنَ
 وَهُمْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْمُبْعَدِيْنَ
 سَلِيْلُ الْمَلِيْكَ مِنَ الْمَاجِدِيْنَ
 كَمَا أَنْتَ مِنْ جِلَّةِ السَّابِقِيْنَ
 فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابَثِيْنَ
 فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِيْنَ
 وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ
 وَأَنْتُمْ لِأَوْضَعِهَا لَابَسُونَ
 وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْوُونَ أَمِيْنَ؟
 فَيَقْصِي وَيُدْنُونَ إِذْ يَأْكُلُونَ
 فَمَا تَمْنَعُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ
 فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ
 وَأَنْتُمْ لِأَطْرَافِهَا آكِلُونَ
 وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعُيُونِ
 وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ
 فَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ
 كَمَا لِكَ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ

فَبَادِرْ إِلَى ذُبْحِهِ قُرْبَةً
وَلَا تَرْفَعِ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبَشْرٌ سَمِينٌ
فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينٌ

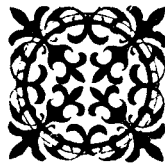
وَفَرَّقْ عِدَاهُمْ وَخُذْ مَا لَهُمْ
وَلَا تَحْسَبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً
وَقَدْ نَكثُوا عَهْدَنَا عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ
وَنَحْنُ خَمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ

كَأَنَّا أَسَانَا وَهُمْ مُحْسِنُونَ
فَأَنْتَ رَهِينٌ بِمَا يَفْعَلُونَ
وَرَأَيْتَ إِنْ هَكَذَا فِي حِزْبِهِ
فَحِزْبُ الْإِلَهِ هُمُ الْغَالِبُونَ



وصية

أوصى عمر بن حبيب رضى الله عنه بنيه فقال :
يا بنى إياكم ومخالطة السفهاء، فإن مجالستهم داء، وإن من يحلم عن
السفيه يسر بحلمه، ومن يجبه يندم، ومن يقرّ بقليل ما يأتي به السفيه يقر
بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل
ذلك على الأذى، وليوقن بالثواب من الله عز وجل، ومن يوقن بالثواب من الله
عز وجل فلا يجد مسّ الأذى!!!





المسافر الغريب

الدكتور عبد الله بن أحمد قاري
رئيس شعبة الفقه بالدراسات العليا

إلى جاكرتا :

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر :

اعتدنا أن نأخذ بطاقة الركوب بالأرقام وكل واحد منا بجانب صاحبه أما هذه المرة فكانت بطاقتنا بدون أرقام وقال لنا عبد الله : إننا أحرار نختار المقاعد التي نريد، هكذا فهم، وعندما صعدنا إلى الطائرة وجدناها قد ملئت بالحمير الإنسية من الأوربيين والأمريكيين والإستراليين، فأخذنا ننظر في الصفوف لعلنا نحصل على مقعدين متجاورين أنا والشيخ عبد القوي، فوجدنا مقعدين أحدهما أمام الآخر، فقال لي أي المقعدين تريد قلت هذا، ولم أدقق النظر في الجيران إذ ظننت أنهم كلهم رجال، فلما قعدت بدت مجاورتي التي عن اليمين امرأة، وبدأت الحمير تحتك ببعضها مع سوء أدب فكنا بينهم كأننا على شوك السعدان أوفى سجن ضاق بناؤه وجاء المضيفون بالطعام والشراب فأخذوا يأكلون ويشربون ولما لم أتناول أنا شيئاً التفتت إلى الجارة قائلة : رمدان - أي رمضان - قلت : يس وكانت تلعب مع جارها والله أعلم ما صلتها به بأوراق القمار .

وهنا ذكرت صورة مصغرة لقول الرسول ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .

وأنشأت هذه الأبيات :

بشر عبد الله بالمقاعد	فقلت في نفسي أريد النافذة
لكن رأينا بصعود الطائرة	واخترت مقعداً ظننت أنه
بأنها حسب اختيار القاعد	كعادتى مع الأيادي الآخذة ^(١)
أن ملئت بفاجر وفاجرة	بين رجال لا نساء حوله

(١) أي كما اعتدت مع الكون الذي هو من نعم الله انظر إليه متفكراً .

وبعد الاستقرار صارت واحدة
وظهرت أمامى المعاكسة
فقلت ياربى إنى صائم
وجاء بعد ذلك الغداء
فسألت شيطانة اليمين
ثم التفت لزميلى القارى
من الخبيثات فقلت: إننا
وقد جعلت ذكر ربي حاليا

- لا واحدا - عن اليمين قاعدة
بلا حيا كعادة الأبالسة
وقد غدت تحيط بى البهائم
فما التفت نحو من قد جاؤا
أرمضان؟ قلت: «يس» دعيني
مبتسما وقد وقاه البارى
بين العدا فى الجوضاق سجننا
ودفترى وقلمى وقائيا

وكان إقلاع الطائرة من مطار دمباسار فى الساعة الثالثة إلا ربعا وهبطت بنا فى مطار
جاكرتا فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

ونزلنا فى فندق: سبنج الذى يسمى بالاسلامى . وكانت مظاهره الإسلامية وجود
المصحف المترجم والسجادة والإشارة إلى جهة القبلة بسهم على الباب من الداخل هكذا
➡==== ولكنه مثل غيره فى بيع الخمر، ولا أدرى عن لحم الخنزير؟! .

زيارة بعض المسئولين فى المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية :

١٧/٩/١٤٠٠ هـ :

زرنا الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس ومساعدته الدكتور رشيدى وقد كان الأول
رئيس وزراء سابقا، وكان الثانى وزيرا للشئون الدينية سابقا، وللرجلين جهود مشهورة فى
محاولة ربط الشعب الأندونيسى فى منطلقاته السياسية والاقتصادية بالإسلام وشعبيتها تبدو
واضحة فى الجمعيات الاسلامية والشباب .

وأهدى لنا الدكتور محمد ناصر سلسلة من الكتب الاسلامية التى وضعت لتربية
الأطفال وربط العلوم الكونية بالآيات القرآنية موضحة بالصور وهدفها تقوية الإيمان بالله
وتثيته فى نفوس الشباب عن طريق العلوم الكونية التى يتلقونها فى المدارس مجردة عن ذكر
مصدرها الذى أوجدها بنظامها العجيب المدهش .

والمسلمون هناك فى قلق من نشاط النصارى فى كل المجالات لأنهم يحاولون أن
يستولوا على المراكز الحساسة فى الأمن والتعليم والاقتصاد والطب وغيرها، يساعدهم فى
ذلك عملاء علمانيون من المسلمين الذين ابتعثوا للدراسة فى الخارج - فى أوربا وأمريكا

وفرنسا - فحملوا مؤهلات وأسندت إليهم وظائف حساسة في الدولة وهم يحاربون الاسلام - علنا - أكثر من محاربة النصارى - وإن كان النصارى هم الموجهين والمحركين ومن ذلك محاولة إلغاء المساجد في الجامعات وحرمان أبناء المدارس الحكومية من الاجازة في رمضان وقد كانوا يستفيدون من هذه الاجازة التعليم في المدارس الإسلامية والمساجد حيث يتعلمون أمور دينهم التي لا يجدونها في المدارس الحكومية .

وهكذا نجد الشكاوى من العلمانيين الذين رباهم أهل الغرب في أغلب الشعوب الاسلامية حيث يكونون معاول هدم سافرة بأيدي أسيادهم الذين نصبوهم في شعوبهم لهدم أركان العقيدة ومقومات الأمة .

مع سفير المملكة العربية السعودية في جاكرتا

في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، كنا في سفارة المملكة العربية السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ/ بكر عباس خميس الذي استقبلنا ببشاشة وكان الحديث معه ممتعا ورأينا في الرجل حماسا لنشر الدعوة الاسلامية وايجاد وسائل ذلك كترجمة الكتب الاسلامية وطبعها وطبع المصحف الشريف .

وأطلعناه على ما قمنا به في زيارتنا للمؤسسات الإسلامية في جاوة الشرقية وجزيرة بالي ونقلنا إليه شكر بعض تلك المؤسسات التي تلقت إعانات عن طريقه من المملكة العربية السعودية .

كما نقلنا له رغبة مؤسسات أخرى في أن تحظى بمثل تلك المساعدات .

وطلب منا ابلاغ فضيلة نائب رئيس الجامعة رسالة شفوية تتضمن عرض التعاون في المجالات التي تحقق أهداف الجامعة الاسلامية في الدعوة إلى الله في أندونيسيا وأبدى استعداده بالاشراف على ترجمة بعض الكتب الإسلامية وطبعها وتوزيعها في أندونيسيا من الكتب المفيدة التي تختارها الجامعة الإسلامية . وذكرت له كتاب الدكتور محمد على البار: خلق الانسان بين الطب والقرآن وأنه مجهود علمي مفيد في بابه ويمكن أن يستفيد منه المثقفون ويهديهم إلى الإسلام فطلب مني سعادته بعث الكتاب إليه ليتولى الاشراف على ترجمته وطبعه وتوزيعه في أندونيسيا وكانت معي نسخة فبعثتها له في اليوم الثاني .

ثم شكرناه على حسن استقباله وما يقوم به من أعمال طيبة وودعناه .

سراب بقيعة :

ذهبنا - بعد ذلك - إلى برج الاستقلال الذى يشرف على المدينة وهو قريب من مسجد الاستقلال وكانت تذاكر الطلوع معنا من قبل إذ وجدناه مزحوما فأجلنا الطلوع إلى وقت آخر وعندما اقتربنا من البرج رأينا الساحة المحيطة به فارغة وكذلك الأبواب والممرات المؤدية إليه فسررنا بذلك وقلنا هذه فرصتنا حتى لا نجد أولئك الأجانب يزاحموننا وكنا نظن أن الناس فى هذا الوقت بعد الظهر فى راحة وعندما وصلنا إلى قرب المصعد وجدنا جندياً حارساً قال : إلى أين قلنا إلى المصعد للطلوع فقال : إن المصعد تحت الإصلاح ولا يمكن الصعود الآن فعرفنا أن الفرصة التى ظنناها سنحت كانت سرايا خادعا .

الجهود موجودة والتخطيط مفقود :

زارنا بعد صلاة العشاء فى الفندق فضيلة الشيخ محمد المجذوب وفضيلة الشيخ ناصر الطريفى وهما مبعوثان من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد للاطلاع على أحوال الدعاة الذين أوفدتهم الرئاسة للدعوة إلى الله وهم من خريجي الجامعة الاسلامية وتقديم تقارير عنهم للاستفادة منها .

وجرى نقاش بيننا فى أمور الدعوة واختلفت وجهات النظر فى بعضها والذى بقى عندى هو أن المؤسسات الاسلامية تبذل جهوداً تحتاج إلى المضاعفة والتعاون فيما بينها والتنسيق لأن الدعوة الاسلامية تواجه تيارات وأحزاباً ومؤسسات عقائدية ومخططات عظيمة وذلك يقتضى التخطيط السليم والتنظيم والتنسيق والجهود المضاعفة وما دامت المؤسسات الاسلامية لا تبذل جهوداً فى التخطيط العلمى الدقيق والتنسيق فيما بينها فإن الجهود القليلة ستبقى مبعثرة قليلة الجدوى بالنسبة لما ينبغى أن يكون .

وزارنا كذلك بعض طلبة الجامعة الاسلامية الأندونيسيين الذين تخرجوا فيها وتذاكرنا معهم ما بقى لنا من الزيارات .

٩/١٨ إلى باندونج :

كنا قد طلبنا من الأخ حلمى أمين الدين - وهو من مبعوثى إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ويعمل فى مكتب الملحق الدينى وقد تخرج فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - أن يحجز لنا على الخطوط الأندونيسية إلى باندونج فاتصل بالأخ عبد الله

باهرمز وأخبره بأن الطائرة تقلع من جاكرتا إلى باندونج في الساعة الثانية عشرة والنصف وأن علينا أن نغادر الفندق إلى المطار في الساعة الحادية عشرة والنصف .

ولكن عبد الله خرج لحاجة وتأخر كثيرا فعاتبناه على ذلك واستأجر لنا سيارة وعندما ركبنا قال للسائق: جلن جلن، يأمره بالسرعة وكان وصولنا إلى المطار - وهو داخل - في الساعة الثانية عشرة ودقائق .

وأدركنا الطائرة التي أقلعت في الساعة الواحدة إلا عشرين دقيقة .

مع الشيخ المكي وابنه المدني :

وكان في استقبالنا فضيلة الشيخ الحاج أنور مسدد وابنه عبد الحلیم الذي تخرج هذا العام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . والشيخ أنور مسدد يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاما قضى منها في مكة المكرمة أحد عشر عاما، قال : وأنا مشهور في مكة بمسدد قارود، درست في مدرسة الفلاح سنة ١٩٣٠ م . وكان يديرها السيد الطيب المراكشي ، ثم السيد أبو بكر الجيشي وكانت في القشاشية وتخرجت في هذه المدرسة عام ١٩٣٤ م وعملت بها مدرسا إلى عام ١٩٤١ م حيث رجعت إلى بلدي أندونيسيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية .

وأخذ الشيخ يسرد لنا شيئا من تاريخ حياته والأحداث التي عايشها فقال :

في سنة ١٩٤٢ م جاء اليابانيون إلى أندونيسيا فاستعمروها مدة ثلاث سنوات ، استقلت سنة ١٩٤٥ م وكنت مع سوكارنو في وزارة الشؤون الدينية رئيسا لقسم شئون المساجد ، ثم عينت أستاذا في الجامعة في جوكرتاكرتا إلى سنة ١٩٦٧ م ، ثم مديرا للجامعة الإسلامية الحكومية في باندونج وقمت أنا بإنشائها ، إلى سنة ١٩٧٣ م ، ثم صرت مدرسا فيها وفي عام ١٩٧٥ م أحلت إلى التقاعد وكنت عضوا في البرلمان لمدة عشرة أعوام عن حزب نهضة العلماء ، وعينت وكيلا للرئيس العام لنهضة العلماء وبعد أن توفي الرئيس العام أصبحت أنا الآن رئيسا لنهضة العلماء وكان الرئيس الذي قبلني هو الحاج نصرى سنشورى .

وذكر لنا أعماله : أنه أحد أعضاء اللجنة التي تولت ترجمة القرآن الكريم التي طبعتها وزارة الشؤون الدينية ، وأحد أعضاء اللجنة التي تولت تفسير القرآن الكريم باللغة الأندونيسية وقد تم هذا التفسير الذي طبع منه أربعة مجلدات في كل مجلد ثلاثة أجزاء والباقي تحت الطبع .

وسألناه عن مراجع هذا التفسير فقال: المراجع منها القديم مثل تفسير ابن كثير والقرطبي والبيضاوي وتفسير الزمخشري ومنها الحديث كتفسير المراغي وتفسير القاسمي والتفسير الواضح قال وقد ترجمنا القرآن أيضا إلى لغة جاوة الغربية المعروفة بالسنداوية وقد طبع في أربعة مجلدات .

قلت له: ما دمتم قد وفقتم لترجمة كتاب الله وتفسيره فينبغي أن تجتهدوا في ادخال بعض أجزاء هذا التفسير في الجامعات، فقال: أدعو الله لنا أن يعيننا وأشار إلى أننا في حاجة إلى الامكانيات لطبع كمية كبيرة وتوزيعها على الجامعات والمكتبات. قال: وكنت في سنة ١٩٥٥م مطوفاً لسوكارنو .

وسألته هل ترددت على مكة كثيرا قال: نعم وكان آخرها هذا العام المنصرم وكنت في اليوم الأول من شهر محرم في داخل الحرم عندما قام الذين ادعوا أن المهدي قد ظهر بحادثة الحرم قلت له كيف خرجت وكيف كان شعورك في هذه الحادثة قال: أما خروجي فقد كنت في الطابق العلوي ورأيت الباب مفتوحا والناس يخرجون منه فخرجت. وأما الحالة التي حصلت فقد آلمتنا وأنزلت الحسرة في نفوسنا عندما كنا نرى الرصاص يطلق في داخل الحرم الذي جعله الله أمنا والحمد لله الذي قضى على أولئك المعتدين .

قلت له: ما الفرق بين مكة الآن وبينها في الأيام التي كنت فيها طالبا ومدرسا من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٤١م فقال: الفرق كبير أصبحت الآن متقدمة في كل شيء .

هل كانا من أولى الأحلام والنهي؟

قال الحاج أنور وقد كنت مع سوكارنو في القاهرة عندما زارها في عهد عبد الناصر وصليت إماما في الجامع الأزهر وهما ورائي، قلت: وهل كانا من أولى الأحلام والنهي؟ قال: لا .

أساتذة الشيخ في مكة :

سألناه عن أساتذته في مكة فقال: قرأت على السيد علوي مالكي رياض الصالحين وشائل الترمذي وألفية ابن مالك، ومن أساتذتي الشيخ عمر حمدان التونسي والشيخ محمد العربي، وقرأت على الشيخ أمين الكتبي الجوهر المكنون في البلاغة، وحفظت عليه القرآن الكريم. وعلى الشيخ على حسن السناري التوحيد .

إلى م يعود الضمير؟

من نكات الشيخ المكي في المسجد الحرام أنه كان يقرأ مع زملائه على الشيخ علوى مالكي باب «كم» في ألفية ابن مالك، وكانت تلك الليلة ليلة زفاف الشيخ علوى مالكي مدرس الألفية، فقال الشيخ علوى إلى م يعود الضمير في قول ابن مالك : «واستعملنها». ونص البيت كما يلي :

واستعملنها مخبرا كعشره أو مائة ككم رجال أو مره

فقال الطالب أنور الضمير ياسيدى يعود إلى مرة في آخر البيت، هناك قال وكنت أقصد بالبيت بيت أستاذنا، لأنه في ليلة زفافه وهو يدرسنا ونحن كنا نحب أن يتفرغ في هذه الليلة التي تعتبر ليلة سرور لعدة أسر ولزملاء الشيخ وتلاميذه. قال ففهم الشيخ المقصود وضحك كثيرا وبعض الحاضرين لم يفهم^(١).

وذكر الشيخ المكي من زملائه في الدراسة في مكة السيد عبد الرحيم الأهدل الذي يعمل في الزراعة في المدينة المنورة، قال كنت أنا وهو في فصل واحد قلت له : أنا وعبد الرحيم من قبيلة واحدة وهو صديقى .

إلى جايمس :

وكلف الشيخ أنور سائق سيارته أن يوصلنا إلى بلدة جايمس التي تقع شرق باندونج على بعد ٢٥٠ كيلو .

وكان الطلبة الأندونيسيون قد طلبوا منا زيارة هذه البلدة التي يقع بها معهد دار السلام وبه تقام دورة لمدرسي اللغة العربية والمواد الإسلامية وعددهم يقارب الخمسين، ونفقات الدورة كانت إعانة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد التقينا بأحد طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في باندونج وهو في طريقه لزيارة الدورة .

قل له : إننا نحب هذه المنظر ونريد التمتع بها :

كان السائق يجب السرعة التي كنا نحن نكرهها فكان يحاول تجاوز أى سيارة تسير أمامه، وكان يخالف قواعد المرور فتجاوز في المنحنى الذي لا يرى فيه السيارة المقابلة وكان

(١) وذكرتنى هذه النكتة بنكتة بعض علماء السودان مع الشيخ محمد الأمين الشنقيطى في رحلته من موريتانيا إلى المملكة العربية السعودية عندما نظر إلى ثيابه المطوية فظن العالم السودانى أنه يريد أن يغير ثيابه، فقال : ولسراويل بهذا الجمع شبه أفضى عموم المنع .

الشيخ عبد القوي ذو الخبرة بحوادث السيارات يثن كلما رأى مخالفة ويطلب من عبد الله باهرمز أن يكلم السائق ليخفف من السرعة ويلتزم بقواعد المرور، وفجأة وقفت السيارة في الطريق، فنزل السائق ونظر إلى آلة التحريك فوجد مكان الخلل فرجع إلى صندوق السيارة وأخذ ما يسمى : «بوجي» وركبه وواصل السير على عادته وكان عبد الله باهرمز - هداه الله - لا يصارحه كما نريد فقلت له : قل للسائق إن هذه المناظر أعجبتنا ونحب أن نستمتع بها فليخفف السرعة ففعل وكان قصدي أننا نريد أن نحافظ على أرواحنا لأن التمتع بالمنظر لا يمكن إلا إذا بقيت أرواحنا في أجسادنا .

عظة وذكرى :

وبعد قليل مررنا بسيارة على يميننا في الشارع مقلوبة على ظهرها رافعة عجلاتها إلى السماء كأنها تستغيث وكنا نود أن نقف لنرى ماذا جرى لأن الحادث جديد ولكن المكان لا يصلح للوقوف فكانت عظة وذكرى لسائقنا .

وجاء الليل عصرا :

وكانت السحب السوداء المتراكمة قد غطت الأفق وحالت بيننا وبين السماء واجتمع ذلك مع ارتفاع الجبال وكثرة الغابات في القمم والوديان والسفوح وبدأ المطر ينزل قليلا قليلا ثم انهمر بغزارة حتى غشينا الليل ونحن في النهار وحتى نسيت أننا لازلنا في وقت العصر فقلت للإخوة انظروا في هذه القرية لعلنا نجد ما نفطر به فنظر الأخ عبد الله في ساعته وقال بقي من الوقت إلى المغرب ساعتان ونحن سنصل إلى معهد دار السلام قبل ذلك إن شاء الله - وكان هذا ما حصل فعلا فقد وصلنا إلى مقر المعهد وبقينا ما يزيد على نصف ساعة ولما يؤذن أذان المغرب - ولكن الذي لا يدري عن الوقت عن طريق الساعة يظن أنه قد صلى الناس المغرب ودخل وقت العشاء .

إزالة غابات لزراعة غابات :

وكنا نرى قبل هذه الظلمة قطعا من الأرض قد أزيلت عنها الغابات في الوديان والجبال وبدأ الأهالي بزراعة بعض الأشجار المثمرة مكانها وهكذا يفعلون في تلك البلدان يقدرون زمنا معيننا تزال فيه غابات تدريجيا من الأشجار التي لا تثمر وأنها غير مفيد كثيرا ويزرع مكانها غابات من الأشجار المثمرة فتصبح غابة مثمرة بدل غابة غير مثمرة .

فساعدنى اذا على بقاء سيارتى :

قال عبد البر سائلا السائق كم سنة لهذه السيارة معكم؟ فقال السائق - عن طريق الترجمة - هى عندنا من عام ١٩٦٢م فقال عبد البر ثمانى عشرة سنة!؟ وهل غيرتم مكنتها قال: لا فتعجب من ذلك فقلت له ما رأيك يا عبد البر فى سيارتنا التى مضى عليها عندنا خمس سنوات فقط قال: تعتبر من صنع عام ١٩٨٠م قلت: الحمد لله فساعدنى على بقاء سيارتى .

وكان هو وإخوانه يسمعون بعض زملائى ينتقدون بقاء سيارتى هذه معى لمضى هذه المدة عليها، لأن التغيير أصبح عندنا مرضا للسيارات والعمارات والأثاث والملابس لأن المقياس الذى نسير عليه هو الهوى والتقليد الأعمى ولو أن المقياس هو الاسلام لما جمع الغرب أموالنا فأوعى وإخواننا فى كثير من الشعوب الاسلامية يموتون جوعا أو بردا أو حرا أو حربا فلا يجدون القوت . وكان وصولنا إلى بلدة جايمس فى الساعة السادسة إلا ربعا .

وأسالت نخيل المدينة المنورة للعباب فى جايمس :

عندما أذن المؤذن لصلاة المغرب أخرج أحد طلبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذى كان يرافقنا فى هذا السفر اليوم علبة تمر من حقيبته وقال: هذا من تمر المدينة فتسأقت الأيدى وسال اللعاب لتمر المدينة المنورة فأفطرنا وصلينا المغرب ثم رجعنا إلى الغرفة التى أعدت لنا لنرتاح من التعب . وحدد لنا الأخوة الساعة التاسعة بعد صلاة العشاء لنتلقى بأعضاء هذه الدورة لالقاء كلمة فيهم .

كيف نتعلم اللغة العربية :

فى الساعة التاسعة جاء الاخوة يطلبون منا أن نحضر إلى قاعة المحاضرات فحضرنا وقرأ الشيخ عبد القوى بعض الآيات القرآنية ثم طلب منى أن ألقى كلمة تتضمن رسم الطريق لتعلم اللغة العربية . فكانت كما يلى :

١ - بينت أن من أهم الأسباب التى يعين على أى أمر من الأمور - بعد الاستعانة

بالله - هو قوة الإرادة .

٢ - شدة الرغبة .

ويجب أن تكون الرغبة موجودة وشديدة كما يجب أن تكون إرادتكم قوية لأن هذه اللغة بالنسبة لكم لغة دينكم وكتاب ربكم فتعليمها يعتبر عبادة وهذا ما يقوى الإرادة والرغبة في تعلمها .

٣ - الإكثار من قراءة القرآن الكريم وحفظه أو حفظ كثير منه مع تعلم مفرداته من كتب المفردات القرآنية أو كتب التفسير أو القواميس العربية، وهكذا إذا قرأ الطالب في كتاب حديث أو فقه أو تاريخ أو أدب أو غيرها من العلوم العربية فإن عليه ألا يمر بكلمة لا يعرفها دون أن يبحث في معناها ويفهمها وهذا قد يكون صعباً وبطيئاً ولكنه مفيد جداً .

٤ - حفظ نصوص كثيرة من النثر والشعر الجاهليين مع فهم مفرداتها وتراكيبها والإكثار من قراءة كتب الأدب المفيدة كالعقد الفريد .

٥ - حفظ متون في علوم اللغة العربية (النحو والصرف والبلاغة والعروض) وفهمها فهما جيداً لأن حفظ القواعد يذكر الانسان ويعصمه من الخطأ .

٦ - التطبيق العملي لما تعلمه الطالب، كرفع الفاعل ونصب المفعول وضبط الأوزان ومعرفة التشبيه وأنواعه .

معلومات عن معهد دار السلام :

وبعد إلقاء المحاضرة جاء الأخ وحى الدين ابن مدير المعهد الحالى الشيخ عرفان حلمى يعتذر لأبيه الذى كان على موعد مهم مع العلماء - كما قال - قلت له : لا بأس ولكن يجب أن تعطينا نيابة عن أبيك معلومات فأعطانا المعلومات الآتية : وكانت إجابة عن أسئلتى له : -

— فى معهد دار السلام توجد المراحل الخمس التالية :

روضة الأطفال، إبتدائى، ثانوى، العالية، كلية الشريعة . وعدد طلاب المعهد كلهم سبعائة .

— الساكنون فى المعهد أربعائة والباقون يسكنون فى منازل أسرهم .

— أسس هذا المعهد عام ١٩٣٥م أسسه الشيخ أحمد فاضل، وقد توفى رحمه الله، وخلفه فى إدارته الشيخ عرفان حلمى، قال : وستقدم للجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة منهج المعهد لمعادلته وإعانتته بمنح دراسية وغيرها .

— وعدد الأساتذة فى الروضة اثنان - وفى الإبتدائى عشرة . وفى الثانوى سبعة عشر،

وفي العالية خمسة وعشرون . وفي الشريعة عشرون ، والجملة أربعة وخمسون مدرسا .
— ويدرس في المعهد أيضا طالبات من الثانوية إلى كلية الشريعة وعددهن يزيد على
مائة طالبة .

— وقد ساعدت الحكومة الأندونيسية في بناء المعهد .

— ويقوم المعهد بنشاطات إجتماعية وثقافية . منها : الكشافة ، والتدريب المهني
كالخياطة والزراعة والنجارة والتطريز والصحف الحائطية ، والمحاضرات التي تقام كل يوم
سبت .

ويحضر المجتمع - يعنى أهل البلدة من أولياء أمور الطلبة وغيرهم . كل يوم الجمعة
إلى المعهد من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة الحادية عشرة للاستماع إلى محاضرة عامة
في المسجد .

وينتشر الطلاب في أيام الأجازات للدعوة بتخطيط من المعهد ويدير هذه النشاطات
كلها هيئة من الطلاب تحت إشراف المدير .

محاضرة الصباح :

وبعد أن صلينا الفجر مرة أخرى في قاعة المحاضرات وكانت المحاضرة بعنوان «صفقة
أولياء الله مع الله» وكان محور المحاضرة قواه سبحانه وتعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في
التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم﴾ .

إلى معهد مانجاية :

طلب منا أن نزرع معهد مانجاية ، وهو يبعد عن معهد دار السلام مسافة مقدارها
إثنا عشرة كيلومتر تقريبا ، وهكذا تجد في أندونيسيا كثرة المعاهد والمدارس وبعضها بجوار
بعض وصلنا إلى مقر المعهد في الساعة السادسة والنصف ، وكنا نظن أن المسؤولين في المعهد
قد بلغوا بزيارتنا ولكننا عندما وصلنا لم نجد إلا ثلاثة أو أربعة من الطلبة قاعدين قرب باب
المعهد بملابس نومهم ، وكنا ماشين لأن السيارة لا تصل إلى مقر المعهد بسبب المزارع فلما
رأونا بلباس عربى اضطربوا وأسرعوا لإخبار بعض المسؤولين فخرج وكيل المعهد - بعد أن
أيقظوه من نومه - فلما رأنا ورحب بنا ذهب هو أيضا ليوظ مدير المعهد على رغم محاولتنا صده

عن ذلك وطلبنا منه أن يجلس معنا قليلا دون حاجة إلى إزعاج المدير أو غيره لأننا على سفر فلم يجبه المدير في أول الأمر لأنه كان مستغرقا في نومه فرجع إلينا وكنا نؤكد عليه عدم إيقاظ أحد وهو لا يزيد على الابتسامة . وسمعنا مكبر الصوت ينادى من المسجد ويذكر المملكة العربية السعودية والمدينة المنورة وأصبح المعهد في حالة طوارئ فأنكرنا ما حصل ، وصاحبنا لا يزيد على الابتسامة شيئا وهذه عادة الأندونيسيين إذا أرادوا شيئا نفذوه وهم يتسمون أردته أم لم ترده دون أن يجادلوك أو يثير وا ضجيجا أو ايمانا وعليك أن تتحمل نتائج إبتساماتهم أنت كذلك دون جدال لأنه لا ينفع كثيرا .

ولم يقدر على بقاء المدير نائما فذهب يطرق عليه الباب مرة أخرى حتى جاء به من نومه مبتسما مثله ، خرج المدير لابسا ثوبا وعمامة ملونة (شال) ملتحفا بأخرى على كتفه على هيئة لباس علماء الحضارم ، وهو ملتح يميل لونه إلى السمرة يتهادى في مشيته مع وقار واعتزاز بنفسه فسلم علينا ورحب بنا وأخذ يشرح لنا حالتهم وحالة هذا المعهد فقال : أسسنا هذا المعهد سنة ١٩٦٧م وكنا قبل ذلك مع قومنا في الجبال والغابات نجاهد الشيوعيين والجمهورية - كما قال - .

وعندما أسسنا هذا المعهد أقبل عليه الطلاب إقبالا شديداً وبلغ عددهم ألفا ومائتي طالب وطالبة ، والمباني الموجودة لا تتحمل في الأصل إلا خمسمائة ولكن لشدة الحاجة سكن في هذه المباني هذا العدد الكبير .

الأمير السعودي :

وقال : ان الأمير السعودي - هكذا كانت عبارته - وهو يقصد جلالة الملك - رجل كريم يساعد كل المؤسسات الاسلامية وأنا كتبت له عن طريق البريد ثم كتبت له عن طريق السفير في جاكرتا (وأعطانا صورة الخطاب) ولكني لم أتلق منه شيئا منذ ست سنوات وطلب منا إبلاغ الأمير السعودي رغبته في المساعدة .

والدراسة في المعهد ست سنوات على طريق حلقات المساجد وطلب منا أن نجتمع بالطلبة الموجودين الذي يبلغ عددهم ثلاثمائة وهم الذين بقوا ولم يذهبوا في الاجازة إلى أسرهم ، فذهبنا إلى المسجد ووجدناهم قد اجتمعوا مبتسمين مسرورين على الرغم أنهم قاموا لتوهم من النوم وقد كانوا سهرانين طول الليل فقرأ الشيخ عبد القوي ما تيسر من القرآن وهم يرددون عند مقاطع الآيات : الله . . الله بعاطفة يبدو عليها الصدق وطلب مني أن ألقى

خطابا - كما قال - فاعتذرت لأنى كنت متعباً فقال الشيخ عبد القوى جزاه الله خيرا وكانت أول مبادرة منه : أنا أنوب عنك قلت نعم فقال للطلبة يجب عليكم أن تؤدوا واجبكم لأنكم جيل المستقبل ودعا لهم وهم يؤمنون ثم خرجنا وهم ملتفون حولنا يودعوننا وكان المطر نازلاً - خفيفاً - فقال لا تذهبوا حتى نغطيكم بتأثير من المطر فقلنا لا حاجة لأنه خفيف والسيارة قريبة فأصر على عدم خروجنا لأن المطريورث المرض - أى الزكام - لاسيما عندما يكون موسم الأمطار في أوله ثم واصلنا السير إلى باندونج ، وكنت مع شدة التعب وقلة النوم أحاول أن أغمض عيني لأنعس ولكن مفاجآت وقوف السيارة عدة مرات كانت تطرد النوم عنى ، كان خروجنا من المعهد في الساعة الثامنة والنصف تقريبا ووصولنا إلى باندونج في الساعة الثانية عشرة وعندما وصلنا إلى باندونج كنا نرغب في مواصلة السفر إلى جاكرتا إذا وجدنا طائرة ، ولكن لم نجد فحجزنا لنسافر غدا ونزلنا في فندق «هومان» وهو من الفنادق الممتازة ، حجرة واسعة ويلحق بكل حجرة قاعة واسعة وشرفة واسعة ، وأثاث الفندق فاخر وهو في غاية النظافة ويمتاز بالهدوء التام والخدمة السريعة .

وهو يقع بجانب المبنى الذى عقد فيه مؤتمر باندونج الشهير وهو المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد عام ١٩٥٥م وحضر عن المملكة جلالة الملك فيصل رحمه الله ، ويسمى هذا المبنى : مبنى الاستقلال .

قال فى القاموس السياسى : واشتركت فيه ٢٧ دولة مستقلة هى : جمهوريات الهند وسيلان وأندونيسيا ومصر والصين الشعبية وكمبوديا ولبنان ولاوس والفلبين وسوريا وتايلاند وتركيا وفيتنام الجنوبية والسودان وساحل الذهب (غانا) والدول الملكية الآتية : أفغانستان وأثيوبيا وإيران والعراق والأردن وليبيا ونيبال والمملكة العربية السعودية واليمن . (١) .
وفى المساء تجولنا فى بعض الأسواق فى باندونج لشراء بعض الأغراض .

٢٠/٩ صاحب العزة :

دعانا الشيخ أنور مسدد لتناول طعام السحور عنده وطلب منى أن ألقى محاضرة الصباح فى المسجد الجامع الذى يصلى بالناس فيه وهو من مؤسسات نهضة العلماء وقال : إن هذا الجامع يجتمع فيه خمسة آلاف فليت رغبته .

(١) القاموس السياسى : أحمد عطية الله ص ١٨٠ . وقد أصبحت هذه الدول كلها جمهوريات ماعدا المملكة العربية السعودية

ومملكة نيبال .

وذهبنا إلى المسجد قبل أذان الفجر مع الشيخ أنور، وكان أبناء المدارس من بنين وبنات في أعمار متفاوتة ينتظرونه قرب المحراب وعدد كبير وعندما وصل أخذ يكتب لهم دروسا في اللوح المسند إلى جوار المسجد باللغة العربية في الأعلى وباللغة الأندونيسية في الأسفل وهم يتزاحمون ليكتبوا الدرس وذكرنا أن هؤلاء الأولاد يكتبون الدرس ويحفظونه ويشرح لهم في وقت آخر .

وبعد صلاة الفجر قرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن ثم أعلن الشيخ المكي أن فلانا سيلقى محاضرة فتقدمت وكان الشيخ هو المترجم وكان عنوان المحاضرة «من أين تطلب العزة» . وعناصرها كما يلي :

١ — ما من أمة إلا وهي تدعى أنها تريد العزة والمجد .

٢ — مالك العزة هو الله «من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا» فمن طلبها من مالكتها أعطيها . «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» .

٣ — قد يغتر بعض الأغبياء بمُلكٍ أو مال فيظن أنه يستطيع أن يعز غيره أو يذله وهو غرور خادع جعل رئيس طغاة المنافقين يهدد رسول الله ﷺ وأصحابه بالاذلال والافقار ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ .

٤ — وسيلة العزة هي الأمر بالعروف والنهي عن المنكر بمعناها العام الشامل ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . وكذلك الوفاء بصفقة البيع والشراء التي تضمنتها الآية الكريمة : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ إلى قوله : ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ .

٥ — وفقدنا العزة عندما طلبناها من غير الله من اليهود والنصارى في الغرب أو الشرق : ﴿أبيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ .

والذين طلبنا منهم العزة يتعاونون علينا اليهود والنصارى والشيوخيون ، كما هو الحال في إيران ولبنان وقبرص وتشاد وأوغندا وإثيوبيا والصومال وأفغانستان والفلبين وقبل ذلك فلسطين .

٦ - وهذه القدس يعلن رسميا أنها عاصمة إسرائيل الخالدة بين المسلمين الذين يبلغ عددهم ألف مليون تقريبا .

(وكان هذا بعد يوم أو يومين من إعلان إسرائيل ذلك) .

ومن المصادر المذلة التي يطلب المسلمون الآن فيها العزة هيئة الأمم ومجلس الأمن . وبعد أن انتهت المحاضرة التي استغرقت أكثر من ساعة طلب الشيخ المكي من الناس الذين ينتظرون لمصافحتنا أن ينظموا أنفسهم صفوفًا ففعلوا ذلك ووقفنا نصافحهم حتى تعبنا من الوقوف .

أنا قلت : كأنه :

وقال الشيخ المكي والناس يصابحونا : من صابح أحداً من أهل المدينة فكأنه صابح الرسول ﷺ قلت له : استغفر الله فقال أنا قلت : كأنه قلت ولولا تجوز هذه المبالغات . ثم ودعناه وودعنا وذهبنا نحن إلى الفندق للاستعداد للسفر .

إلى جاكرتا :

وجاءنا في الساعة الثامنة والنصف الأخ عبد الحليم ولد الشيخ المكي - وهو أحد الطلبة الأندونيسيين الذين تخرجوا هذا العام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو شاب صالح يرجي له الخير إن شاء الله (ولا أركى على الله أحدا) فنقلنا إلى مطار باندونج للسفر إلى جاكرتا، وأقلعت الطائرة في الساعة التاسعة والنصف . وهبطت في مطار جاكرتا في الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين .

ويشكو المثقفون من وجود الفساد الإداري على مستويات عليا وهم لذلك يخشون من كوارث تهدد البلاد .

غادرنا المطار إلى فندق «سبنج» الذي كنا فيه قبل السفر إلى باندونج .

إلى الفضاء :

في الساعة السابعة والنصف مساء ذهبنا إلى القبة السماوية لمشاهدة فيلم عن بعض الكواكب المشهورة وبدأ العرض في الساعة الثامنة وكان غالبه في حركة الشمس والكواكب

حولها واستغرق العرض ساعة كاملة ، وكان المتحدث إذا وجد فرصة ألقى نكتة يضحك بها الحاضرين الذين اشتدت أبصارهم إلى السماء وطال إنصاتهم للشرح في الظلمة التي لا تخففها إلا أنوار الكواكب المصورة .

فعندما عرض حركة القمر وهو يسير إلى الغرب ، قال المتحدث : نحن الآن في الساعة الرابعة - أى صباحا ، مع إنا كنا في الساعة الثامنة والنصف مساء - هذا هو وقت السحر فمن شاء منكم أن يدرك السحور فليتسحر .

وكذلك عندما عرض نزول الشهب قال : إن بعض الناس يعتقدون أن الدعاء يستجاب عند نزولها فادعوا (وهذه النكتة ما كان ينبغي أن تقال ولكن الأستاذ جاهل وكان ينبغي تنبيهه . ولكن عند الانتهاء يشعل الأنوار ويبدأ الناس في الخروج ولا يعرف المتحدث من غيره) .

محطة الهبوط :

وكان هبوطنا من القضاء في فندق يقيم فيه فضيلة الشيخ محمد المجذوب المدرس بالجامعة الإسلامية والشيخ ناصر الطريفي المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وهما متدبان من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد للاتصال بمبعوثي الرئاسة للدعوة في أندونيسيا ووجدنا عندهما بعض هؤلاء المبتعثين ممن تخرجوا في الجامعة الإسلامية كما إلتقينا عندهما بالأخ الشيخ عبد العزيز عمار مدير المركز العربي السعودي لتدريس اللغة العربية في جاكرتا ودارت مناقشات في شؤون الدعوة الإسلامية اجتمعت الآراء بعدها في أنه يجب التنسيق بين المؤسسات الإسلامية والتعاون في هذا الصدد حتى لا تبعثر الجهود، وحتى يمكن الوقوف ضد مخططات أعداء الإسلام من الشيوعيين واليهود والنصارى بأساليب علمية قوية . وطلب منا الأخ عبد العزيز عمار زيارة المركز فوعدنا بالزيارة مساء غد ثم عدنا إلى الفندق .

٩/٢١ - عبث وتواضع :

في الساعة العاشرة تجولنا في بعض أسواق جاكرتا ثم ذهبنا إلى برج الاستقلال الذي يرتفع - كما قال لنا باهرمز - مائة وخمسة وأربعين مترا ، وقد توج أعلاه بما يشبه الشعلة قال عبد الله وغيره من الطلبة الأندونيسيين أنها من الذهب ، قلت وإلى أمثال هذا البرج الذي تنفق فيه أموال المسلمين في كثير من الشعوب الإسلامية - مع شدة حاجة المسلمين إلى

الأموال التي تنفق في ذلك - أشار الباري سبحانه بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ فكم من آيات عبث شيدت في الشعوب الإسلامية ولم يكتف في تشييدها بمواد البناء العادية بل أضيف الذهب الذي يكون وبالأعلى كائنه فكيف بالعابث به؟! .

ويحيط بالبرج في أسفله بهو واسع وحجرات فيها صور مجسمة تمثل تاريخ أندونيسيا القديم والحديث: صور مجسمة للناس: الشعب والزعماء والرؤساء وأعضاء البرلمان والوقت الذي يستغرقه المسافر في هذا المصعد من أسفل البرج إلى أعلاه دقيقة ونصف الدقيقة .

وألقينا نظرات على مساكن الأندونيسيين في العاصمة (جاكرتا) التي تشبه ظهور الجمال - لكن بدون أسنمة - مكسوة بالأجر الأحمر الداكن الهادي - مثل هدوء ساكنيتها - قصيرة غير مرتفعة - كذلك - إلا بعض العمارات التابعة لبعض الشركات كالفنادق ونحوها تنتشر هنا وهناك شبيهة بالأشباح التي يقيمها الزراع في مزارعهم لتخويف الحيوانات التي تعبت بالمزارع لإيهاها بأنها حراس .

فلفل الهندي وفنجان النجدي :

إتصل بنا الأخ الشيخ عبد العزيز عمار وأصر على أن يضيفنا على طعام العشاء وجاءنا في الساعة السابعة والنصف مساءً وذهب بنا إلى مطعم هندي يديره مسلمون ويسمى : مطعم عمر الخيام فتناولنا طعام العشاء بفلافله وذهبنا بعد ذلك إلى مكتب الأخ عبد العزيز فقدم لنا الشاهي الذي كنا نتمنى أن نذوقه في رحلتنا هذه فلم نذقه إلا عنده وعند الشيخ ناصر الطريفي في الليلة الماضية وزادنا الشيخ العمار القهوة العربية التي صنعها الشيخ (١) القصيمي بعد أن كفكف كُمية عن ذراعيه وأزال طاقيته عن رأسه وأخذ يصب واقفا تلك الوقفة النجدية الكريمة وبعد أن شربت حتى رويت حاولت إقناعه بالكف عن الصب فقال : فنجان واحد بس وخرج النجدي هنا عن عادته فصب حتى إمتلأ الفنجان بدلا من صب القليل في أسفله فشربت ودعوت له . قلت : لقد جمع الله لنا هذه الليلة بيد فلفل الهندي وفنجان النجدي ، ثم تجولنا في المعهد الذي نظم تنظيمها جيدا ولازال إعداده مستمرا .

(١) أحد أساتذة المركز .

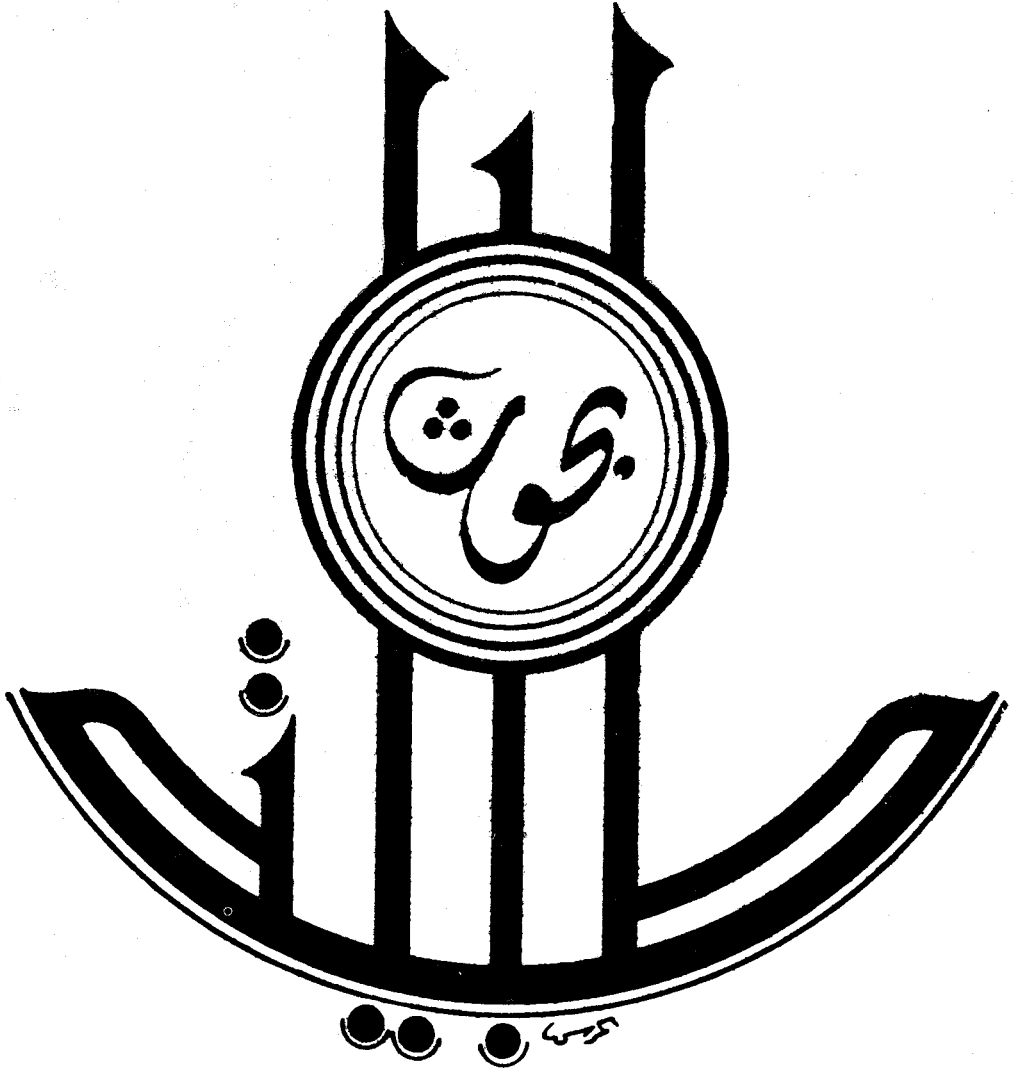
والشيخ العمار متفائل كثيراً بهذا المركز بعد تجربة المدة الماضية التي لا تزيد عن سنة دراسية حقق الله له تفاعله وبارك في جهوده وجهود كل العاملين لنشر الدعوة الإسلامية ووسائله .

وقد طلب منا الأخ العمار تزويد مكتبة المعهد بمجلة الجامعة وما يستجد من الكتب النافعة .



العلم وفضيلته

روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال :
تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح،
والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة . . .
وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين
والمصبر على البساء والضراء .
يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة في
الخير، تقتفى آثارهم، وترمق أفعالهم .
يبلغ العبد به منازل الأبرار، والدرجات العلا، والتفكر فيه يُعدل
بالصيام، ومدارسته بالقيام .
به يطاع الله عز وجل، وبه يُعبد، وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه
توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام .
وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .



أَسْتِعْمَالُ الْأَدْوِيَةِ

د. فوزي محمد سالم

أخصائي الأذن والأنف والحنجرة بمستشفى الجامعة

هناك علاقة مترابطة بين كل من الدواء ، والطبيب ، والمريض ، والمرض . والطبيب والمريض يقفان صفا ضد المرض بسلاح الدواء ، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى تفسير . ولابد أننا بالطبيب لوجدنا أنه الذي أعطاه الله ميزة لم تعط لغيره ، كما فرض عليه التزام لم يفرض على سواه ، وهو معالجة المريض ، وهذا يحتاج إلى علم ومعرفة في العلاج وأساليبه فهو يصف الدواء ضد المرض محاولا علاج المريض وتخليصه من آلامه .

ويجب علينا أن نعرف استعمالات الدواء حتى لا تنتج نتائج عكسية من سوء استعماله . والدواء يستعمل في المجالات الآتية :

١ - مجالات تشخيصية .

٢ - مجالات وقائية .

٣ - مجالات علاجية .

والدواء أصبح سببا في إحداث أنواع من الأمراض إذا أسىء استعماله . وتأثيرات الدواء الضارة يمكن أن تصيب كل عضو وجهاز في جسم الإنسان .

ذلك لأن الدواء الذي يُستعمل دون توجيه طبي يكون خطراً ، إذ أن مستعمله قد لا يدري إن كان هذا الدواء مخدراً أو مهبطاً أو حتى قاتلاً ، فربّ مريض عالج نفسه من زكام بالسلفوناميد أو البنسلين فيموت من الدواء لا الداء .

وقد عرفت بالتجربة الشخصية أن أغلب أساتذتي لا يستعمل أكثر من أربعين أو خمسين مركبا ، يعرفون فاعليتها وأمانها فيصفونها لمرضاهم فيأتي الشفاء بإذن الله على أيديهم بسبب هذه الأدوية . إلا أن كثرة التردد على الأطباء يجعل المريض يستعمل أكثر من دواء ، وكل دواء به أكثر من مركب .

وبملاحظة أحد المرضى تردد على خمس عيادات في دورة واحدة ، وجد أنه وصفت له خمس وصفات بها أكثر من اثني عشرة صنفاً من الدواء يحتوى على ما لا يقل عن ثلاثين مركباً . وهذه المركبات لها آثارها لاشك في جسم الإنسان .

وقد لوحظ أكثر من ٢٥ - ٤٥٪ من المرضى يخطئون في استعمال الأدوية الموصوفة لهم مما يؤدي إلى حدوث تأثيرات عكسية بسبب سوء استعمال الدواء ، وهناك صنف من المرضى يبلغون حوالي ٣٠٪ من مجموع المرضى لا يتناولون الأدوية التي توصف لهم ولكنها هوية العرض على الطبيب أو عدم الاقتناع أساساً بالدواء الموصوف ، وهناك صنف آخر يرجون من الدواء أن يفعل فعل السحر بتناول جرعة واحدة أملاً في الشفاء العاجل وإلا كان مصير باقى الدواء صناديق القمامة .

وهناك صنف من المرضى يخطئون في تناول ما يشترونه من الدواء بدون إرشاد الطبيب فضلاً عن أنهم لا يقرأون ما كتب من تعليمات لتناول الدواء ، بل إن بعضهم لا يهتم بما كتب الطبيب أصلاً .

وهناك صنف آخر أشد خطراً وهم الذين يتركون الدواء بعد الجرعات الأولى عندما يحسون بمظاهر التحسن .

وسوء استعمال الدواء ينجم عنه ما يأتى :

- ١ - نقص في مفعول الدواء ذاته .
- ٢ - حدوث تفاعلات عكسية من الدواء .
- ٣ - تفاعلات مضادة باستعمال عدة أدوية في نفس الوقت .

ولابد من القول بأنه لا يمكن بحال من الأحوال مراقبة المريض خارج المستشفى أو العيادة في أخذ جرعات الدواء المناسبة .

فالأدوية مواد كيميائية غريبة ، يمكنها أن تحدث استجابات مناعية معينة ، لكن بعض المرضى يكونون مستعدين للإصابة بتفاعلات عكسية ، لذلك فمن الجرعة الأولى يحدث التفاعل الدوائى المعاكس ، ووجود مرض الكلى أو الكبد أو الأمعاء يزيد من تفاعلات الدواء المعاكس .

ونتيجة لتعدد الأدوية ، تزيد مشكلة المرض الناتج عن استعمال الدواء باطراد . والتفاعلات أو الآثار الجانبية للدواء تنقسم إلى ما يلي :

- ١ - منها ما يقرب من ٣٠٪ - مظاهر معدية ومعوية خاصة القيء والإسهال .
- ٢ - ومنها حوالي الخمس - آثار عصبية ونفسية .
- ٣ - ومنها العشر تقريبا - عوارض قلبية .
- ٤ - ومنها ٥٪ - تغيرات دموية وتأثيرات أخرى .

والآثار المعوية والمعدية تعادل في النساء ضعف ما يحدث للرجال ، ونسبة الوفيات بسبب الدواء من العلاج ببعض المستشفيات تتراوح بين ١ - ١٠٪ . وأكثرها نتيجة لاستعمال « البنسلين » و « الديجتالس » .

وهنا يتبادر للذهن سؤال هام ، ألا وهو :

ما هي الأسباب لهذه التفاعلات الدوائية ؟

وهذا الموضوع في الحقيقة لبّ البحوث الطبية في أنحاء البشرية ، ذلك أن التفاعلات الدوائية تعود لسببين : إما في الدواء نفسه ، وإما في المريض ذاته .

أو أن الشخص تبدولديه حساسية غير عادية لتأثيرات الدواء .
وربما يكون عند المريض مناعة لهذه المركبات من الأصل خلقياً .

والتفاعلات بصورها الثلاث هي :

(١) مُسهّلة : إذا التهابت الأمعاء .

(٢) مُشوهة : إذا أحدثت تشوهات لأجنة الحوامل .

(٣) سُمية .

فإذا كان تفاعل العلاج يعود للدواء ذاته ، فعلاجه يكون بإنقاص الجرعة ، وإذا كان السبب لنقص في المناعة ، فهذه هي المشكلة ، ذلك أن الخلل يكون عادة في الامتصاص أو التركيز في الدم أو الإفراز ، أولوراثة شاذة كما عند بعض الأطفال الذين تعوزهم « خميرة جلوكوز - ٦ - فوسفات »

تفاعل الدواء مع الدواء :

إن الطريقة الشائعة باستعمال أدوية عديدة ، تزيد من التفاعل القوي على المرض أو تزيد من خطر التسمم ، وربما تمنع الفائدة الكلية أو الجزئية للدواء .

وفي هذا المجال نضرب أربعة أمثلة لأدوية متداولة :

١ - مثال التفاعل لإحداث أثر قوى : لو أعطى مركب السلفاميد مع مريض يأخذ «تولبوتاميد» فإن هذا يزيد من نقص السكر بالدم .

٢ - أما التسمم : فلوتعاطى مريض مركب «الجانتاميسين» ومعه «حمض الأتاكين» لعلاج الأذن ، لفقدت الأذن حاسة السمع .

٣ - ولو تناول مريض شراباً ضد الحموضة : «به مركبات الألومنيوم» وتناول مركب «التراسيكلين» . . لأدى هذا إلى اضطراب في الامتصاص المعدي المعوي .

٤ - ولو أعطى مركب الحديد وهو أصلاً يعالج «بالتراسيكلين» لتوقف امتصاص الأخير تماماً في الجسم ولا مفعول له .

ظواهر التفاعلات الدوائية :

لابد لنا من جولة مع الآثار الجانبية للتفاعل الدوائي في الجسم وما يترتب عليه من آثار على أجهزة الجسم المختلفة ، مع ذكر بعض أسماء من الأدوية التي يعرفها الجميع وربما تناولها . ويمكن أن نبين الآثار الجانبية على كل عضو على حده فيما يلي :

أولاً : الجلد :

الجلد هو أكثر أعضاء الجسم تأثراً بالتفاعل الدوائي بل إنه المرآة الصادقة للأثر الناجم عن أى دواء ، والعلامات التي يظهرها الجلد هي :

أ - الطفح الجلدي : ذات الشكل الحصى وهو شائع بين معظم الأدوية .

ب - الحكمة : كثيرة الحدوث مع الطفح أو بدونه .

ج - تغير لون الجلد : وهذا ينتج عن فرط استعمال فيتامين « أ » وكذلك استعمال مانعات الحمل الفمية .

د - سقوط الشعر : مع مركبات الهيبارين - والكلوشيسين .

ثانياً : الجهاز الهضمي :

أ - بداية من الغثيان - القيء - الإسهال - آلام البطن - التهاب اللثة - قرحة المعدة

التي تحدث غالباً من كثرة تناول الأسبرين ومضادات التجلط .

ب - تليف الكبد ، هالوثان .

ثالثاً : الدم :

إن حدوث تغييرات في عناصر الدم المكونة شائع الحدوث في بعض الأدوية ، إلا أن منها ما لا تأثير له على الدم ، ولازال مركب البنسلين هو الدواء الذي لا يحدث تغيراً في مكونات الدم :

أ - نقص عناصر الدم : يحدث مع الكلورامفينكول ، الفنيل بيوتازون .

ب - انحلال الدم : مع مركبات السلفا .

ج - فقر الدم : مضادات حمض الفوليك .

د - نقص الصفائح الدموية : المسكنات والمهدئات .

رابعاً : الحمى :

قد تكون حدوث الحمى ظاهرة منفردة للحساسية الدوائية ، وأغلب المستحضرات قد تُحدث تفاعلٍ حُمىٍّ مع الجرعات الأولى للدواء أوفى الأسبوع الثاني من العلاج . والحمى ترافق أحياناً مع زيادة كريات الدم البيضاء ، وتزول تدريجياً بعد إيقاف الدواء بفترة قصيرة .

خامساً : الاضطرابات العصبية :

هناك تظاهرات عصبية خلال المعالجات الدوائية ، وأكثرها شيوعاً حدوث تغييرات في الوعي أو نعاس كما يحدث مع المهدئات والأتروبين والديجتالس . لكن أشد هذه خطورة الإدمان لمركبات المورفين والبيتدين .

سادساً : القلب :

أ - عدم انتظام ضربات القلب مع مركبات الديجتالس ، الأتروبين ، الكينينين .

ب - قصور القلب وضعف عضلة القلب مع مركب الإيمينين .

سابعاً : الكلى :

أ - الخلل الكلوى أو القصور الكلوى وهذا ينتج عن مركبات الديالتين ،
السلفميد ، الكلوشيسين .

ب - حصيات الكلى : الكثرة فى تناول فيتامين « د » .

ثامناً : العين :

أ - اضطرابات عضلة العين مع مركبات بوليميكسين « ب » .

ب - اعتلال الشبكية .

ج - التهاب العصب البصري مع ستر بتوميسين ، كلورامفينيكول ، مانعات الحمل
الفمية .

تاسعاً : الأذن :

بعض الأدوية يسبب صمماً للعصب السمعى ، وأهم هذه الأدوية هى :
الاستر بتومايسين - النيومايسين - الكاناميسين - الكلوربورمازين .

عاشراً : الجهاز التنفسى :

والاضطرابات الدوائية على صورة ربو - أوضيق فى التنفس ، مع مركبات
الأسبرين والأندوسيد .

تشخيص التفاعل الدوائى :

هنا يكون الدور الرئيسى للطبيب ، الذى تتبين مهارته فى البحث عن هذه
التظاهرات الناجمة ، هل هى من الدواء نفسه أم من مناعة المريض ، أم هى نسبة لمرض
عضوي أصلاً .

على هذا فإن عدداً من الأمور لابد وأن تتبادر فى ذهن الطبيب وهى :

١ - معرفة الدواء أو الأدوية المتعاطاة .

٢ - تقدير إمكان حدوث تفاعلات بين هذه الأدوية .

٣ - العلاقة الزمنية بين إعطاء الدواء وحدث المرض .

٤ - المعرفة والإلمام بالظواهر التى تسببها بعض الأدوية .

فالتعرف على المرض الحاد نتيجة الخاصة الدوائية للعلاج أسهل بكثير من التعرف على المرض الناجم عن المناعة .

فعلى سبيل المثال : من السهل معرفة اضطراب القلب مع مريض يتناول الديجيتالس ، أو معرفة السبب في نقص السكر في مريض علاجه الإنسولين أو التزيف في مريض يُعطى مضادات التجلط . بينما لا يكون سهلاً معرفة السبب في حدوث الحمى والطفح الجلدي . فإذا أوقف العلاج عند حدوث التفاعل . و زال التفاعل ، كان هذا دليلاً قاطعاً على العلاقة بين العلاج والتفاعل الواضح . كذلك إذا خفت الجرعة ، يقل التفاعل ، لكن توجد صعوبة إذا كان المريض يتعاطى أكثر من صنف من الأدوية .

والجديد في الطب الآن هو معرفة مستوى الدواء في دم المريض وفي بوله أيضاً لتعرف درجة التركيز بهما ، والحكم عليها بمعايير معينة للحكم عليها إن كانت الجرعة سمية أو غير سمية .

أما عن سؤال المريض وسرد قصته السريرية للمرض ، وهل عندك حساسية لأي نوع من الدواء ، فهذا هام في التشخيص .

المعالجة والوقاية من الدواء :

مهما كان السبب فلا بد أخي القارئ من أخذ مشورة الطبيب في الدواء ، ولا تأخذ وصفةً من صديق على أنها مجربة ، فإن ما يصلح لمريض لا يصلح لغيره ، ويجب الحذر من تعاطي أنواع كثيرة من الدواء ، منعاً للتفاعل . ولا بد لك من سؤال : هل مرضك يستحق تعاطي هذه الأدوية كلها ؟

ليس من المعقول أن يخوض المريض حرباً مع المرض بدون القائد وهو الطبيب ، فربما كان السيف الذي يجمله وهو الدواء يصل إلى أن يغمد في صدره لا في مرضه .

أما لو حدثت تفاعلات دوائية ، فعلاجها وقف العلاج فوراً . وينصح بإعطاء مضادات الهستامين ، وفي بعض الأحيان مركبات الكورتيزون .

أما إزالة الحساسية الناجمة عن دواء ما ، فهذا يتأتى بإعطاء جرعات صغيرة متدرجة تدرجاً تصاعدياً في الكمية ، لحث الجسم على بناء مناعة ضد هذه الحساسية المعينة .

وفي نهاية هذا البحث أؤكد أنني أردت منه أن تأخذ جانب الحذر عند استعمال الأدوية ، ولابد من استشارة الطبيب في استعمالها ، ومع ذلك يجب أن نقتل من الدواء بقدر ما نستطيع ، ذلك أن بعضها يقتل ، وبعضها يؤدي .

ولقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بجنود داخل أجسامنا تقاوم الأمراض وتصارعها ، فلا تقلل من قوتها بكثرة الدواء .

اسأل الله العافية والصحة للجميع .

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون إلى تفضيل المنطق :

إنما بعثت الأنبياء متكلمين ، ولم يبعثوا صامتين . وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت . وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والبيان من الكلام هو الذي منّ الله به على عباده ، فقال : ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ .

والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ، ونفع الصمت خاص لفاعله .

قالوا : وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم :

الكلام في الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرثي الإمام مالك بن أنس :

صموت إذا ما الصمت زين أهله

وفتاق أبقار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة

ونيطت له الآداب باللحم والدم

مِنْ أَهْلِ سَلَامَةِ عَيْنِكَ

د. فكري السيد عوض

انفصالي العيون بمستشفى الجامعة

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، ومن بين هذه النعم
نعمة الإبصار . ولا ينكر إنسان أهمية الإبصار وقيمته في الحياة ، ولذلك كان ولا يزال
الاهتمام بالعين عظيماً .

ولكى نحافظ على سلامة هذا الجهاز الرباني الدقيق فإنه يجب معرفة بعض الأشياء
الضرورية المتعلقة بسلامة العين ، فالوقاية دائماً خير من العلاج ، ولذلك فإن الطب
الوقائي يعتبر جزءاً هاماً من فروع الطب .

وستعرض في بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه للنقاط الأساسية الآتية :

- ** متى تبدأ العناية بالعين ؟
- ** كيفية الوقاية من أمراض العيون ؟
- ** بعض الأمراض التي تؤثر على قوة الإبصار ؟
- ** ماذا يعني احمرار العين ؟ ونزف العين ؟
- ** ماذا تفعل إذا دخل جسم غريب في عينك ؟
- ** ما هو تفسير ما يسمى « بالذبابة الطائرة » وهل لها علاج ؟
- ** فيتامينات تتعلق بسلامة العين .
- ** ما يتعلق بالنظارات بجميع أنواعها .
- ** متى تبدأ العناية بالعين ؟
- أولاً : قبل الزواج :

وهو يتعلق باختيار الزوج لزوجته حيث يجب مراعاة عوامل الوراثة فهناك بعض
الأمراض التي تصيب العين تنتقل بالوراثة وتكون الإصابة بها أشد لو كان الزوجان من عائلة
واحدة وكل منهما حامل لعامل الوراثة .

فمثلاً إذا كان الأب مصاباً بقصر نظر شديد ، والأم مصابة بنفس المرض فالغالب أن يكون الأطفال مصابين بنفس المرض وربما يكون بدرجة أعلى كثيراً من نفس النسبة لو أن كلا منهما تزوج بآخر سليم .

وكذلك حالات الضمور الشبكي التلوني الذي تبدأ علاماته في وقت مبكر وتزداد الحالة سوءاً حتى يفقد الشخص بصره في أوائل سن الشباب ، وليس لهذا المرض علاج حتى الآن .

ثانياً : بعد الزواج وأثناء الحمل :

وهذا يتعلق بالرعاية الصحية للأم أثناء فترة الحمل ، وعدم إهمال علاجها ، والعناية بتغذيتها وإعطائها الكميات اللازمة من فيتامينات وأملاح كالكالسيوم . فالأم تحتاج إلى فيتامين « أ » أثناء الحمل ، لأن الجنين يمتص هذا الفيتامين من الأم ، ولذلك فإن على الحوامل الإكثار من أكل الخضروات ، والجزر ، واللبن ، والبيض ، والكبد ، والزيت الحيوانية .

ومعروف أن نقص فيتامين « أ » يؤدي إلى عدم الرؤية ليلاً ، وإلى جفاف العين ، وكثرة التعرض لحدوث القرحة في القرنية .

وفي نفس الوقت نحذر من المبالغة في تناول فيتامين « أ » على هيئة حبوب أو حقن لأن ذلك قد يؤدي إلى حدوث مضاعفات في الجهاز العصبي ، والعظمي ، . . . الخ .

وفي هذه الأيام التي يكثف فيها استعمال أقراص منع الحمل ، لوحظ أنها تتسبب في بعض حالات داخل الجسم الزجاجي وفي الشبكية .

وبعض السيدات تحاول إجهاض أنفسهن بمركبات « الكينين » التي ربما تتسبب في فقد أبصارهن لتأثير هذه المركبات على الشبكية .

ثالثاً : بعد الولادة :

يجب على الأم والأب الانتباه إلى عيني وليدهما منذ اللحظة الأولى لولادته ، هل لون عينيه غريب ؟ هل حجمهما أكبر من المعتاد ؟ هل تتحركان حركة بندولية باستمرار ؟ هل تساعدان الطفل في مشيته ؟ وإذا لاحظنا شيئاً من ذلك فلا بد من عرضه على الطبيب قبل أن يفوت الأوان .

كذلك فإنه من المعروف أن عين الطفل لا تدمع قبل مرور عشرة أيام على الأقل بعد الولادة ، ومن هنا يجب التنبيه إلى أن أى تدميع من العين قبل هذا الوقت قد يكون أولى علامات الرمذ الصديدي في الأطفال الحديثي الولادة ، وقد يتطور بعد ذلك ويظهر المرض في صورته الكاملة من إفراز صديدي من العين واحمرار للملتحمة ، وتورم للجفون . وخطورة هذا المرض تكمن في مضاعفاته مثل قرحة في القرنية أو سحبات بالقرنية . ولذلك يجب الوقاية من هذا المرض قبل حدوثه عند أقل اشتباه في حدوثه لأن الكثير من حالات العمى قد تنتج من هذا المرض .

رابعاً : المحافظة على نظافة العينين :

المحافظة على نظافة العينين بغسلها مرتين على الأقل في اليوم وعدم لمسها بالأيدى المتسخة أو المناديل الغير نظيفة .
ومن المعروف أن العين ترعى نفسها بنفسها ، ولا لزوم لاستعمال القطرات أو المراهم .

خامساً : راحة العينين :

ويتم ذلك عن طريق راحة البدن ، وتوفير الظروف الملائمة لقيام العينين بوظيفتهما مثل الإضاءة ، والغذاء الجيد ، والهواء الطلق .

سادساً : القراءة وعين الطفل :

تعتبر القراءة عملية مركبة تعتمد على عدة عوامل أهمها الإبصار ، والإضاءة ، وعمر الشخص ، ودرجة ذكائه ، وخبرته في القراءة ، واللغة ، ومدى إلمام القارئ بها ، وطريقة الطباعة ، وحجم الحروف ونوع الورق ، ولذا فإنه يجب عند طبع كتب الأطفال مراعاة الدقة ، فالحروف لا بد أن تكون كبيرة ومطبوعة على ورق جيد ذات ألوان جذابة .

ويجب توفير الإضاءة المناسبة للطفل أثناء القراءة ، وعدم تقرب الكتاب من العينين .

وكذلك يجب مراعاة ظروف الإضاءة في الفصول الدراسية بالمدارس بحيث لا يكون الضوء مبهرًا ولا خافتًا ، وأن تكون المقاعد التي يجلس عليها الأطفال بحيث لا يضطر الطفل إلى الانثناء بجسمه أو رقبته على مكتبه .

والقراءة في ظروف إضاءة مناسبة لا تسبب أى إجهاد للعينين أو احمرار فيهما أو صداع . فإذا حدث شىء من ذلك فيجب استشارة الطبيب لأنه قد يكون الطفل مصاباً بطول نظر أو قصره أو بحول ظاهر أو بحول غير ظاهر .

سابعاً : التليفزيون والعين :

إذا كانت العين سليمة فإنه يمكن مشاهدة التليفزيون بدون تعب إذا توافرت الشروط السليمة لذلك .

ولا أساس لما يقال إن مشاهدة التليفزيون تستهلك العينين .

كذلك فإن التليفزيون لا يسبب انكسار العين (من طول أو قصر النظر) ولكن قد يحدث أن شخصاً ما عنده بالأصل قصر نظر وعندما يشاهد التلفزيون يكتشف أن الصورة لا تتضح له إلا إذا اقترب من الشاشة ، فقصر النظر موجود فعلاً بالعين ومشاهدته للتلفزيون جعلته يشعر بهذا القصر .

ويجب اتباع الشروط التالية أثناء المشاهدة :

١ - وضوح الصورة :

فإذا كانت الصورة غير واضحة ، أو كانت مهزوزة فإن العين تبذل جهداً مضاعفاً في سبيل رؤيتها .

٢ - إضاءة الحجرة :

فإذا كانت الشاشة مضيئة ، وبقية الغرفة مظلمة ، فإن ذلك يجهد العين . فيجب أن تكون الحجرة محتوية على إضاءة بسيطة وغير مباشرة .

٣ - وضع الجهاز :

وأفضل مكان هو أن تكون الشاشة في مستوى النظر ، وتكون أمامها مباشرة وليس على أحد جوانبها .

٤ - المسافة الصحيحة :

وهذا يتوقف على حجم الجهاز ، فإذا كان الجهاز كبيراً ، وضع على مسافة بعيدة . وعلى العموم فإنه لا يجب أن تقل المسافة في حالة الجهاز الصغير عن مترين . وكذلك لا يصح وضع جهاز كبير في غرفة صغيرة .

ولا شك أنه بعد ساعات من المشاهدة تشعر العين بالإجهاد ، وهذا شىء طبيعي ،
ولذا ينبغي أن تريح العين بعض الوقت على فترات أثناء المشاهدة .
وبعد اتباع كل هذه الشروط ومراعاة هذه الأوضاع السليمة ، إذا حدث إجهاد للعين
فإن المشكلة إذن تكون في العين ، ويجب استشارة الطبيب .

* * * وماذا عن الغذاء والعين ؟

والتغذية لا تعنى الشبع والارتواء ، ولكنها تعنى الغذاء الشامل المحتوى لجميع
العناصر اللازمة لقيام جميع أجهزة الجسم بوظائفها وتمكنه من الوقاية من الأمراض ،
والاستغناء عن الدواء .

والعين من أهم الأعضاء التى تتأثر بالطعام ، وهناك فيتامينات تتعلق بسلامة العين
ومن أمثلتها :

١ - فيتامين « أ » :

وهو يمتص عن طريق الأمعاء ويدخل الدورة الدموية ويقوم الكبد بتخزينه ويحتوى
كبد الإنسان على مخزون كبير من فيتامين « أ » يكفى لعدة شهور .

وتزداد حاجة الجسم إلى الفيتامينات خلال سنوات النمو ، أو عند القيام بمجهود
عضلى ، أو عند الإصابة بالمرض .

وفيتامين « أ » يلعب دورا هاما في حماية سطح القرنية والملتحمة ، والرؤية ليلا . وهو
موجود في مصادر نباتية مثل الجزر والأوراق الخضراء . وكذلك في مصادر حيوانية مثل اللبن
والبيض والزيت الحيوانية .

ملحوظة : يجب معرفة أن الطعام العادى يوفر للجسم احتياجاته من المواد المختلفة
وأن زيادة بعض المواد عن احتياجات الجسم لا تكون ذات فائدة بل تسبب أضرارا في بعض
الأحيان .

٢ - فيتامين « ب » المركب :

نقص هذا الفيتامين يؤدى إلى التهاب في الأعصاب وخاصة العصب البصري . وهو
موجود في البقول واللحوم الحمراء ، وخميرة البيرة ، والكبد ، والبيض ، واللبن ،
والفواكه ، والسّمك . وهو يساعد على بقاء القرنية شفافة .

٣ - فيتامين « ج » :

يوجد في الخضروات والفواكه الطازجة (يفقد مفعوله بالتسخين) وخصوصا الليمون ، والجوافة ، والطماطم ، والموالح .
ونقصه يؤدي إلى حدوث أنزفة في بياض العين (تحت الملتحمة) والتهابات في القرنية .

٤ - فيتامين « د » :

وهو موجود في الزيوت الحيوانية - ويعمل الجسم على إيجاده عند التعرض للشمس - ونقصه يؤدي إلى الكتاركتا وقصر النظر .

**** بعض الأمراض التي تؤثر على قوة الإبصار :**

أولاً : مرض البول السكري :

في بداية مراحل هذا المرض تحدث أنزفة دقيقة وارتشاحات في الشبكية ، ومع ضبط السكر بالعلاج تختفي هذه الظاهرة تماما .

ومع مرور السنين وعدم الانتظام في العلاج : تحدث تغيرات كبيرة في جدران الأوعية الدموية وفي الدم نفسه يؤدي إلى زيادة الارتشاحات والأنزفة في الشبكية ، وتتكون تورمات في الأوعية الدموية . وقد يؤدي ذلك إلى التأثير السىء على النظر .

وهناك حقيقة علمية تتعلق بهذا المرض وهي أن كمية الدم الشرياني الواصلة إلى الشبكية لا تكفى لتغذيتها ويترتب على ذلك تكوين أوعية دموية جديدة ذات جدران ضعيفة سهلة الإدماء ، ولذلك يحدث النزيف المتكرر الذى يؤدي إلى فقد البصر .

ويمكن تشخيص هذه الحالات في وقت مبكر بواسطة تصوير قاع العين بصبغة الفلوريسين .

ويمكن علاج هذه الحالات بأشعة الليزر التي توجه إلى حرف الشبكية فتدمره وبذلك يصبح الدم الشرياني الواصل للشبكية كافيا لتغذية المنطقة الهامة للبصر والقراءة .

ونسبة حدوث الكتاركتا (المياه البيضاء) أكثر حدوثاً في مرضى السكر الذين لا يواظبون على العلاج .

وعدم ضبط السكر قد يؤدي كذلك إلى التهاب في الأعصاب وشلل في أعصاب وعضلات العين (ارتخاء الجفون . . . قلة أو عدم حركة العين نحو اتجاه معين . . .) لكن العلاج المبكر يؤدي إلى الشفاء .

ثانياً : ضغط الدم :

كثيراً ما ينتج عن ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين حالات من النزيف في قاع العين أو جلطة دموية في قاع العين .

ثالثاً : اليرقان :

حيث يلاحظ وجود اصفرار شديد بالعين الناشئ عن وجود مادة الصفراء في الدم وانتشارها في أغشية العين المختلفة ، ويصاحب ذلك زغللة في الإبصار .

رابعاً : الضعف الشديد :

في حالات الانيميا الشديدة يلاحظ المريض وجود زغللة في النظر ، كما أنه يفقد الإبصار لفترة قصيرة وخاصة عندما يقف فجأة .

وفي هذه الحالة يكون قاع العين سليماً ويكون العلاج بتعاطي الدواء اللازم لمعالجة الضعف العام .

خامساً : أمراض أخرى :

مثل : البولينا - تسمم الولادة - نقص فيتامينات - التهابات بالأسنان أو بالأذن أو بالجيوب الأنفية - وأورام المخ .

** ماذا عن احمرار العين ؟

إن احمرار العين يعتبر بمثابة إنذار يدق ويعلن أن هناك خطراً يترتب بالعين ويجب معرفة مصدره والتغلب عليه (مثل ما إذا حدث ارتفاع في درجة حرارة الجسم فإن ذلك إنذار بأن هناك خطراً يهاجم الجسم ويجب اتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء عليه) .

وأكثر حالات احمرار العين تعتبر بسيطة وعلاجها بسيط ، ولكن المشكلة تنحصر في كيفية التفريق بين الأسباب البسيطة والأسباب الخطيرة .
ومن هذه الحالات :

(أ) حالات احمرار الملتحمة : وهو يحدث نتيجة لأحد الأمراض الآتية :

١ - التهابات الملتحمة نتيجة الإصابة بالميكروبات :

حيث يكون احمرار العين داكنا وواضحا ، مع وجود إفرازات كثيرة من العين (مخاط أو صديد) .

ويكون علاجها بغسل العين بمحلول مطهر عدة مرات يوميا واستعمال القطرات والمراهم التي تحتوي على المضادات الحيوية . وإذا كانت الالتهابات شديدة فإنه يضاف إلى العلاج مضادات حيوية عن طريق الفم .

٢ - نتيجة حساسية الملتحمة :

حساسية لعوامل عدة في الجو من أشعة الشمس والأتربة أو بعض الروائح أو غير ذلك . الاحمرار يكون فاتح اللون مع الرغبة الشديدة في دعك العين لشعور المريض بأكلان شديد .

وعلاج ذلك باستعمال النظارات الشمسية ، وقطرات مسكنة وأحيانا مكمدات مياه مثلجة في الحالات الشديدة .

٣ - أسباب عامة :

مثل الإلراف في التدخين والمشروبات الكحولية .

مثل عدم النوم لفترة كافية والإجهاد الطويل .

يكون الاحمرار بدرجة بسيطة غير مصحوبة بأية إفرازات أو دموع ، وتظهر بوضوح عند الاستيقاظ من النوم صباحا .

وعلاجها بتلافي الأسباب التي أدت إلى ذلك .

(ب) حالات الاحمرار الأكثر خطورة :

وهي حالات الاحمرار الهدبي ، حيث يكون الاحمرار في بياض العين في الجزء المحيط بالقرنية وتخف درجته كلما بعدنا عن القرنية .

وهذا النوع يكون علامة رئيسية للأمراض الآتية :

(١) التهاب القرنية :

والقرنية هي الجزء الملون من العين والذي يعطي العين لونها .
يكون مع احمرار العين ألم شديد داخل العين مع صعوبة فتح العين في الضوء وربما
يصحبه نقص في الإبصار ولكن بدرجة بسيطة .
ولا بد من استشارة طبيب العيون على الفور .

(٢) قرحة القرنية أو التهاب القرنية :

ويكون مع احمرار العين ألم شديد ووخز شديد بالعين مع كثرة الدموع بدرجة كبيرة .
ولا بد من استشارة الطبيب سريعا .

(٣) ارتفاع ضغط العين الحاد :

وهو ما يسمى بالمياه الزرقاء .
ويكون احمرار العين مصحوبا بصداع نصفي شديد يصل أحيانا إلى درجة القيء مع
نقص كبير ومفاجيء في قوة الإبصار .
ويجب عرض الحالة على الطبيب في أسرع وقت لشدة خطورتها وتطورها السريع
الذي قد يؤدي إلى فقد البصر .
** وماذا عن الذبابة الطائرة ؟

عبارة عن نقطة أو مجموعة من النقاط أو الخيوط السوداء التي تتحرك أمام الإنسان مع
حركة عينيه ، وقد تظهر بعض الوقت ثم تختفي .

ومعظم الحالات تكون العين سليمة تماما وقاع العين طبيعيا .
وفي بعض الأحيان تكون ناتجة عن وجود مرض في العين يظهر بعد ذلك بفحص قاع
العين .

** وماذا تفعل إذا دخل جسم غريب في عينك ؟ .

(١) كثيرا ما يحدث أن تدخل في العين حبة تراب صغيرة . أو قطعة (رايش)
صغيرة من الحديد أو من نشارة الخشب . وعندما يحدث ذلك فإن الدموع تنسكب من العين
بكميات كثيرة قد تكفي هذه الدموع في بعض الحالات لإزالة الجسم الغريب . . . ولكنها
قد لا تفيد .

وأسوأ ما يعمل في هذا الوقت هو دحك العين لأن ذلك قد يؤدي إلى دفع الجسم الغريب إلى الداخل أكثر فأكثر ويزيد من احتمالات الإصابة بالميكروبات الضارة بالعين .
والواجب في هذه الحالة وضع قطرة مضادة للميكروبات وربط العين والإسراع للطبيب .

(٢) وقد تكون الإصابة بجسم غير حاد (مثل الكرة ، قبضة اليد) فيحدث تورم الجفون وكدمات بها .

ويساعد على سرعة الشفاء عمل كمادات باردة في أول يوم ثم كمادات ساخنة بعد ذلك لسرعة امتصاص النزيف تحت الجلد . ويختفى الدم في خلال أسبوعين .

(٣) وقد تكون الاصابات بالكيماويات (الأحماض والقلويات أو الزيت الساخن) خاصة في المصانع والمعامل ، أو في المنازل (مساحيق الغسيل) .
وهي تسبب حرقا كيمياويا في الجفون والعين .

وأهم شيء يمكن عمله هو تخفيف هذا الحامض بالماء فوراً ، أى غسل العين بالماء كثيرا حتى يتم العرض على الطبيب بأقصى سرعة .

(٤) الأشعة فوق البنفسجية :

يكثر التعرض للأشعة فوق البنفسجية في بعض المهن مثل اللحام بالكهرباء أو العاملين في قطاع الكهرباء بدون استعمال النظارات الواقية .
وهي تسبب التهاب القرنية المنقط .
وقد يشعر المريض بألم شديد في العين مع احمرارها وزيادة إفراز الدموع وعدم المقدرة على مواجهة الضوء .

(٥) التهاب الشبكية الناتج من كسوف الشمس :

بعض الناس ينظرون بعيونهم مباشرة إلى كسوف الشمس فينتج حرق في الشبكية يؤثر على قوة الإبصار ولذلك يجب استعمال النظارات الشمسية .
نسأل الله تعالى أن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ويجعله الوارث منا .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بَابُ

الْفِتَاوَى

الْحَرْفُ

حول مشروعية نقل الحيوان من استراليا إلى بلادنا

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارة التوجيه العلمي والإفتاء والدعوة والإرشاد

الدكتور : (ت . عبد الهادي اسكينر) . من استراليا وجه سؤالاً حول نقل الحيوان من استراليا إلى الشرق الأوسط . . . وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة طالبا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ان يجيبه على سؤاله . . . وكان جواب فضيلة الشيخ كما يلي :

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى جناب الأخ المكرم الدكتور: ت . ج . عبد الهادي اسكينر وفقنا الله وياه .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فقد اطلعت على رسالتكم بخصوص ما رغبتم في كتابته منا في موضوع نقل الحيوان من بلادكم باستراليا إلى الشرق الأوسط وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة واحوال السفن التي ينقل عليها وما ينتج من الزحام وما إلى ذلك . وإذ ندعو الله ان يسلك بنا وبكم واخواننا المسلمين صراطه المستقيم لنشكركم على اهتمامكم بهذا الجانب المهم . كما تسرنا اجابتكم على ضوء نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة الواردة بالحث على الاحسان الشامل للحيوان مأكول اللحم وغير مأكوله مع طائفة من الاحاديث مما صحح في الوعيد لمعذبه سواء كان ذلك نتيجة تجويع أو اهمال في حالة نقل أو سواه .

فما جاء في الحث على الاحسان الشامل للحيوان وسواه قوله تعالى : ﴿واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ . وقوله تعالى : ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان﴾ الآية وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن : «ان الله كتب الاحسان على كل شىء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد احدكم شفرته فليرح ذبيحته» ، وفي رواية : «فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته» .

وفي اغاثة الملهوف منه صح الخبر بعظيم الأجر لمغيثه وغفران ذنبه وشكر صنيعه فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - ان رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش .

فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملاً خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . فقالوا يا رسول الله ان لنا فى البهائم لاجرا . فقال فى كل كبد رطبة أجر .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ «بينما كلب يطيف بركة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته اياه فغفر لها به» . رواه مسلم فى صحيحه ، وكما حث الإسلام على الاحسان وأوجبه لمن يستحقه نهى عن خلافه من الظلم والتعدى فقال : ﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾ . وقال تعالى : ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ . وفى صحيح مسلم : ان ابن عمر -رضى الله عنهما- مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها . فقال ابن عمر : من فعل هذا؟ ان رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا . وفيه عن أنس -رضى الله عنه- «نهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم : أى تحبس حتى تموت» وفى رواية عن النبي ﷺ انه قال : «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» . وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ان النبي ﷺ نهى عن قتل اربع من الدواب : النحلة والنملة . والهدهد . والصدرد . رواه ابن داود باسناد صحيح . وفى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال : «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى اطعمتها وسقتها ان هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» ج ١٦ : ص ١٧٢م / دار الفكر ، وفى سنن أبى داود عن أبى واقد قال : قال رسول الله ﷺ «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة» . واخرج الترمذى ما قطع من الحى فهو ميت .

وعن أبى مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فأبى حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرض فجاء النبي ﷺ فقال : «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه . قلنا نحن . قال انه لا ينبغى ان يعذب بالنار إلا رب النار» . أبى داود ص ٤١٩-٤٢٠ المجلد : (٥) .

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- ان رسول الله ﷺ قال : «ما من إنسان قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها . قيل يا رسول الله وما حقها . قال ان يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى بها» . رواه النسائى والحاكم وصححه . وهذا موجب لترك ذلك وهو عين الرحمة بهذه الأنعام وغيرها .

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ان النبي ﷺ مر على حمار قد وسم وجهه فقال : «لعن الله الذى وسمه» . رواه مسلم ، وفى رواية له (نهى رسول الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه) . وهذا شامل للإنسان وللحيوان .

فهذه النصوص وما جاء في معناها دالة على تحريم تعذيب الحيوان بجميع انواعه حتى ما ورد الشرع بقتله كالخمس الفواسق: الغراب والعقرب والفارة والحدأة والكلب العقور. وعند البخارى والحية ومنطوق هذا ومفهومه عناية الإسلام بالحيوان سواء ما يجلب له النفع أو يدرأ عنه الأذى. فالواجب جعل ما ورد من ترغيب في العناية به وما ورد من ترهيب في تعذيبه في أى جانب يتصل به ان يكون نصب الاعين وموضع الاهتمام ولاسيما النوع المشار إليه من الأنعام لكونه محترما في حد ذاته اكلا ومالية ويتعلق به احكام شرعية في وجوه الطلعات والقربات من جهة ومن أخرى لكونه عرضة لأنواع كثيرة من المتاعب عند شحنه ونقله بكميات كبيرة خلال مسافات طويلة ربما ينتج عنها تزامم مهلك لضعفها وجوع وعطش وتفشى امراض فيما بينها وحالات أخرى مضرّة تستوجب النظر السريع والدراسة الجادة من أولياء الأمور بوضع ترتيبات مريحة شاملة لوسائل النقل والترحيل والاعاشة من الطعام والسقى وغير ذلك من تهوية وعلاج وفصل الضعيف عن القوى الخطر والسقيم عن الصحيح في كل المراحل حتى تسويقها قدر المستطاع وهو اليوم شىء ممكن للمؤسسات المستثمرة والافراد والشركات المصدرة والمستوردة وهو من واجب نفقتها على ملاكها ومن هى تحت يده بالمعروف .

ومما يؤسف منه ويستوجب الانكار وجاء البيان والتحذير منه : (الطرق المستخدمة اليوم في ذبح الحيوان مأكول اللحم في أكثر بلدان العالم الاجنبى وما يمهد له عند الذبح منه بأنواع من التعذيب كالصدمات الكهربائية في مركز الدماغ لتخديره ثم مروره بكلايب تحطفه وتعلقه منكسا وهو حى مارا بسير كهربائى حتى موضع من يتولى ذبحه لدى بعض مصانع الذبح والتعليب ومنها نتف ريش الدجاج والطيور وهى حية أو تفتطيسها في ماء شديد الحرارة وهى حية أو تسليط بخار حار عليها لازالة الريش زاعمين انه اوفر بما يراد ذبحه من الحيوان . حسبما هو معلوم عن بعض تلك الطرق للذبح وهذا فيه من التعذيب مالا يخفى مخالفته لنصوص الأمر بالاحسان إليه والحث على ذلك في الشريعة الإسلامية السمحاء وكل عمل مخالف لها يعتبر تعديا وظلما يحاسب عليه قاصده لما سلف ذكره ولما صح في الحديث ان الله ليقتص للشاء الجلهاء من الشاة القرناء . فكيف بمن يعقل الظلم ونتائجه السيئة!!! وبناء على النصوص الشرعية ومقتضياتها بوب فقهاء التشريع الإسلامى ما يجب ويستحب أو يجرم ويكره بخصوص الحيوان بوجه عام وبما يتعلق بالزكاة لمباح الأكل بوجه تفصيلى خاص نسوق طائفة مما يتعلق بجانب الاحسان إليه عند تذكيته ومنه : المستحبات الآتية :

١ - عرض الماء على ما يراد ذبحه للحديث السابق : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء » . الحديث .

٢ - ان تكون آلة الذبح حادة وجيدة وان يمرها الذابح على محل الذكاة بقوة وسرعة ومحلة اللبة من الابل والحلق من غيرها من المقدور على تزكيتها .

٣ - ان تنحر الابل قائمة معقولة يدها اليسرى ان تيسر موجهة إلى القبلة .

٤ - وذبح غير الابل مضجعة على جنبها الأيسر إن كان ايسر للذابح ويضع رجله على حفة عنقها غير مشدودة الأيدي أو الارجل وبدون لى شىء منها أو كسره قبل زهوق روحها وسكون حركتها ويكره خلع رقبتها ذلك أو ان تذبح وأخر تنظر .

وهذه المذكورات مما يستحب عند التذكية للحيوان رحمة به واحسانا إليه ويكره خلافها مما لا احسان فيه كجره . فقد روى عبد الرزاق موقوفا ان ابن عمر رأى رجلا يجرشاة برجلها ليذبحها . فقال له : . ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

أو ان يحد الشفرة والحيوان يبصره وقت الذبح لما ثبت في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر- رضى الله عنهما - أمر رسول الله ﷺ ان تحد الشفاروان توارى عن البهائم . وما ثبت في معجمى الطبرانى الكبير والاوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها . قال : افلا قيل هذا؟ اتريد ان تميتها موتتين .

أما غير المقدور على تذكيته كالصيد الوحشى أو المتوحش وكالبعير يند فلم يقدر عليه فيجوز رميه بسهم أو نحوه بعد التسمية عليه مما يسيل الدم غير عظم وظفر . ومتى قتله السهم جاز أكله لأن قتله بذلك فى حكم تذكية المقدور عليه تذكية شرعية ما لم يحتمل موته بغير السهم أو معه .

وهذا جرى ذكره منا على سبيل الافادة بمناسبة طلبكم لا على سبيل الحصر لما ورد وصح نقله بشأن الحيوان على اختلاف انواعه فالإسلام دين الرحمة وشريعة الاحسان ومنهاج الحياة المتكامل والطريق الموصلة إلى الله ودار كرامته فالواجب الدعوة له والتحاكم إليه والسعى فى نشره بين من لا يعرفه وتذكير عامة المسلمين بما يجهلون من احكامه ومقاصده ابتغاء وجه الله فمقاصد التشريع الإسلامى فى غاية العدل والحكمة فلا حرمان من كل نافع حيوان خلافا لما عليه البوذيون ولا اباحة لكل ضار منه خلافا لما عليه أكلة الخبائث من الخنزير والسباع المفترسة وما فى حكمها ولا ظلم ولا اهدار حرمة كل محترم من نفس أو مال أو عرض فنشكر الله على نعمه التى اجلها نعمة الإسلام مع الابتهاال إليه ان ينصر دينه ويعلى كلمته

وان لا يجعلنا بسبب تقصيرنا فتنة للقوم الكافرين وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبلغ
البلاغ الميين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمية

كثيرا ما نرى بعض الداعين إلى العلم يشجبون الأمية ويعددها من علامات
التخلف ، والله تعالى وصف هذه الأمة بالأمية فقال : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم ﴾ . فأرجو أن توضحوا ذلك وشكرا . . .
وكانت اجابة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز كما يلي :
كانت أمة محمد ﷺ من العرب والعجم لا يقرؤون ولا يكتبون ولهذا سموا أميين وكان
الذين يكتبون ويقرؤون منهم قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم وكان نبينا محمد ﷺ لا يقرأ
الكتابة ولا يكتب كما قال الله سبحانه ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا
لا رتاب المبطلون ﴾ . وكان ذلك من دلائل صدق رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام لأنه
اتى إلى الناس بكتاب عظيم اعجز به العرب والعجم أوحاه الله إليه ونزل به عليه الروح
الأمين جبرائيل عليه الصلاة والسلام وأوحى إليه سبحانه السنة المطهرة وعلوما كثيرة من
علوم الأولين وأخبره سبحانه بأشياء كثيرة مما كان في غابر الزمان ومما يكون في آخر الزمان ومما
يكون في يوم القيامة كما أخبره بأحوال الجنة والنار وأهلها وكان ذلك مما فضله الله به على
غيره وارشده به الناس إلى منزلته العالية وصفة رسالته عليه الصلاة والسلام وليس وصف
الأمة بالامية المقصود منه ترغيبهم في البقاء عليها وإنما المقصود الاخبار عن واقعهم وحالهم
حين بعث الله إليه محمدا ﷺ وقد دل الكتاب والسنة على الترغيب في التعلم والكتابة
والخروج من وصف الأمية فقال الله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا
يعلمون ﴾ وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا
يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات ﴾ . الآية ، وقال سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . الآية ، وقال النبي ﷺ
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » . رواه الإمام مسلم في
صحيحه . وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » متفق
على صحته والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وبالله التوفيق . . .



أتدرون من المفلس . . . ؟



عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
أتدرون من المفلس؟ . قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع،
فقال: إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد
شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى
هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه،
أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار .
(رواه مسلم والترمذى)

أشد الناس بلاء . . .

قال رسول الله ﷺ :
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب
(وفى رواية: قدر) دينه فإن كان دينه صلباً أشد بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلى
على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه
خطيئة . . .
(رواه الترمذى)

مختارات من

كتبي



رجعية التقدميين

ينادى بعض الكتاب (التقدميين) المعاصرين من خلال دراساتهم الإسلامية الشباب الدارسين إلى إعادة النظر في مادة القدماء . وقد يتصور الناس أنهم اكتشفوا مفاهيم جديدة لم يطلع عليها القدماء في مجال العلم والمعرفة لفقد الوسائل التي حصلت للإنسان بعد التطور العلمي والصناعي .

غير أن استعراض افكارهم يخيب الأمل حيث لا يجد الإنسان عندهم اكتشافاً جديداً أو موضوعاً طريفاً يستحق الاهتمام والتنويه وكل ما يجده في افكارهم هي جاهلية العصور الأولى . عصور كثيرة الفرق وتضارب الاهواء في الملل والنحل بسبب استيراد التصورات اليونانية الوثنية في الإلهيات . ومباحث ما وراء الطبيعات .

والشيء الذي يبعث على الضحك والبكاء معاً هونداً هؤلاء الكتاب إلى احياء الفكر الاعتزالي وقضايا: تعطيل الرب من الصفات . وايجاب الاصلح عليه . ومنح الإنسان حرية خلق افعاله . واستقلاله عن الوحي . والإيمان بمنزلة بين منزلتي الكفر والإيمان . وجعل المعاد، والجنة والنار . وكل ما يتعلق بالحياة الأخروية رموزاً . واشياء فنية - كل هذه الاراء اثرت اثناء غزو الفكر اليوناني عن الكون والحياة، غير انها تبخرت امام الفكر الإسلامي الصحيح وبوقوف العلماء المخلصين في وجه هذا التيار المنحرف .

ويندهش الإنسان أمام رجعية الكتاب المنورين التقدميين اليوم . حينما ينادون - إلى احياء تلك الاضاليل من جديد حيث انهم رغم كل ادعاءاتهم عن تمجيد العقل . والبلوغ إلى مراتب الاجتهاد العليا لا يستطيعون إلا بنش قبور الاولين من المعتزلة والخوارج والجهمية . والفرق المنحرفة الأخرى والتوقف عند ما توصلت إليه عقولهم قبل قرون من الزمان .

لذا لا نبالغ حينما نقول ان كتابات كافة ادعياء (التنور) و(العقلانية) والتقدم في هذا العصر لا يؤكد إلا حقيقة واحدة وهي انهم اغبياء رغم دعاويهم عن الاجتهاد والتعقل ، جنباء رغم تظاهرهم بالشجاعة ، رجعيون رغم هتافاتهم عن (التنور) و(العقلانية) .

اغبياء... لانهم ما استطاعوا زيادة شىء على ما يؤثر عن الفرق المنحرفة من الافكار والاراء بل ما استطاعوا استيعاب تلك الاراء وادراكها، ادراكا صحيحا، لاننا لا نجد عندهم شجاعة ادبية في نسبة الافكار إلى المصادر التي يأخذون منها من كتب الملل والنحل بواسطة المستشرقين من أئمتهم الذين اغترفوا ايضا من تلك المياه العكرة . رجعيون... لانهم لا يقدرّون على نقد افكار أئمة الضلال بل يقبلون كل ما ينزل عليهم من سحاب الاعتزال أو غيوم الاستشراق كالوحي المنزل من السماء . لا تؤكد كتاباتهم . ودراساتهم إلا هذه الحقيقة .

فهل يتنبه الشباب المسلمون إلى تضليل هذه الفئة من الناس التي تتفنن في الاساليب اثناء الحديث عن التراث . وأصول الدين . والتاريخ والأدب...؟
ولا يحمل هؤلاء الناس على الكلام حول غياب الإنسان غياب الوعي من التراث إلا غياب الإيمان من نفوسهم ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾...
«عن البلاغ - العدد ١٦٩٤ لسنة ١٤٠٣هـ»

تصحیح

ورد خطأ مطبعی في العدد الماضي «٥٩» في الآية القرآنية التي جاءت في صفحة رقم (١٤) حيث وردت كلمة : فسینسره، والصحيح : ﴿فسینسره﴾ .

وكذلك في الآية التي جاءت في صفحة رقم (٢٣) حيث وردت كلمة : تصغر، والصحيح : ﴿تصعّر﴾ .

إِخْبَارُ الْجَامِعَةِ

إِعْتِدَادُ إِدَارَةِ الْعَلَاقَاتِ الْعَامَّةِ بِالْجَامِعَةِ

الْهُنُورُ وَالْجَلَى نَتَائِجُ الدَّسْتِجَانَاتِ بِالْجَامِعَةِ

فِي الْعَامِ الْخَامِسِ ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا :

١ - بَلَغَ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي دَرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ عَامَ ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ خَمْسَةَ عَشَرَ طَالِباً مِنْهُمْ سِتَّةُ طُلَّابٍ سَعُودِيَّوْنَ . وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى الْأُرْدُنِّ ، وَالسُّودَانِ ، وَفُولْتَا الْعَلِيَا وَالْهِنْدِ وَالْيَمَنِ وَلِبْنَانَ .

وَقَدْ حَصَلَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ مِنْهُمْ عَلَي دَرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ بِمَرْتَبَةِ الشَّرْفِ الْأُولَى .

٢ - وَبَلَغَ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي نَفْسِ الْعَامِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ طَالِباً مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ سَعُودِيَّوْنَ . وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَأَنْدُونِيْسِيَا وَبَاكِسْتَانَ وَبُورْمَا وَرَاوَنْدِي وَالسُّودَانَ وَالصُّومَالَ وَمِصْرَ وَنِيْبَالَ وَالْهِنْدَ وَالْيَمَنَ الْجَنُوبِيَّ .

حَصَلَ أَحَدٌ عَشَرَ مِنْهُمْ عَلَي دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ بِتَقْدِيرِ «مَمْتَاز» وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ جَدًّا» . وَوَاحِدٌ فَقَطْ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ» .

ثَانِيَا : كَلِيَاتِ الْجَامِعَةِ :

١ - كَلِيَةِ الشَّرِيْعَةِ : بَلَغَ عِدَدُ الطُّلَّابِ الَّذِينَ حَصَلُوا عَلَي دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ الْعَالِيَةِ «الليسانس» فِي الدُّورِ الْأَوَّلِ لِعَامِ ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ مَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ طَالِباً . مِنْهُمْ سَبْعَةُ عَشَرَ طَالِباً بِتَقْدِيرِ «مَمْتَاز» . وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ جَدًّا» . وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ طَالِباً بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ» . وَخَمْسَةُ طُلَّابٍ بِتَقْدِيرِ «مَقْبُولٌ» . وَمِنْهُمْ سِتَّةُ عَشَرَ سَعُودِيَّيَا ، وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى تِسْعِ وَثَلَاثِينَ جَنَسِيَّةً مِنْ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَبِلَادِ الْأَقْلِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَبَلَغَ عِدَدُ الطُّلَّابِ الَّذِينَ دَخَلُوا امْتِحَانَ الدُّورِ الثَّانِي سِتِّينَ طَالِباً . نَجَحَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ . فَيَكُونُ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي اللِّيْسَانْسِ مِنْ كَلِيَةِ الشَّرِيْعَةِ لِعَامِ ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ سَبْعَةً وَسَبْعِينَ وَمِائَةً طَالِباً .

٢ - كلية الدعوة وأصول الدين : بلغ عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة العالية «الليسانس» من كلية الدعوة وأصول الدين في امتحان الدور الأول ستة ومائة طالب ينتمون إلى ثلاث وثلاثين جنسية . حصل منهم اثنا عشر على تقدير «ممتاز» . وتسعة وعشرون على تقدير «جيد جدا» . وثمانية وخمسون على تقدير «جيد» . وسبعة طلاب فقط على تقدير «مقبول» .

هذا بالإضافة إلى خمسين طالباً كان لهم حق امتحان الدور الثاني كلهم غير سعوديين نجح منهم أربعة عشر طالباً . فيكون عدد الحاصلين على شهادة الليسانس من كلية الدعوة لهذا العام مائة وعشرين طالباً .

٣ - كلية القرآن الكريم : بلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على شهادة الليسانس في الدور الأول ستة عشر طالباً ينتمون إلى خمس جنسيات منهم طالب سعودي . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» وأربعة على تقدير «جيد جدا» وثمانية على تقدير «جيد» . وكان أربعة عشر طالباً غير سعوديين لهم حق دخول الدور الثاني نجح منهم سبعة طلاب في الدور الثاني .

٤ - كلية الحديث الشريف : بلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس في الدور الأول خمسة وأربعين طالباً . منهم ستة طلاب سعوديون ، والباقيون ينتمون إلى سبع عشرة جنسية . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» . وستة عشر على تقدير «جيد جدا» . وأربعة وعشرون على تقدير «جيد» ، وواحد فقط على تقدير «مقبول» . وكان خمسة وثلاثون طالباً يحق لهم دخول الدور الثاني منهم طالب سعودي واحد . نجح ممن دخلوا امتحان الدور الثاني منهم اثنا عشر طالباً .

٥ - كلية اللغة العربية : بلغ عدد الحاصلين على الليسانس ستين طالباً منهم اثنان سعوديان والباقيون ينتمون إلى ثلاث وعشرين جنسية . حصل منهم واحد فقط على تقدير «ممتاز» وخمسة وعشرون على تقدير «جيد جدا» . والباقيون وعددهم أربعة وثلاثون على تقدير «جيد» . وكان يوجد ٢٩ طالباً جميعهم غير سعوديين يحق لهم دخول امتحان الدور الثاني . نجح ممن دخلوا الامتحان منهم أحد عشر طالباً .



أقامت الجامعة الإسلامية المخيم الصيفي التربوي - الذي تقيمه كل عام للطلاب في اجازة الصيف لمدة شهر - وقد أقيم هذا المخيم في الفترة من ٧/١٠/ إلى ٩/١١/١٤٠٣ هـ بمدينة الناص . بمنطقة عسير «أبها» . وشارك فيه ثلاثة وسبعون طالباً من مختلف الجهات التعليمية بالجامعة يمثلون سبعة وعشرين جنسية .

اشتركت الجامعة الإسلامية بمائة طالب في تخيم الحج الثالث من ٦ ذى الحجة إلى ١٤ ذى الحجة لطلاب جامعات الخليج . وقد بلغ عدد الطلاب المسجلين بالمخيم من طلاب الجامعات الخليجية حوالي ألف وخمسمائة طالب .

وقد أسهمت الجامعة بتقديم تسهيلات كبيرة للمشاركين في هذا المخيم . إذ وفرت لأعمال المخيم ١٦ «ست عشرة» ناقلة لتنقلات طلاب الجامعات المشاركين . كما استضافت طلاب الجامعات الخليجية المشاركين بالمخيم أثناء زيارتهم للمدينة المنورة .

وكان لإسهام الجامعة ومشاركتها أثره - بفضل الله - في إنجاح المخيم . وقد تلقى معالي الدكتور : عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة برقية شكر من الدكتور : محمد الأحمد الرشيد مدير مكتب التربية العربي لدول الخليج . الذي كان مديراً للمخيم ، على ما قامت به الجامعة من دور كان له أبرز الأثر في إنجاحه .



عقدت الأمانة العامة لندوة عمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة اجتماعاً بمقر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يوم الأربعاء ٢٨ من شهر ذى الحجة ١٤٠٣ هـ برئاسة فضيلة الشيخ عوض بن أحمد سلطان الشهري عميد شؤون الطلاب بالجامعة - والأمين العام للندوة .

ونوقش في هذا الاجتماع الموضوعات والمقترحات التي أعدتها اللجان المتفرعة من الأمانة العامة للندوة الخامسة القادمة والتي من المقرر - إن شاء الله - أن تعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .



توقيع عقد المخطط العام والتصميمات المعمارية

للمشروع العام للجامعة

في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/١٢/١٤٠٣ هـ تم توقيع عقد إعداد المخطط العام والتصميمات المعمارية والهندسية للمشروع العام للجامعة

الإسلامية الذي يتضمن إنشاء مدينة جامعية متكاملة على أحدث المستويات العالمية تشتمل على كل ما تتطلبه المدينة الجامعية من وحدات للجهات التعليمية والاجهزة الإدارية والمرافق العامة، وسكن للطلبة والموظفين . . . الخ .

وقد وقع العقد عن الجامعة معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وعن شركة آرثر أريكسون - التي تشرف على تنفيذ المشروع - السير ديفيد جويس . ويأتى هذا المشروع في نطاق اهتمام حكومة جلالته الملك - أيدها الله - بالجامعة الإسلامية، والنهوض بها دوماً إلى الامام .

وقد صرح معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة بمناسبة توقيع العقد بقوله :

لقد تحقق بتوقيع عقد إعداد المخطط العام لمشروع الجامعة أمل منسوبي الجامعة الإسلامية في النهوض بهذه الجامعة لتأخذ مكانتها اللائقة بين جامعات العالم حتى تؤدي رسالتها التي أقيمت من أجلها .

وقد وعد صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم في لقائه بأبنائه طلاب الجامعة في شهر محرم من هذا العام بأن «هذه الجامعة سوف تقام بشكل مناسب وملائم فيما يتعلق بمبانيها وجميع أمورها التي تعود بالفائدة الكبرى . كما أكد جلالته بأن المملكة العربية السعودية - حكومة وشعباً - لا يمكن أن تبخل بأى شىء فيه دعم الجامعة حتى تأخذ مستواها اللائق بها» .

وهكذا - وقبل نهاية العام - تحقق توقيع هذا العقد الذي يترجم اهتمام حكومة جلالته الملك وفقها الله بالجامعة الإسلامية، وبه يبدأ عهد جديد من التقدم المرجو لها . وبهذه المناسبة أتقدم بوافر الشكر لحضرة صاحب الجلالة وسمو ولي عهده . وأدعو الله أن يوفقه لمزيد من عمل الخير في سبيل دعم الأمة العربية والإسلامية، كما أقدم شكري للاخوة العاملين في الجامعة وعلى رأسهم المهندسون والعاملون بإدارة المشروع العام في الجامعة لما بذلوه من جهد في ابراز هذا المشروع . كما أقدم شكري للاخوة في وزارة المالية والاقتصاد الوطنى وعلى رأسهم معالي الشيخ محمد أبا الخيل وللإخوة في وزارة التخطيط وعلى رأسهم معالي الشيخ هشام ناظر على الجهد الذى قاموا به من أجل استكمال الدراسات والإجراءات المالية والنظامية والقانونية لإخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود . وبصورة متكاملة . . . وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد .

صياغة الشيخ محمد صالح

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة
— قبس من كتاب الله
— من نور النبوة
— حكمة العدد
— كلمة التحرير	د. جمعة على الخولي ١٣

■ التفسير وأصوله ■

الأمر باعداد القوة لمواجهة الأعداء	للشيخ أبي بكر الجزائري ١٧
------------------------------------	---------------------------

■ الحديث وأصوله ■

فضل أهل الحديث	د. ربيع بن هادي مدخلي ٢٣
صلاة الجماعة	د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ٣٥

■ العقيدة ■

وجوب عبادة الله وحده	لسناحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٤٩
الفكرة السنية والحاجة إليها	للشيخ محمد اسحاق الصديقي ٥٢

■ الفقه وأصوله ■

نظام الاثبات في الفقه الإسلامي	د. عوض عبد الله أبو بكر ٧٣
--------------------------------	----------------------------

■ ثقافة إسلامية ■

ترجمة القرآن	للأستاذ أحمد على عبد الله ٨٣
تعدد زوجات الرسول ﷺ	د. ملك غلام مرتضى ١٠٥
الإسلام والمسلمون في إنجلترا	د. محمد إبراهيم الجيوشي ١١٤

محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

■ سيرة وتاريخ ■

الملك عبد العزيز آل سعود بين نصره لله

ونصر الله له

للشيخ إبراهيم الجمل ١٢٥

■ إحياء التراث الإسلامي ■

تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين

للشيخ عبد الرحيم القشقرى ١٤٧

■ لغة وأدب ■

رسائل لم يحملها البريد

للشيخ عبد الرؤوف اللبدي ١٧١

الشاعر الإسلامي أحمد محرم في رأى النقاد

د. صلاح الدين عبد التواب ١٨٠

وصية لمتخرج (قصيدة)

للشيخ محمد عبد الله زربان ١٨٧

من تراثنا الشعرى

..... ١٩٠

■ جولات عالمية ■

في المشارق والمغرب

د. عبد الله بن أحمد قادري ١٩٥

■ بحوث طبية ■

إستعمال الأدوية

د. فوزى أحمد سلام ٢١٥

من أجل سلامة عينيك

د. فكرى السيد عوض ٢٢٣

محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

■ الفتاوى ■

٢٣٥	حول شرعية نقل الحيوان من استراليا إلى بلادنا
٢٣٩	الأمية

■ مختارات من الصحف ■

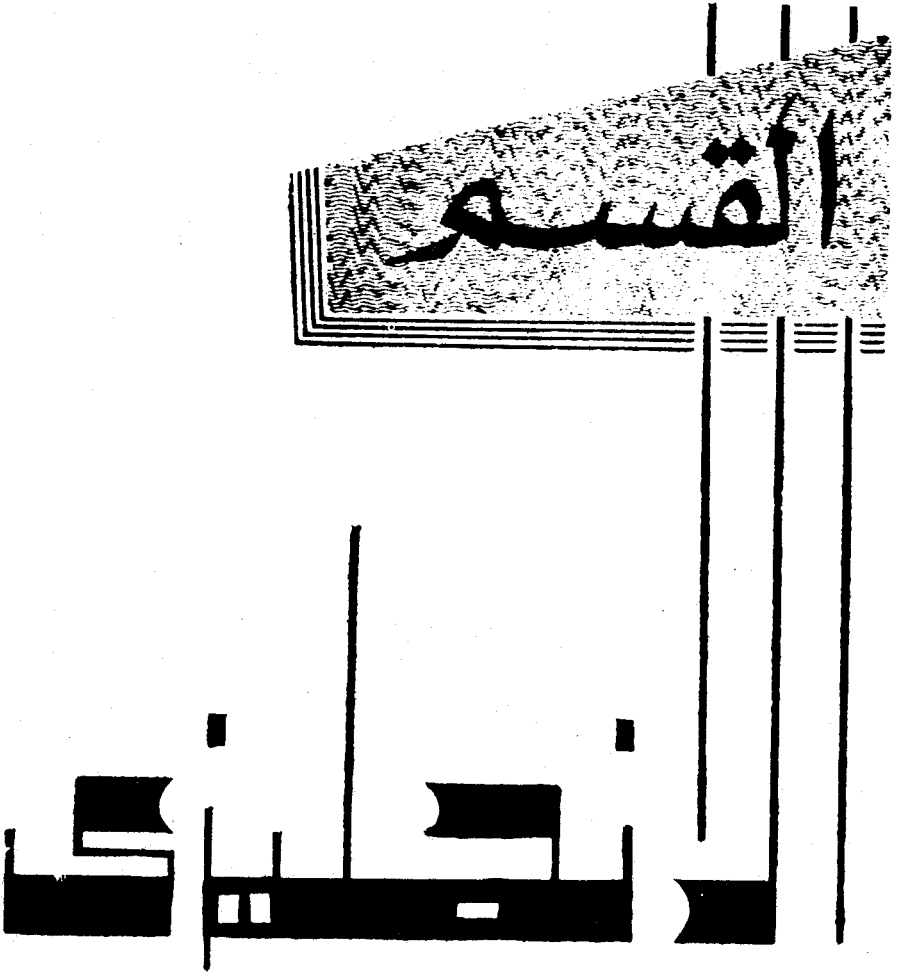
٢٤٣	رجعية التقدميين
٢٤٥	أخبار الجامعة
٢٤٩	محتويات العدد
٢٥٣	القسم الإنجليزى



مجلة الجامعة الإسلامية

بريد البحث والمقالات التي لم تنشر
إلى كتابها ولا بإيداء أئمة علم نشرها.





The central point of the message of the prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of mankind'. Islam included this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law. Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation .

The governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law .

The law was the same for the poor as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardening those whom the regular tribunals had condemned .

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation based on a just appreciation of human duties and human rights .

.....

the serfs or villains were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to which they belonged or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another. They could not leave their lord without his permission and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beast or other chattles. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villain could acquire no property, either in lands or goods: but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villain, and seize them to his own use .

“The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the reign of Osman (the third Caliph), the Christian patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms. “The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith, on the contrary they help us in our religion; they respect our God and our Saints, and bestow gifts on our churches and monasteries”.

“In order to avoid the least semblance of high-handedness no Muslim was allowed to acquire the land of ‘Zimmi’ even by purchase. Neither the Imam nor the sultan could dispossess a Zimmi of his property. The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eyes of the law. “Their blood”, said Ali the Caliph “was like our blood”. Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Islam’s law is that if a Zimmi is killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case .

“In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Bagdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the Zimmis and safeguarding of their interests” (The Spirit of Islam, Ch. VII) .

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human cooperation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed country for domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep away all artificial differences and fractions from the human community .

Examining the influence of Islam on humanity in general and on the destiny of mankind, the great scholar and the learned author, Amir Ali, explains the state of things existing in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broke the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces. He abolished every privilege of caste and emancipated labour:

“In the West, as in the East, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes. The law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the ‘Dehkans’, enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was concentrated in their hands. The peasants, and the poorer classes in general, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtizans and other nameless ministrants to the vices of Caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth, influence and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms — in fact, wherever feudalism had established itself — by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves .

“Villainage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between preadial and domestic slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattles, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times

It means : “ Would you compel people until they are believers”. It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as a code of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic State, and guaranteed their liberties in all walks of life:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (المتحنة ٨) .

It means: “Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo: Allah loves the just dealers” .

5 — Human Unity: By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity to believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the belief in One God and one human community is an essential part of Islamic faith. God Says:

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون ٥٢) .

It means: “Lo (O mankind): This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me” .

It means: “Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression” .

2 — Justice: Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. it is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people .

The Holy Quran has stressed this ideal principle in following Verse:

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة ٨) .

It means: “Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)”. 5:8 .

3 — Human dignity: Islam through its principles and teachings, foster dignity and self-respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for man’s humanity and not because of his colour, race, or social status. To make distinction between people according to their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following Verse:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الاسراء ٧٠) .

It means: “Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land and sea, and have made provision of good things for them and, have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment”. It is a common privilege for all people .

4 — Human freedom: Islam has totally rejected any kind of compulsion as means for driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book:

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس ٩٩) .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth) .

The difference of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of colours and tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the Universe and its aspects:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم ٢٢) .

It means: “And of His signs is the Creation of heavens and earth and the difference of your languages and colours”. This difference would not clash with the principle of unity of mankind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God Says:

﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات ١٣) .

It means: “And We have made you nations and tribes that you may know one another” .

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal principles:

1 — Human equality: The Holy Quran declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is their acquaintance with each other and promotion of understanding and cooperation among individuals and societies. This acquaintance and cooperation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and cooperation among people in the following Words:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة ٢) .

HUMAN RIGHTS IN ISLAM BY

Dr. Mohiaddin Alwaye
Prof. Islamic University
Madinah

Islam organises the course of Human relations on the basis of the “Common Origin of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man and man. The Holy Quran, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Quran says :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء ۱) .

It means: “O mankind: Be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women”. The theory of-common origin of mankind was stressed by the prophet:

﴿كلکم لآدم وآدم من تراب﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE

**ISLAMIC
UNIVERSITY**

OF

MADINAH MONAWWARAH

**SHAWWAL—DHUL-KEIDAH—
DHUL-HIJJAH 1403 H.**

[QUARTERLY]

15th YEAR

60